النص الكامل

الطبعة القانونية الأولى والوحيدة باللغة العربية

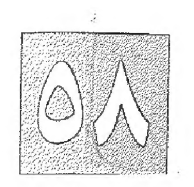
Agatha Christie

أغاثا كريستي

قِطار 4.50 من بادِنغْتون







قِطَار 4.50 من بادِنْغتون

هذه هي الترجمة القانونية الوحيدة لهذا الكتاب
وهي تضم النص الكامل لرواية أغاثا كريستي
المنشورة أول مرة عام ١٩٥٧ بعنوان

4.50 From Paddington

Arabic edition published by AJYAL *Publishers*
e-mail: agatha@al-ajyal.com

الطبعة الثالثة

٢٠٠٤

أغاثا كريستي

قِطار 4.50 من بادِنغتون

طُبعت للمرّة الأولى باللغة الإنكليزية عام ١٩٥٧

ترجمة: محمود الخطيب

مراجعة الترجمة: نبيل عبد القادر البرادعي

تحرير: رمزي رامز حسّون

تنفيذ الغلاف: سارية مجاهد ديرانية



بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

ركضت السيدة ماغليكَدي لاهثةً على طول الرصيف وهي تحاول اللحاق بالحمّال الذي كان يحمل لها حقيبتها. كانت السيدة ماغليكدي قصيرةً وبدينةً بينما كان الحمال طويلاً واسع الخطى. وبالإضافة إلى ذلك كانت السيدة ماغليكَدي محملة بعدد كبير من الأكياس التي كانت حصيلة تسوق بمناسبة الأعياد؛ ولذلك كان السباق سباقاً غير متكافئ. وانعطف الحمال عند زاوية في طرف الرصيف بينما كانت السيدة ماغليكَدي متخلفة وراءه بمسافة بعيدة.

لم يكن الرصيف رقم ١ في هذه اللحظة مزدحماً كثيراً، إذ أن أحد القطارات كان قد غادر لتوّه، ولكن في المنطقة الخالية وراءه كانت حشود المسافرين تندفع في عدة اتجاهات مرة واحدة خروجاً أو دخولاً لأنفاق المحطة ومكاتب إيداع الأمتعة والاستراحات ومكاتب الاستعلامات ولوحة حركة القطارات.

كانت السيدة ماغليكدي وأكياسها تصطدم بهذه الحشود المندفعة لتشق طريقها حتى وصلت إلى مدخل الرصيف رقم ٣ بشق الأنفس، ثم وضعت أحد الأكياس عند قدميها بينما كانت تفتش

حقيبتها بحثاً عن التذكرة التي تمكنها من عبور ذلك الحارس العتيد عند بوابة الرصيف.

وفي تلك اللحظة سمعت صوتاً يتكلم عبر السماعة فوق رأسها ويقول: القطار الواقف عند الرصيف ٣ هو قطار الخامسة إلا عشر دقائق المتجه إلى براكهامبتُن، ميلشستر، ويفرتُن، نقطة تقاطع كارفيل، روكزيتر ثم يتوقف في شارماوث. المسافرون المتجهون إلى براكهامبتن وميلشستر عليهم ركوب العربة في مؤخرة القطار. المسافرون إلى فانكيه يبدلون القطار في محطة روكزيتر.

سكت الصوت قليلاً ثم عاد ثانية ليعلن وصول قطار الرابعة وخمس وثلاثين دقيقة القادم من بيرمنغهام وولفرهامبتن إلى الرصيف رقم ٩.

وجدت السيدة ماغليكدي تذكرتها وقدمتها. ثقبها الرجل وهو يقول: على اليمين، الجزء الخلفي.

سارت السيدة ماغليكدي على الرصيف ووجدت حمالها، وكان ضجراً يحدق إلى الفراغ وهو واقف عند باب عربة الدرجة الثالثة.

- ها هي أمتعتك يا سيدتي.

- إنني مسافرة على الدرجة الأولى.

دمدم الحمال متذمراً: لم تقولي هذا.

كان يستعرض بنظرات استهانة معطفها المرقط الذي يبدو كمعطف رجل. ولم تستطع السيدة ماغليكدي مجادلته فقد كانت أنفاسها مقطوعة.

أخذ الحمال الحقيبة مرة أخرى وسار بها إلى العربة المجاورة حيث استقرت السيدة ماغليكدي متشامخة وحيدة. لم يكن قطار الخامسة إلا عشر دقائق مأهولاً كثيراً لأن ركاب الدرجة الأولى يفضلون -غالباً- إما قطار الصباح السريع أو قطار السادسة إلا ثلثاً الذي يضم مقصورة لتقديم وجبات العشاء. سلمت السيدة ماغليكدي الحمال إكراميته التي قبلها باستياء وخيبة أمل، وبدا واضحاً أنه اعتبرها إكرامية لا تليق بمقام راكبة في الدرجة الأولى... بل الدرجة الثالثة. ورغم أن السيدة ماغليكدي كانت مستعدة لإنفاق المال على سفرة مريحة بعد رحلة ليلية من الشمال وبعد نهار قضته في تسوق محموم، إلا أنها لم تكن -أبداً- من دافعي الإكراميات الأسخياء.

جلست مسنِدةً ظهرها على المقعد المخملي وهي تتنهد ثم فتحت مجلتها. بعد خمس دقائق انطلقت صافرة القطار وتحرك. انزلقت المجلة من يد السيدة ماغليكدي ومال رأسها إلى الجانب، وبعد ثلاث دقائق كانت تغط في نوم عميق. نامت مدة خمس وثلاثين دقيقة ثم استيقظت نشطة منتعشة. عدلت قبعتها التي مالت جانباً أثناء نومها، ونظرت خارج النافذة إلى الريف الذي كان يجري بسرعة الريح. أصبح الوقت ليلاً الآن، وكان اليوم ضبابياً كئيباً من أيام كانون الأول، لا يفصله عن العيد إلا خمسة أيام فقط. كانت لندن أيضاً معتمة وكئيبة، وكذلك الريف، رغم المظهر البهيج لأضواء البلدات والقرى التي تلتمع عند مرور القطار خلالها.

قال مضيف القطار وهو يفتح باب الممر فجأة وكأنه عفريت من الجان: وجبة الشاي الأخيرة تقدم الآن.

كانت السيدة ماغليكدي قد تناولت الشاي في أحد المحلات قبل ركوبها، ولم تشعر في تلك اللحظة بالحاجة إلى المزيد. واصل المضيف نداءه خارج الممر بعبارته الرتيبة المكررة. رفعت السيدة ماغليكدي بصرها إلى الرف حيث كانت تقبع طرودها وأكياسها المختلفة ونظرت إليها بارتياح. كانت مناشف الوجه رائعة، وهي ما أرادته مارغريت بالضبط. وبندقية الفضاء لروبي والأرنب لجين، كلها رائعة وسوف ترضيهم، وتلك السترة القصيرة هي ما كانت تريده بالضبط، تمنح الدفء فوق أنها أنيقة. وبلوزة هكتور أيضاً...

وسرحت بتفكيرها السعيد بسلامة مشترياتها ومعقوليتها.

عادت بنظرتها المرتاحة إلى النافذة مر قطار يسير في الاتجاه المعاكس بسرعة محدثاً ضجيجاً عالياً مما جعل النوافذ تتحرك فجفلت، ووصل القطار عند نقاط التحويل ثم عبر إحدى المحطات.

ثم بدأ يبطئ فجأة فيما بدا أنه استجابة لإحدى الإشارات. سار القطار بطيئاً لدقائق معدودة ثم توقف لحظة وتحرك من جديد. مر من جانب القطار قطارٌ آخر رغم أنه لم يكن سريعاً كالأول، ثم استجمع القطار سرعته ثانية. في تلك اللحظة جاء قطار آخر بنفس الاتجاه، واقترب من هذا القطار مما كان له وقع مخيف، وظل القطاران متوازيين لبعض الوقت قبل أن يبدأ أي منهما بزيادة سرعته ليسبق الآخر. نظرت السيدة ماغليكدي من نافذتها إلى نوافذ عربات القطار الموازي. كانت معظم الستائر مسدلة ولكن كان يمكن رؤية

ركاب القطار من وقت لآخر. لم يكن القطار مليئاً كثيراً وكانت به عربات كثيرة خالية.

وفي اللحظة التي بدا فيها القطاران وكأنهما ثابتان ساكنان ارتفعت ستارة إحدى العربات بحركة سريعة مفاجئة. نظرت السيدة ماغليكدي إلى عربة الدرجة الأولى المضاءة التي لم تكن تبعد عنها سوى مترين أو ثلاثة أمتار. ثم سحبت أنفاسها بشهقة وكادت أن تقف على قدميها.

كان رجلٌ يدير ظهره للنافذة ولها، كانت يداه مطبقتين حول رقبة امرأة كانت تواجهه وهو يخنقها ببطء ودون رحمة. كانت عيناها تبرزان من محجريهما وقد بدا وجهها محمراً ومحتقناً. و بينما حدقت السيدة ماغليكدي مصعوقة جاءت النهاية؛ فقد تراخى جسد المرأة وسقط بين يدي الرجل.

وفي نفس اللحظة أبطأ قطار السيدة ماغليكدي سرعته من جديد وبدأ الآخر يتسارع. وتقدم ذلك القطار كثيراً، وبعد لحظات ابتعد عن مرمى البصر.

امتدت يد السيدة ماغليكدي بطريقة آلية إلى مقبض الإنذار الذي يوقف القطار، ثم توقفت مترددة... فما هي الفائدة من شد مقبض الإنذار في القطار الذي تسافر هي فيه؟ شعرت وكأنها شُلَّت من هول ما رأته بمثل هذا القرب وبمثل هذا الموقف الفريد. كان من الضروري اتخاذ إجراء فوري... ولكن ما هو؟

فُتح باب مقصورتها ودخل منه مفتش التذاكر وقال: التذكرة من فضلك.

التفتت السيدة ماغليكدي إليه بحماسة وقالت: لقد خنقت امرأة قبل قليل... في القطار الذي مر من جانبنا للتو. لقد رأيت ذلك.

نظر مفتش التذاكر إليها بارتياب وقال: معذرة يا سيدتي، ماذا تقولين؟

- رجلٌ خنق امرأةً، لقد رأيت ذلك... من هنا.

وأشارت إلى النافذة.

ازداد ارتياب مفتش التذاكر. قال وهو غير مصدق: خُنقت؟

- نعم، خُنقت. قلت لك إنني رأيت ذلك. يجب أن تفعل شيئاً على الفور.

تنحنح مفتش التذاكر معتذراً وقال: "ألا ترين يا سيدتي أنه ربما أخذتك سِنةٌ من نوم و..."، ثم سكت سكوتاً لبقاً.

- لقد غفوت فعلاً، ولكن إن كنت تظن أنه كان حلماً فأنت مخطئ تماماً. قلت لك إنني رأيت الحادث.

نظر مفتش التذاكر إلى المجلة المفتوحة على المقعد. ظهرت في الصورة الموجودة على الصفحة المشرعة فتاة تُخنَق بينما وقف رجلٌ عند مدخل الباب يهدد المجرم والضحية بمسدس معه.

قال المفتش على سبيل الإقناع: ألا تظنين يا سيدتي أنك كنت تقرئين قصة مثيرة ثم أخذك النعاس فنمت قليلاً و...

قاطعته السيدة ماغليكدي قائلة: لقد رأيته بأم عيني. كنت في كامل وعيي كما أنت الآن، ونظرت من نافذتي إلى نافذة القطار الذي

يسير إلى جانب قطارنا هذا فرأيت رجلاً يخنق امرأة. ما أريد أن أعرفه هو ما ستفعله حيال ذلك؟

- حسناً يا سيدتي...

- أظن أنك ستفعل شيئاً ما؟

تنهد مفتش التذاكر متردداً ونظر إلى ساعته وقال: سوف نصل إلى براكهامبتن بعد سبع دقائق بالضبط، وهناك سأبلّغ بما أخبرتِني به. إلى أي اتجاه كان القطار الذي ذكرتِهِ ذاهباً؟

- في هذا الاتجاه بالطبع. أتظن أن باستطاعتي رؤية ما حدث لو أن القطار كان ماراً مروراً سريعاً في الاتجاه المعاكس؟

بدا مفتش التذاكر وكأنه يرى في السيدة ماغليكدي امرأة تستطيع رؤية أي شيء في أي مكان حسبما يقودها خيالها، ولكنه استمرّ في تصرفه المؤدب وقال: يمكنك الاعتماد عليّ يا سيدتي؛ سأبلغهم بشهادتك. هل لك أن تعطيني اسمك وعنوانك، فيما لو...

أعطته السيدة ماغليكدي العنوان الذي ستقيم فيه خلال الأيام القليلة القادمة إضافة إلى عنوانها الدائم في اسكوتلاندا فسجلهما، ثم خرج وهو يشعر بأنه قام بواجبه وتعامل بنجاح مع واحدة من الركاب المزعجين.

ظلت السيدة ماغليكدي عابسة غير مقتنعة. هل سيقوم مفتش التذاكر بالإبلاغ عمّا قالته، أم أنه كان يحاول تهدئتها فقط؟ فكّرت بوجود نساء عجائز يسافرن كثيراً في جميع أنحاء البلاد وهن مقتنعات تمام الاقتناع بأنهن كشفن مؤامرات شيوعية، أو أنهن معرضات للقتل،

أو أنهن رأين أطباقاً طائرة وسفن فضاء سرية، أو يبلغن عن جرائم قتل لم تحدث أبداً. ماذا لو أن هذا الرجل اعتبرها واحدة منهن؟

بدأ القطار يخفض سرعته ويعبر محولات السكة الحديدية ويدخل في بلدة كبيرة ذات أضواء بهيجة. فتحت السيدة ماغليكدي حقيبتها اليدوية وأخرجت فاتورة هي كل ما وجدته من أوراق فيها وكتبت على ظهرها ملاحظة سريعة ثم وضعتها في مغلف صدف -لحسن الحظ- أن كان معها، وأغلقت المغلف ثم كتبت عليه.

توقف القطار عند رصيف مزدحم. كان الصوت الصاخب المعتاد يعلن: وصل القطار الذي توقف الآن عند الرصيف رقم ١ وهو قطار الساعة الخامسة وثمان وثلاثين دقيقة المتجه إلى ميلشستر، ويفرتون، روكزيتر، ويتوقف عند تساوماوث. الركاب المسافرون إلى ماركت بيسنغ عليهم أن يتجهوا إلى القطار الذي ينتظر الآن عند الرصيف رقم ٣. القاعة رقم ١ للقطار المتوقف الذي سيتجه إلى كاربري.

نظرت السيدة ماغليكدي إلى الرصيف نظرات لهفة. كثير من المسافرين وقليل من الحمالين. آه، ها هو واحد! نادته بنبرة آمرة: أيها الحمال! من فضلك خذ هذا إلى مكتب رئيس المحطة على الفور.

أعطته الظرف وشلناً معه، ثم اتكأت على مقعدها متنهدة؛ لقد فعلت ما تستطيعينه. وتوقف عقلها -في لحظة ندم- عند الشلن الذي دفعته... إن ست بنسات كانت كافية بالتأكيد!

عاد تفكيرها إلى المشهد الذي رأته. مفزع، مفزع جداً! كانت امرأة ذات أعصاب قوية لكنها ارتعشت مع ذلك. يا له من شيء

غريب! شيء خيالي يحدث لها وهي إلسِبِثْ ماغليكدي! لو أن ستارة نافذة المقصورة لم ترتفع في تلك اللحظة... لكن ذلك كان بفعل الإرادة الإلهية بالطبع.

لقد شاءت إرادة الله أن تكون هي -إلسِبِثْ ماغليكدي- شاهدة على الجريمة... وانقبضت شفتاها عابسة.

تعالت الأصوات وانطلقت صافرة القطار وأغلقت الأبواب بقوة. تحرك القطار في الساعة الخامسة وثمان وثلاثين دقيقة من محطة براكهامبتن ببطء، وبعد ساعة وخمس دقائق توقف في ميلشستر.

جمعت السيدة ماغليكدي أغراضها وحقيبتها وخرجت. نظرت إلى أعلى الرصيف ثم إلى أسفله، وكررت حكمها السابق: "لا يوجد حمالون بما فيه الكفاية". يبدو أن الحمالين مشغولون بحقائب البريد وعربات الأمتعة. يبدو أنه يُتوقع من ركاب هذه الأيام حمل حقائبهم بأنفسهم، لكنها لا تستطيع حمل حقيبتها ومظلتها وكل هذه الأكياس؛ وهكذا سيتعين عليها الانتظار... وأثناء ذلك جاءها حمال.

- سيارة أجرة؟

- أظن أنها توجد سيارة في انتظاري.

وخارج محطة ميلشستر تقدم نحوها سائق سيارة أجرة كان يرقب مخرج المحطة. خاطبها بصوت هادئ وبلكنة محلية: أأنت السيدة ماغليكدي؟ ذاهبة إلى قرية سينت ميري ميد؟

أقرت السيدة ماغليكدي بهويتها، وكوفئ الحمال مكافأة مناسبة

وإن لم تكن مجزية. تحركت السيارة وهي تحمل السيدة ماغليكدي وأمتعتها مخترقة ظلمة الليل. كانت مسافة الرحلة تسعة أميال، ولم تستطع السيدة ماغليكدي الاسترخاء في السيارة بل ظلت جالسة يقظة متنبهة واشتاقت مشاعرها إلى التعبير. وأخيراً دخلت سيارة الأجرة في شارع القرية المألوف ثم توقفت في النهاية عند وجهتها. نزلت السيدة ماغليكدي من السيارة وسارت فوق الممر المرصوف نحو باب المنزل، وأودع السائق الحقيبة والأكياس داخل المنزل بعد أن فتحت الباب خادمة كهلة. دخلت السيدة ماغليكدي الصالة واتجهت إلى باب غرفة الجلوس المفتوح حيث كانت مضيفتها العجوز الضعيفة في انتظارها.

- إلسبِث!

- جين!

تبادلتا القبلات، ودون مقدمات اندفعت السيدة ماغليكدي في الكلام: آه، جين.. لقد شاهدت لتوي جريمة قتل!

* * *

الفصل الثاني

كان المبدأ الذي توارثته الآنسة جين ماربل عن أمها وجدّتها هو أن السيدة الحقيقية هي التي تُصدم ولا تُفاجَأ... وقد كانت وفية لهذا المبدأ إذ اكتفت بأن رفعت حاجبيها وهزت رأسها وهي تقول: أمر بالغ الأسى بالنسبة لك يا إلسبث، وهو خارق للمألوف بالتأكيد ! من الأفضل أن تخبريني بذلك على الفور.

كان ذلك ما أرادت السيدة ماغليكدي فعله بالضبط. جلست بعد أن سمحت لمضيفتها بأن تقربها إلى النار أكثر وخلعت قفازيها وبدأت تسرد قصتها بحماسة ونشاط.

أصغت لها الآنسة ماربل باهتمام شديد، وعندما سكتت السيدة ماغليكدي أخيراً لالتقاط أنفاسها تكلمت الآنسة ماربل بحزم: أعتقد -يا عزيزتي- أن أفضل شيء لك هو أن تذهبي فتغتسلي، ثم سنتناول عشاءنا، ولن نناقش هذا الأمر أثناءه أبداً. وبعد العشاء نستطيع دراسة المسألة دراسة متأنية ومناقشتها من كل الجوانب.

أذعنت السيدة ماغليكدي لهذا الاقتراح. تناولت السيدتان العشاء وكانتا تناقشان -وهما تأكلان- مختلف المسائل الحياتية في

قرية سينت ميري ميد. علقت الآنسة ماربل على العداء الموجود بين مديرة المدرسة وجمعية القرية، ودار النقاش بينهما حول حديقة كل منهما. ثم جلستا قرب النار مرة أخرى وأحضرت الخادمة القهوة.

قالت الآنسة ماربل: إنك منفعلة جداً، ولا عجب!

قالت السيدة ماغليكدي وهي ترشف من فنجانها: هل تظنين -يا جين- أنني كنت أحلم أو أتخيل ما حدث!

ردت عليها الآنسة ماربل بحماسة: بالتأكيد لا.

تنهدت السيدة ماغليكدي بارتياح وقالت: مفتش التذاكر كان يظن ذلك. كان مؤدباً جداً لكنه مع ذلك...

- أعتقد -يا إلسبث- أن ذلك أمر طبيعي في مثل هذه الحالات؛ فالقصة تبدو بعيدة الاحتمال ... و هي كذلك بالفعل. كما أنه لا يعرفك. لا أشك أبداً أنك رأيت فعلاً ما أخبرتني أنك رأيته. إنه شيء غريب جداً، لكنه ليس مستحيلاً. أتذكّر كيف ثار اهتمامي عندما كان أحد القطارات يسير ذات مرة موازياً للقطار الذي كنت مسافرة فيه فلاحظت كيف هي الصورة الحية التي يأخذها المسافر لما يجري في داخل عربات القطار الموازي. أذكر أن فتاة صغيرة كانت تلعب بلعبة صغيرة على شكل دب وفجأة ألقتها متعمدة على رجل بدين كان ينام في زاوية العربة فقفز مذعوراً وبدا ساخطاً جداً، بينما بدا الركاب الآخرون في غاية الاستمتاع بذلك.

ثم سألت الآنسة ماربل صديقتها: قلتِ بأن الرجل كان يدير ظهره باتجاهك. إذن لم تري وجهه؟

- لا، لم أرَ الوجه.

- وماذا عن المرأة، هل يمكنك وصفها؟ شابة، مسنة؟

- شابة تقريباً. بين الثلاثين والأربعين من عمرها على ما أظن، لا أستطيع تقريب عمرها أكثر من ذلك. وقد كان وجهها ملتوي القسمات محتقناً.

قالت الآنسة ماربل: نعم، نعم أفهم هذا. ماذا كانت ترتدي؟

- كانت ترتدي معطف فراء من نوع ما، شاحب اللون لم تكن ترتدي قبعة، وكانت شقراء الشعر.

- ألم يكن في الرجل أي شيء مميز يمكنك أن تتذكريه؟

أخذت السيدة ماغليكدي بعض الوقت للتفكير قبل أن تجيبها: "كان يميل إلى الطول، وأظن أنه أسمر. وكان يرتدي معطفاً ثقيلاً ولذلك لا أستطيع الحكم على بنية جسمه تماماً". ثم أضافت مكتئبة: إنها ليست -في الحقيقة- أوصافاً يمكن اعتمادها أساساً لتحقيق ما.

قالت الآنسة ماربل: "ولكن لا بأس بها". وسكتت قبل أن تقول: هل تشعرين في قرارة نفسك بالثقة التامة بأن تلك الفتاة قد... ماتت بالفعل؟

- لقد ماتت... أنا واثقة من هذا الأمر. لقد خرج لسانها و... من الأفضل ألاّ أتحدث عن هذا.

- بالطبع، بالطبع. أعتقد أننا سنعرف المزيد في الصباح.

- في الصباح؟

- أظن أن الحادثة ستظهر في صحف الصباح؛ فهذا الرجل -بعد أن قتل المرأة- أصبحت أمامه جثة عليه أن يتصرف بها. فماذا سيفعل؟ من المفترض أن يغادر القطار بسرعة عند أول محطة. بالمناسبة، هل تذكرين إن كانت العربة من تلك العربات التي يخترقها ممر إلى العربات الأخرى أم كانت مستقلة؟

- كانت عربة مستقلة.

- هذا يشير -على ما يبدو- إلى أنه قطار محلي لا يسافر لمسافات بعيدة. كان سيتوقف في براكهامبتن بالتأكيد. لنفترض أن القاتل غادر القطار في براكهامبتن، وربما وضع الجثة في مقعد منزو ووجهها مغطى بمعطف الفراء ليؤخر اكتشافها. نعم، أعتقد أن هذا ما كان سيفعله. لكنها ستُكتشف قبل مضي وقت طويل بالطبع، ويخيل إليّ أن خبر اكتشاف جثة امرأةٍ في قطارٍ سيظهر في صحف الصباح دون شك... سوف نرى ذلك.

* * *

لكن الخبر لم يرد في صحف الصباح. بعد أن تأكدت كلٌّ من الآنسة ماربل والسيدة ماغليكدي من هذا الأمر أنهيتا إفطارهما في صمت، وكانتا تفكران.

وبعد الإفطار خرجتا في جولة في الحديقة، ولكن تلك الجولة -التي كانت في العادة بهيجة تأسر اهتمامهما- اتسمت اليوم بالفتور. لفتت الآنسة ماربل انتباه ضيفتها إلى بعض الأزهار والنباتات

النادرة التي زرعتها في حديقتها الصخرية، ولكنها فعلت ذلك وهي شاردة الذهن، كما أن السيدة ماغليكدي لم تبادر إلى شن هجوم مضاد -كعادتها- تعدد فيه أنواع النباتات والزهور التي تزرعها في حديقتها.

قالت الآنسة ماربل وهي ما تزال شاردة الذهن: الحديقة لا تبدو كما ينبغي أن تكون عليه؛ فقد منعني الدكتور هيدوك من الانحناء أو الركوع، فماذا يمكن للمرء أن يفعل إن هو لم يستطع الانحناء أو الركوع؟ لديّ البستاني العجوز إدواردز بالطبع، لكنه عنيد جداً، كما أن طبيعة عمله الموسمي المتقطع تكسبه عادات سيئة، حيث الإكثار من شرب الشاي وإضاعة الوقت، والقليل القليل من العمل الحقيقي.

قالت السيدة ماغليكدي: آه، أعرف. صحيح أنني لم أُمنع بعد من الانحناء، ولكني -بعد زيادة وزني- أصاب بحرقة المعدة، وخصوصاً بعد الوجبات.

ساد الصمت قليلاً، ثم وقفت السيدة ماغليكدي بثبات وجمود والتفتت إلى صديقتها وقالت: حسناً؟

كانت كلمة صغيرة مبهمة في ظاهرها لكنها اكتسبت دلالة كبيرة بسبب نبرة السيدة ماغليكدي، ففهمت الآنسة ماربل معناها تماماً وقالت: أعرف.

تبادلت المرأتان النظرات ثم قالت الآنسة ماربل: أحسب أن بإمكاننا السير إلى مخفر الشرطة لنتحدث إلى الرقيب كورنيش. إنه

ذكي وصبور، كما أنني أعرفه جيداً وهو يعرفني، أظن أنه سيصغي ثم يوصل المعلومات إلى السلطات المختصة.

وهكذا، بعد ثلاثة أرباع الساعة، كانت الآنسة ماربل والسيدة ماغليكدي تتحدثان مع رجل هادئ ذي وجه مشرق بين الثلاثين والأربعين من عمره، وهو يصغي إلى ما تقولانه باهتمام شديد.

استقبل فرانك كورنيش الآنسة ماربل بود، بل حتى باحترام. قدم كرسيين للسيدتين وقال: بماذا نستطيع أن نخدمك يا آنسة ماربل؟

قالت الآنسة ماربل: أريدك أن تتفضل وتصغي إلى قصة صديقتي السيدة ماغليكدي.

وهكذا أصغى الرقيب كورنيش، وعندما أنهت القصة ظل صامتاً لبعض الوقت، ثم قال: إنها قصة غريبة جداً.

كان ينظر إلى السيدة ماغليكدي وهي تحكي قصتها نظرات تقويمية دون أن يبدو عليه ذلك. وعلى وجه العموم فقد تأثر بما سمع، ورأى في السيدة ماغليكدي امرأة عاقلة تستطيع أن تحكي قصتها بوضوح، فلم تكن ممن يجنح بهم الخيال أو يتعرضون لنوبات هستيرية. والأهم من ذلك أن صديقتها الآنسة ماربل قد آمنت -كما يبدو- بدقة رواية صديقتها. وكان الرقيب يعرف عن الآنسة ماربل كل شيء، فهي عجوز واهنة في مظهرها لكنها في داخلها حادة الذهن والذكاء.

تنحنح ثم قال: ربما كنتِ قد أخطأتِ بالطبع... أرجو أن

تنتبهي إلى أنني لا أقول بأنك أخطأت، ولكن أقول ربما. كلنا نعلم أن الكثير من المزاح الثقيل يجري... وربما لا يكون الحادث خطيراً أو مميتاً.

قالت السيدة ماغليكدي عابسة: أنا واثقة مما رأيته.

فكر فرانك كورنيش قائلاً لنفسه: "كما أنك لن تتزحزحي عن موقفك هذا، وأظن أنك ربما كنت على حق". ثم قال بصوت مرتفع: لقد بلّغتِ مسؤولي السكة الحديدية وها أنت أيضاً جئت لإبلاغي بهذا الأمر... هذا هو الإجراء الصحيح. يمكنك الاعتماد عليّ في التحقق من هذا الأمر.

ثم توقف عن الكلام. أومأت الآنسة ماربل برأسها راضية، لكن السيدة ماغليكدي لم تكن راضية كثيراً، ومع ذلك لم تقل أي شيء. خاطب الرقيب كورنيش الآنسة ماربل، لا طلباً لأفكارها بل لمجرد سماع ما قد تقوله: لو سلمنا بالحقائق كما ذكرت، فما الذي ترين أنه قد حدث للجثة؟

قالت الآنسة ماربل دون تردد: يبدو أنه يوجد احتمالان فقط. الأرجح منهما هو أن تكون الجثة قد تُركت في القطار، ولكن هذا يبدو بعيداً الآن لأنه كان من شأن راكب آخر أن يكتشف الجثة الليلة الماضية أو أن يكتشفها عمال القطارت في آخر محطة للقطار.

أومأ فرانك كورنيش برأسه.

- الطريق الآخر الوحيد الذي كان مفتوحاً أمام القاتل ربما يكون إلقاء الجثة خارج القطار على السكة الحديدية. أظن أنها لا بد

أن تكون موجودة في مكان ما على الطريق لم تكتشَف بعد (رغم أن هذا يبدو غير محتمل بعض الشيء). ولكن -كما أرى- لا يوجد طريق آخر للتعامل معها.

قالت السيدة ماغليكدي: كنا نقرأ عن جثث توضع في صناديق الثياب الكبيرة. ولكن أحداً لا يسافر هذه الأيام ومعه صناديق ثياب وإنما حقائب فقط، ولا يمكن وضع جثة في حقيبة سفر.

قال كورنيش: نعم، أتفق معكما. كان يُفترض أن تكتشَف الجثة الآن إن كانت توجد جثة، أو أنها ستُكتشف قريباً جداً. سأبلغكما بأية تطورات تحدث، رغم اعتقادي أنكما ستقرآنها في الصحف. ويبقى احتمال -بالطبع- ألاّ تكون المرأة قد ماتت رغم الاعتداء الوحشي عليها، وربما استطاعت مغادرة القطار على قدميها.

قالت الآنسة ماربل: يصعب ذلك دون مساعدة أحد لها. وإن كان ذلك فسوف يراها الناس.

قال كورنيش: نعم، كانت ستشاهد، ولو وُجدت امرأة فاقدة الوعي أو مريضة في عربة قطار ثم أخذها الناس إلى أحد المستشفيات فإن ذلك سيكون مسجلاً. أظن أن بإمكانكما الاطمئنان بأنكما ستسمعان عن هذا خلال وقت قصير.

لكن ذلك اليوم مر ثم اليوم الذي يليه. وفي المساء تلقت الآنسة ماربل رسالة من الرقيب كورنيش. كانت تقول:

بخصوص المسألة التي راجعتِني فيها، قمنا بتحريات كاملة دون نتيجة. لم يعثروا على جثة امرأة، ولم يقدم أي مستشفى

العلاج لامرأة حسب الأوصاف التي قدمتهُ ضيفتك، كما لم تلاحَظ حالة امرأة تعاني من صدمة أو مرض أو تغادر المحطة بمساعدة رجل. أرجو أن تثقي بأننا قمنا بعمل تحريات كاملة وشاملة. أظن أن صديقتك ربما شاهدت منظراً كالذي وصفته لكنه أقل خطورة مما خيل إليها.

* * *

الفصل الثالث

قالت السيدة ماغليكدي: أقل خطورة؟ هراء، كانت جريمة قتل!

نظرت إلى الآنسة ماربل نظرات تحد فبادلتها الآنسة ماربل النظرات. قالت السيدة ماغليكدي: هيا يا جين. قولي إن الأمر كله غلطة مني! قولي إنني توهمت هذا كله! هذا ما ترينه الآن، أليس كذلك؟

أشارت الآنسة ماربل بلطف: يمكن لأي شخص أن يخطئ، أي شخص يا إلسبث... حتى أنت. أظن أن علينا أن نبقي ذلك في أذهاننا، لكنني ما زلت أرى أنك غالباً لم تخطئي. أنت تستخدمين نظارة للقراءة، لكن بصرك ممتاز عن بعد، والذي رأيته أثر عليك بقوة. كان واضحاً أنك تعانين من صدمة عندما وصلت إلى هنا.

- إنه شيء لن أنساه أبداً. المشكلة هي أنني لا أعرف ماذا أعمل بهذا الخصوص!

- لا أظن أنه بقي شيء آخر يمكنك أن تفعليه بهذا الخصوص.

لقد بلغت مسؤولي السكة الحديدية والشرطة بما رأيت. كلا، ليس من شيء آخر يمكنك فعله.

- أجد في هذا عزاء لي؛ لأنني -كما تعلمين- ذاهبة إلى سيلان بعد فترة وجيزة لأمكث عند رودرك، ولا أريد تأجيل تلك الزيارة بالتأكيد لأنني كنت أتطلع إليها كثيراً. ومع ذلك يمكنني تأجيلها إذا ظننت أن ذلك من واجبي.

- أنا واثقة من ذلك يا إلسبث ولكنني -كما قلت- أرى أنك فعلت كل ما يمكنك فعله.

- الأمر يعود إلى الشرطة، وإذا اختاروا أن يكونوا أغبياء...

هزت الآنسة ماربل رأسها بحزم وقالت: آه، كلا، الشرطة ليسوا أغبياء؛ وهذا يجعل الأمر مثيراً، أليس كذلك؟

نظرت السيدة ماغليكدي إليها دون أن تستوعب ما قالته صديقتها، وأعادت الآنسة ماربل تأكيد حكمها على صديقتها بأنها امرأة ذات مبادئ رائعة ولكنها تفتقر إلى الخيال.

قالت الآنسة ماربل: نريد أن نعرف ما الذي حدث حقيقة.

- لقد قُتلت.

- نعم، ولكن من الذي قتلها؟ ولماذا؟ وماذا حدث لجثتها؟ أين هي الآن؟

- هذا من شأن الشرطة أن يكتشفوه.

- تماماً، لكنهم لم يفعلوا بعد، وهذا يعني أن الرجل كان ذكياً... ذكياً جداً. لا أستطيع أن أتصور كيف تخلص منها. عندما تقتلين امرأة في نوبة من الهيجان لابد أن يكون ذلك عملاً غير مدبر مسبقاً. فلا يمكن أن تختاري قتل امرأة في مثل هذه الظروف عندما يكون القطار قد أوشك على الوصول إلى محطة كبيرة. لا، لا بد أنها كانت شجاراً... غيرة... شيئاً من هذا. تخنقينها فيكون بين يديك جثة والقطار على وشك الوصول إلى المحطة. ما الذي تستطيعين عمله سوى ما قلته في البداية: أن تضعي الجثة في إحدى الزوايا لتبدو وكأنها نائمة مخفية وجهها، ثم تغادري القطار بأسرع وقت ممكن. هذا هو الاحتمال الذي فكرتُ فيه بدايةً، ولكن لا بد من وجود احتمال آخر.

استغرقت الآنسة ماربل بالتفكير، وكلمتها السيدة ماغليكدي مرتين قبل أن تجيبها.

- لقد بدأت تفقدين سمعك يا جين.

- ربما بعض الشيء. بتُّ أحسُّ أن الناس لا ينطقون الكلمات بما عهدته منهم من وضوح، ولكن لا يعني هذا أنني لم أسمعك. أخشى أنني لم أصغِ إليك فحسب.

- أردت أن أسألك عن القطارات المتجهة إلى لندن غداً. هل ترين قطار بعد الظهر مناسباً؟ سوف أذهب لزيارة مارغريت وهي لا تتوقع قدومي قبل العصر.

- تستطيعين الذهاب بقطار الثانية عشرة والربع. يمكننا تناول الغداء بالطبع، كما أن...

أكملت الآنسة ماربل حديثها متجاهلة كلام صديقتها: كما أنني أتساءل أيضاً إن كانت مارغريت ترى بأساً في تأخرك لبعض الوقت... في وصولك عند السابعة مثلاً؟

نظرت السيدة ماغليكدي إلى صديقتها نظرات فضولية وقالت: ماذا يدور في ذهنك يا جين؟

- أقترح عليك أن أسافر معك إلى لندن ثم نسافر معاً إلى براكهامبتن مرة أخرى في القطار الذي سافرت فيه عندما جئت إلى هنا أول مرة. يمكنك بعدها أن تعودي إلى لندن من براكهامبتن ثم أرجع إلى هنا كما فعلت أنت. أنا سأدفع ثمن التذاكر بالطبع.

شددت الآنسة ماربل على عبارتها الأخيرة بقوة. وتجاهلت السيدة ماغليكدي الجانب المالي من الأمر وسألتها: ما الذي تتوقعينه بالله عليك يا جين؟ جريمة قتل أخرى؟

هزت الآنسة ماربل رأسها وهي تقول: كلا بالتأكيد، لكنني أريد أن أرى بنفسي وتحت إشرافك الـ.. الـ.. أجد من الصعب العثور على العبارة الصحيحة، ولكن لأقل إنني أريد رؤية «ساحة الجريمة».

وهكذا، في صباح اليوم التالي، وجدت الآنسة ماربل والسيدة ماغليكدي نفسيهما جالستين على مقعدين متقابلين في عربة الدرجة الأولى في قطار الخامسة إلا عشر دقائق المنطلق من محطة بادينغتن في لندن. كانت محطة بادينغتن أكثر ازدحاماً من يوم الجمعة الذي سبق حيث لم يبقَ سوى يومين لحلول عيد الميلاد، لكن قطار الساعة الخامسة إلا عشر دقائق كان هادئاً نسبياً... في جزئه الخلفي على الأقل.

وفي هذه المرة لم يسر بمحاذاته أي قطار كما لم يسر هو بمحاذاة أي قطار، ولكن بعض القطارات كانت تمر بسرعة خاطفة في الاتجاه المعاكس إلى لندن. وفي مرتين عبرَ في الاتجاه المقابل قطاران بسرعة البرق. كانت السيدة ماغليكدي تنظر إلى ساعتها من وقت لآخر، بارتياب.

- من الصعب معرفة متى... كنا قد مررنا بمحطة أعرفها...

لكنهما كانتا تعبران محطات مختلفة بشكل مستمر.

قالت الآنسة ماربل: سنصل إلى براكهامبتن خلال خمس دقائق.

ظهر مفتش التذاكر عند المدخل. رفعت الآنسة ماربل عينيها متسائلة، وهزت السيدة ماغليكدي رأسها بالنفي؛ إذ لم يكن هو نفسه مفتش التذاكر. ثقب المفتش تذكرتيهما ثم خرج مترنحاً بينما كان القطار ينعطف في منحنىً طويل، وأبطأ القطار سرعته وهو على هذه الحال.

قالت السيدة ماغليكدي: أظن أننا وصلنا إلى براكهامبتن.

- إننا ندخل ضواحيها كما أظن.

كانت الأضواء تلمع في الخارج، وخفّتْ سرعة القطار أكثر، وبدأ يعبر نقاط التحويل. قالت السيدة ماغليكدي: سنصل خلال دقيقة، ولا أرى أن هذه الرحلة قد أفادتنا بأي شيء أبداً. هل أوحت لك بأي شيء يا جين؟

قالت الآنسة ماربل بارتياب: أخشى ألاّ تكون كذلك.

- مجرد خسارة محزنة للمال.

قالتها السيدة ماغليكدي باستياء أقل مما لو كانت هي التي دفعت النقود (وقد كانت الآنسة ماربل مصرة تماماً في موضوع دفع الأجور). قالت: مع ذلك يحب المرء أن يرى مكان حدوث الشيء بأم عينه. لقد تأخر هذا القطار بضع دقائق. هل وصل قطارك يوم الجمعة في موعده المحدد؟

- أظن ذلك. أنا لم أنتبه في الواقع.

توقف القطار في محطة براكهامبتن المزدحمة. أعلنت الإذاعة الداخلية بصوت أجش وصول القطار، وفتحت الأبواب وأغلقت ودخل الناس وخرجوا وتحركوا فوق الرصيف جيئة وذهاباً.

كان مشهداً مزدحماً جداً.

رأت الآنسة ماربل أنه من السهل بالنسبة لقاتل أن يتوارى بين هذه الحشود ويغادر المحطة وسط هذه الجموع المتدافعة، أو حتى أن يختار عربة أخرى ويكمل رحلته في نفس القطار إلى وجهته النهائية. من السهل أن يكون رجلاً بين رجال كثر، ولكن ليس من السهل أن يجعل جثة تتوارى وتختفي هكذا. لا بد أن تلك الجثة موجودة في مكان ما.

كانت السيدة ماغليكدي قد نزلت من القطار ووقفت على الرصيف تتحدث مع الآنسة ماربل الجالسة في مقعدها من خلال النافذة: انتبهي على نفسك يا جين حتى لا تصابي بالبرد. إنه طقس

متقلب في مثل هذا الوقت من العام، وأنت لم تعودي شابة كما كنت.

قالت الآنسة ماربل: أعرف.

- كما لا نريد أن نزعج أنفسنا أكثر مما فعلنا بخصوص هذا الأمر؛ فقد بذلنا كل ما في وسعنا.

أومأت الآنسة ماربل وقالت: لا تقفي في البرد يا إلسبث، وإلا فستكونين أنت التي تصابين بالمرض. اذهبي وتناولي فنجاناً من الشاي الحار في مقهى المحطة. يوجد وقت، فلديك اثنتا عشرة دقيقة قبل أن يعود قطارك إلى المدينة.

- سوف أفعل. وداعاً يا جين.

- وداعاً يا إلسبث. أرجو أن تجدي مارغريت بخير. متعي نفسك جيداً في سيلان وبلغي حبي لرودرك... إن كان يتذكرني، وهو ما أشك فيه.

- إنه يتذكرك بالطبع... يتذكرك جيداً. لقد ساعدتِه بطريقة ما عندما كان طالباً في المدرسة. كان الأمر يتعلق بنقود تختفي من إحدى الخزائن في المدرسة، وهو لم ينسَ ذلك أبداً.

- آه، تذكرت ذلك!

ثم ذهبت السيدة ماغليكدي وانطلقت صافرة القطار وبدأ يتحرك. راقبت الآنسة ماربل صديقتها البدينة وهي تبتعد. تستطيع

السبث الآن أن تذهب إلى سيلان دون أن تشعر بالندم؛ فقد قامت بواجبها وتحررت من أي التزام آخر.

لم تسند الآنسة ماربل ظهرها إلى مقعدها عندما بدأ القطار بزيادة سرعته، وبدلاً من ذلك جلست منتصبة وغرقت في بحر أفكارها. ورغم أن الآنسة ماربل كانت تبدو مشوشة في كلامها قليلة الدقة، إلا أنها -في تفكيرها- صافية الذهن وحادة الذكاء. كانت لديها مشكلة تريد حلها؛ مشكلةُ تصرُّفها المستقبلي الخاص، والغريب أن هذه المشكلة قد طرحت نفسها عليها كما سبق أن طرحت نفسها على السيدة ماغليكدي، أي باعتبارها قضية واجب.

لقد قالت السيدة ماغليكدي إنهما بذلتا كل ما تستطيعانه. وكان ذلك صحيحاً بالنسبة لصديقتها، ولكن الآنسة ماربل لم تشعر بمثل ذلك الاطمئنان لذلك.

أحياناً تكون المسألة مسألة استخدام مواهب الشخص الخاصة، ولكن ربما كان ذلك غروراً، إذ ما الذي يمكنها أن تفعله؟ تذكّرت -مرة أخرى- كلمات صديقتها: "أنت لم تعودي شابة كما كنت...". جلست الآنسة ماربل تزن -بهدوء- الحقائق المتوفرة لها في عملها، مثل الجنرال الذي يخطط لحملة عسكرية أو المحاسب الذي يقوّم مشروعاً. بالنسبة للنواحي الإيجابية كان أمامها (كما فكّرت) ما يلي:

خبرتي الطويلة في الحياة وفي الطبيعة البشرية.

ديرموت كرادوك الذي يعمل الآن مفتشاً في شرطة سكوتلانديارد. إن صديقي العزيز (السير هنري) هو عرّابه، ولن يتردد كرادوك في مساعدتي.

ديفيد، الولد الثاني لابن أخي ريموند، والذي يعمل
في شركة خطوط السكك الحديدية البريطانية.

ابن غريزلدا، ليونارد، الخبير جداً في الخرائط.

استعرضت الآنسة ماربل هذه الإيجابيات وأقرتها. كانت كلها ضرورية جداً لتعويض نقطة ضعفها المتمثلة في تقدمها في السن وعجزها عن الحركة. وقالت في نفسها: لا أستطيع الذهاب من مكان لآخر لأقوم بالتحريات وأكتشف الحقائق.

نعم، تلك هي المشكلة التي تواجهها؛ عمرها وضعفها. وبالرغم من أن صحتها كانت جيدة بالنسبة لعمرها، إلا أنها كبيرة في السن. فإذا كان الدكتور هيدوك قد حظر عليها بشدة أن تقوم بأي عمل في الحديقة فليس من الممكن أن يوافق على أن تخرج لمطاردة قاتل خطير... لأن ذلك -عملياً- هو ما كانت تخطط له! وهنا -أيضاً- كانت الثغرة في عزمها؛ فلئن كانت جرائم القتل قد فرضت نفسها فرضاً عليها فيما مضى، فإنها ستكون هي التي تجري عامدة سعياً وراءها في هذه الحالة. ولم تكن واثقة أنها تريد فعل ذلك؛ فقد كانت كبيرة بالسن... كبيرة ومتعَبة. أحست في تلك اللحظة، وفي نهاية يوم متعب، بتردد بالغ في الدخول في أي مشروع. لم تُرِد الآن شيئاً سوى السير إلى بيتها والجلوس إلى جانب النار مع وجبة طعام لذيذة تذهب بعدها إلى النوم، ثم تشغل نفسها -في اليوم التالي- بقص بعض النباتات في الحديقة وترتيبها دون أن تحني ظهرها ودون أن تجهد نفسها.

قالت الآنسة ماربل تخاطب نفسها وهي تنظر عبر النافذة بذهن

شارد إلى الخط المنحني لسكة القطار: إنني كبيرة على أي مغامرات أخرى.

المنحني...

تحرك في رأسها شيءٌ ما بشكل غامض، وتذكّرت: بعدما خرم مفتش التذاكر تذكرتيهما مباشرة...

جاءتها فكرة، مجرد فكرة. ولكنها فكرة مختلفة تماماً.

احمر وجه الآنسة ماربل قليلاً، وفجأة لم تشعر بأي تعب أبداً! قالت تخاطب نفسها: سأكتب رسالة لديفيد صباح الغد.

ثم لمعت في ذهنها، وفي نفس الوقت، فكرة رصيد آخر بالغ القيمة: بالطبع، عزيزتي المخلصة فلورنس!

* * *

بدأت الآنسة ماربل خطة حملتها بأسلوب منهجي آخذة بعين الاعتبار موسم عيد الميلاد الذي كان -دون شك- عامل تأخير.

كتبت لديفيد وست (ابن ريموند ابن أخيها) تطلب منه بعض المعلومات بإلحاح، وضمّنت الخطاب أمنياتها السعيدة له بمناسبة عيد الميلاد.

ولحسن حظها فقد كانت مدعوة -كما هي العادة كل سنة- إلى بيت الكاهن لتناول العشاء ليلة العيد، وهناك استطاعت الحديث مع ليونارد الشاب حول الخرائط. كانت هواية ليونارد تشمل الخرائط من جميع الأنواع، ولم يثر فضوله سبب استفسار السيدة العجوز

عن خريطة كبيرة ومفصلة لمنطقة معينة. تحدّث معها عن الخرائط بوجه عام بكفاءة عالية وكتب لها ما يمكن أن يناسب طلبها تماماً، بل إنه قام بما هو أفضل من ذلك، إذ تذكر إن لديه خريطة ضمن مجموعته فأعارها لها، ووعدته الآنسة ماربل بأن تعتني بها كثيراً وتعيدها إليه عما قريب.

* * *

قالت غريزلدا تخاطب ابنها ليونارد: خرائط! ما الذي تريده من الخرائط؟ أقصد لماذا تريدها؟

- لا أدري، لا أظنها أخبرتني عما تريده منها بالضبط.

- ترى... يبدو لي ذلك أمراً مريباً! إن عجوزاً في مثل سنها يجب أن تتخلى عن مثل هذه الأعمال.

سألها ليونارد أيةَ أعمال تقصد فأجابته أمه: آه، دس الأنف في كل الأمور. ترى لماذا تريد الخرائط؟

تسلمت الآنسة ماربل رسالة في الوقت المناسب من ديفيد وست، ابن ابن أخيها. كانت الرسالة تقول:

عمتي العزيزة جين،

ما الذي تخططين له؟ حصلت على المعلومات التي أردتِها. يوجد قطاران فقط يمكن أن ينطبق عليهما سؤالك: قطار الساعة الرابعة وثلاث وثلاثين دقيقة وقطار الخامسة. الأول قطار بطيء ويتوقف في هيلنغ

برودواي وبارويل هيث وبراكهامبتَن ثم ينتهي في محطة ماركت بيسنغ. أما قطار الساعة الخامسة فهو قطار ويلز السريع المتجه إلى كارديف ونيوبورت وسوانسي. يمكن لقطار الساعة الخامسة إلا عشر دقائق أن يلحق الأول في مكان ما، رغم أنه يصل إلى براكهامبتن قبله بخمس دقائق، أما الأخير فيمر من جانب قطار الخامسة إلا عشر دقائق قبل براكهامبتن تماماً.

هل أشك -من كل ذلك- بوجود فضيحة دسمة في القرية؟ هل لاحظتِ وأنت عائدة إلى البلدة في قطار الساعة الخامسة إلا عشر دقائق -بعد رحلة تسوق- زوجة العمدة يعانقها مفتش الصحة في قطار مر من جانب قطارك؟ ولكن لماذا أنت مهتمة بمعرفة أي قطار كان؟ شكراً لك على الكنزة؛ كانت ما أحتاجه بالضبط. كيف هي حديقتك اليوم؟ لا أظنها جميلة ومنعشة في مثل هذا الوقت من السنة.

المخلص: ديفيد

ابتسمت الآنسة ماربل قليلاً ثم فكرت بالمعلومات التي قُدمت لها. لقد جزمت السيدة ماغليكدي بأن العربة كانت مستقلة لا يخترقها ممر إلى العربات الأخرى، ولذلك فليس القطار المقصود قطار سوانسي السريع، وهذا يشير -إذن- إلى قطار الساعة الرابعة وثلاث وثلاثين دقيقة.

إن المزيد من السفر مسألة لا مفر منها. تنهدت الآنسة ماربل لكنها وضعت خططها. ذهبت إلى لندن -كالمرة السابقة- في قطار

الثانية عشرة والربع، لكنها لم تعد هذه المرة في قطار الخامسة إلا عشر دقائق، بل في قطار الرابعة وثلاث وثلاثين دقيقة إلى براكهامبتن. كانت الرحلة خالية من الأحداث لكنها سجلت بعض التفصيلات. لم يكن القطار مزدحماً حيث أن هذا الوقت كان يسبق ساعة الازدحام في المساء، وكانت عربة واحدة فقط من عربات الدرجة الأولى مشغولة، وكان شاغلها رجلاً عجوزاً يقرأ إحدى المجلات. ركبت الآنسة ماربل مقصورة خالية وعندما توقف القطار في كل من هالنغ برودوي وبارويل هيث أطلت من النافذة لترقب الركاب وهم يدخلون القطار ويخرجون منه. ركب عدد قليل من الركاب عربات الدرجة الثالثة في هالنغ برودوي، أما في باروبل هيث فقد خرج الكثير من ركاب الدرجة الثالثة. لم يدخل أحد عربات الدرجة الأولى أو يخرج منها باستثناء الرجل العجوز الذي كان يحمل مجلته. وبينما كان القطار يقترب من براكهامبتن ويدور في أحد المنعطفات السريعة، وقفت الآنسة ماربل -على سبيل التجربة- وظهرها إلى النافذة التي كانت قد أسدلت ستائرها.

فكرت قائلة لنفسها: "إن قوة الانعطاف المفاجئ للقطار (مع تقليل السرعة) من شأنه أن يربك توازن المرء ويلقيه إلى الخلف ليصطدم بالنافذة، ويمكن للستارة -نتيجةً ذلك- أن ترتفع فجأة بسهولة". أطلّت تنظر إلى عتمة الليل؛ كانت العتمة شديدة ولم يكن إلا القليل مما يمكن رؤيته، وحتى ترى لا بد أن تقوم برحلة أخرى في وضح النهار.

في صباح اليوم التالي ذهبت في قطار الصباح المبكر واشترت أربعة أغطية للوسائد لكي تجمع بين التحري وتلبية متطلبات المنزل،

ثم عادت في قطارٍ يغادر بادنغتن في الساعة الثانية عشرة والربع. ومرة أخرى كانت وحدها في عربة الدرجة الأولى.

وقبل أن يصل القطار إلى براكهامبتن بنحو ربع ساعة أخرجت الآنسة ماربل الخريطة التي استعارتها من ليونارد وبدأت ترقب المناطق الريفية. كانت قد درست الخريطة دراسة دقيقة مسبقاً، وبعد أن قرأت اسم إحدى المحطات التي مر بها القطار استطاعت أن تحدد أين هي حين بدأ القطار في إبطاء سرعته عند أحد المنعطفات. كان منعطفاً كبيراً جداً، وقربت الآنسة ماربل وجهها إلى النافذة ونظرت إلى الأرض تحتها (كانت الأرض منخفضة تماماً على جانبي القطار). كانت تنظر بانتباه شديد، ووزعت انتباهها بين أراضي الريف خارج القطار وبين الخريطة التي بيدها إلى أن دخل القطار -في نهاية الأمر- إلى براكهامبتن.

في تلك الليلة كتبت رسالة وأرسلتها إلى الآنسة فلورنس هِل في المنزل رقم ٤ بشارع مادِسون في براكهامبتن. وفي صباح اليوم التالي توجهت إلى المكتبة العامة ودرست الدليل الجغرافي للمنطقة بالإضافة إلى تاريخ المقاطعة.

لم تجد -حتى الآن- ما يتنافى مع تلك الفكرة الباهتة العامة التي خطرت لها؛ فما تخيلته كان ممكناً. لن تذهب أبعد من ذلك، فالخطوة التالية كانت تتطلب عملاً... عملاً كثيراً، عملاً لم يكن يناسب قدراتها البدنية. وإذا كان لها أن تتثبت من صحة نظريتها أو بطلانها فلا بد أن تحصل -في هذه المرحلة- على مساعدةٍ من مصدر آخر. كان السؤال هو... من هو؟ استعرضت الآنسة ماربل

أسماء واحتمالات مختلفة ورفضتها جميعاً بهزة غيظ قوية من رأسها؛ فالناس الأذكياء الذين يمكن أن تعتمد على ذكائهم مشغولون جداً. إنهم لا يعملون فقط في وظائف مختلفة ومهمة بل إن أوقات فراغهم أيضاً تكون -في العادة- مخصصة لمواعيد محددة مسبقاً قبل فترة طويلة. أما غير الأذكياء الذين يملكون الوقت الكثير فقد قررت الآنسة ماريل أنهم لا ينفعون.

فكرت في الأمر وقد ازدادت حيرتها وغضبها. ثم انفرجت أساريرها فجأةً وصاحت بصوت عال: بالطبع! لوسي آيلسبارو!

* * *

الفصل الرابع

كان اسم لوسي آيلسبارو قد اكتسب بعض الشهرة في أوساط معينة. كانت في الثانية والثلاثين من عمرها، وقد حازت على المرتبة الأولى في الرياضيات في جامعة أكسفورد، وكانت معروفة بامتلاكها عقلاً ذكياً. وكان متوقعاً لها أن تعمل في وظيفة أكاديمية رفيعة.

لكن لوسي آيلسبارو كانت تملك -بالإضافة إلى ذكائها الأكاديمي- الفطرة السليمة والقدرة على الحكم الصائب. لقد رأت أن حياة التميز الأكاديمي ليست بالحياة المجزية كثيراً. لم تكن لديها أية رغبة في ممارسة مهنة التعليم وكانت تستمتع بالاتصال بأناس ذوي ذكاء أقل من ذكائها. وباختصار، كان لديها ميل للناس؛ كل الناس... وليس مع نفس الناس دائماً. كما كانت -بصراحة- تحب المال؛ فمن أجل كسب المال لا بد للمرء أن يستغل النقص والحاجة.

وقد عثرت لوسي آيلسبارو فوراً على أزمة نقص وعجز خطيرة يمكن استغلالها؛ تلك هي النقص الحاد في مدبرات المنازل القديرات. وقد أدهشت أصدقاءها وزملاءها عندما دخلت مجال العمل المنزلي. كان نجاحها فورياً وأكيداً، وبعد بضع سنوات على

عملها أصبحت الآن معروفة في جميع أنحاء البلاد. كان من المألوف جداً أن تقول المرأة لزوجها وهي مبتهجة: "لا بأس، يمكنني أن أسافر معك؛ فعندي لوسي آيلسبارو!". وكانت سمعتها -في هذا المقام- هي أنها بمجرد أن تدخل بيتاً فإن القلق والضيق والتعب يغادرونه. وقد قامت لوسي بكل شيء وعالجت كل شيء ورتبت كل شيء، وكانت كفاءتها في كل مجال لا تصدق. كانت تعتني بالعجائز وقبلت العناية بالأطفال الصغار وقامت بتمريض من كان مريضاً وكانت تطهو الطعام بطريقة بارعة ورائعة، وأقامت علاقات جيدة مع كل الخدم إن وُجد خدم (وفي العادة لا يوجد)، وكانت لبقة مع كل الناس الذين لا يُحتملون. والأفضل من هذا كله أنها لم تكن تتذمر من طبيعة ما يوكل إليها من عمل؛ فكانت تمسح أرضية المطبخ وتحفر في الحديقة وتنظف بيوت الكلاب ومخازن الفحم!

كان أحد شروطها ومبادئها ألاّ تقبل أبداً أي عمل لفترة طويلة. كانت فترة العمل المعتادة التي تقبل بها أسبوعين فقط، وشهراً واحداً على أقصى تقدير في الظروف الاستثنائية. كان عليك أن تدفع مبالغ طائلة مقابل هذين الأسبوعين، ولكن أثناء هذين الأسبوعين تصبح حياتك نعيماً. تستطيع أن ترتاح تماماً وتسافر إلى الخارج أو تبقى في بيتك وتفعل ما تشاء مطمئناً إلى أن كل شيء في البيت يسير سيراً حسناً بين يدي لوسي آيلسبارو القديرة.

وكان طبيعياً أن يكون على خدماتها طلب كبير. كان بوسعها -لو أرادت- أن تبقي نفسها محجوزة سلفاً لأكثر من ثلاث سنوات، وقد عرض بعضهم عليها مبالغ ضخمة لتعمل عندهم بشكل دائم، ولكنها لم تكن تعتزم العمل عند أحد بصورة دائمة، كما أنها لم تكن تحجز

نفسها لأكثر من ستة أشهر مقدماً. وفي أثناء تلك الفترة كانت تحتفظ لنفسها -دون أن يدري عملاؤها- بفترات راحة إما لقضاء إجازة مترفة باهظة التكاليف (إذ أنها لم تكن تصرف شيئاً غير ذلك، وكانت أجورها وطلباتها مستجابة) وإما لقبول عمل مفاجئ يصادف أن ينال إعجابها بسبب طبيعته أو بسبب حبها لمن طلب منها القيام به.

وحيث أنها الآن حرة في اختيار زبائنها الذين يقبلون على خدماتها (وهم كثر) فإنها تختارهم حسب ميلها نحوهم وإعجابها بهم. إن مجرد الغنى والثروة لا يؤهلك لشراء خدمات لوسي. كانت تستطيع اختيار زبائنها كما تريد، وكانت تستمتع بحياتها كثيراً وتجدها مصدراً مستمراً للمتعة.

قرأت لوسي آيلسبارو رسالة الآنسة ماريل أكثر من مرة. كانت قد تعرفت إلى الآنسة ماريل قبل سنتين عندما استعان الروائي ريموند وست بخدماتها لتقوم على رعاية العجوز (أي الآنسة ماريل) التي كانت تتعافى من مرض ذات الرئة، وقد قبلت لوسي الوظيفة وذهبت إلى قرية سينت ميري ميد للعناية بالآنسة ماريل... وأحبت لوسي الآنسة ماريل كثيراً. أما بالنسبة للآنسة ماريل فما أن لمحت لوسي من نافذة غرفتها وهي تحفر لزراعة البازلاء العطرة بطريقة صحيحة حتى عادت لتتكئ على وسادتها مرتاحة مطمئنة، ثم أخذت تلتهم وجبات الطعام اللذيذة التي تحضرها لها بحيث أدهشت طبيبها بسبب شفائها السريع.

كتبت الآنسة ماريل تطلب من الآنسة آيلسبارو أن تقوم بمهمة معينة لصالحها، وهي مهمة غير عادية. وطلبت منها تدبير لقاء لمناقشة المسألة بينهما.

قطبت لوسي آيلسبارو جبينها لحظة وهي تفكر. كانت مشغولة جداً في الواقع، ولكن عبارة «مهمة غير عادية» وما تتذكره من شخصية الآنسة ماربل هما اللذان انتصرا في النهاية، فاتصلت بالآنسة ماربل مباشرة شارحة لها أنها ستكون حرة ما بين الساعة الثانية والرابعة من بعد ظهر الغد وتستطيع لقاءها في أي مكان في لندن. وقد اقترحت أن يكون ذلك في ناديها الخاص، وهو ناد غريب فيه عدة غرف صغيرة للكتابة تكون فارغة في العادة.

قبلت الآنسة ماربل هذا الاقتراح فجرى اللقاء في اليوم التالي.

تبادلت السيدتان التحيات ثم أخذت لوسي ضيفتها إلى غرفة مظلمة من غرف الكتابة وقالت: أخشى أن أكون مشغولة في الوقت الحاضر، ولكن بإمكانك أن تخبريني بالذي تريدين مني عمله.

قالت الآنسة ماربل: الأمر بسيط للغاية. بسيط ولكنه غريب... أريدك أن تعثري لي على جثة!

خيل للوسي -للحظات- بأن الآنسة ماربل قد تكون مجنونة أو معتوهة، ولكنها طردت هذا الخاطر؛ فقد كانت الآنسة ماربل راجحة العقل، وكانت تعني ما تقوله بالضبط.

سألتها لوسي برباطة جأش تثير الإعجاب: أي نوع من الجثث؟

- جثة امرأة؛ امرأة قُتلت... أو خُنقت في الواقع، في قطار.

رفعت لوسي حاجبيها قليلاً وقالت: حسناً، هذا غريب بالتأكيد. أخبريني عن الأمر.

أخبرتها الآنسة ماربل. أصغت لوسي آيلسبارو باهتمام دون أن تقاطعها، وعندما انتهت قالت: يعتمد الأمر على ما رأته صديقتك... أو ظنت أنها رأته...

تركت الجملة دون أن تكملها وكأنها سؤال.

- إلسبث لا تتخيل أشياء، وهذا ما يدعوني للاعتماد على ما قالته. لو كانت دوروثي كارترايت لكان الأمر مختلفاً تماماً. فدوروثي عندها دائماً قصة محبوكة غالباً ما تصدقها هي أولاً، ويكون فيها في العادة أساس من حقيقة، ولكن ليس أكثر من ذلك بالتأكيد. أما إلسبث فامرأة يصعب أن تقنع نفسها بتصديق إمكانية وقوع شيء غريب وعلى غير العادة. إنها امرأة لا تتأثر بالإيحاء، بل هي أصلب من الصخر.

- فهمت. حسناً، لنقبل ما قالته كله. ما هو دوري في هذا الأمر؟

- لقد أعجبتني كفاءتك كثيراً، وكما ترين فإنني لا أملك القوة البدنية لأتحرك وأقوم بهذا العمل بنفسي.

- هل تريدين مني القيام بالتحريات أو شيئاً من هذا النوع؟ ولكن ألا يفترض أن يقوم الشرطة بهذا كله، أم أنت ترين أنهم يهملون واجباتهم؟

- لا، إنهم لم يقصروا بواجبهم. الأمر هو أن لديّ نظريةً حول جثة المرأة: لا بد أن تكون في مكان ما، وإذا لم توجد في القطار فلا بد -إذن- أن تكون قد ألقيت خارجه في مكان ما. ولكن أحداً

لم يعثر عليها على خط السكة الحديدية، ولذلك فقد سافرت في نفس القطار لأرى إن كان يوجد مكان يمكن إلقاء الجثة فيه خارج القطار دون أن يعثروا عليها، وقد وجدت مكاناً. إن خط السكة الحديدية ينعطف في منحنى كبير قبل أن يصل إلى براكهامبتن فوق مرتفع تنخفض الأرض حوله. ولو ألقيت جثة خارج القطار هناك -والقطار ينحرف في زاوية حادة- فإنني أظن أن من شأنها أن تسقط مباشرة إلى منخفض الأرض ذلك.

- ولكن كان يمكن العثور عليها، حتى في ذلك المكان؟

- آه، كان سيتعين إبعادها من هناك. لكتنا سنناقش هذا الأمر في الحال: ها هو المكان، على هذه الخريطة؟

انحنت لوسي لتفحص المكان الذي كانت الآنسة ماربل تشير إليه بأصبعها. قالت الآنسة ماربل: إنه حقل في ضواحي براكهامبتن تماماً الآن، لكنه كان -في الأصل- بيتاً ريفياً له حديقة واسعة وتتبعه أراضٍ كبيرةٌ ممتدة، وهو ما زال موجوداً هناك دون أن يلمسه أحد... محاطاً بالمباني والبيوت الصغيرة. إنه يُدعى «رذرفورد هول»، وقد بناه عام ١٨٨٤ رجل يُدعى كراكثورب، وكان رجل صناعة ثرياً جداً. إن ابن كراكثورب الأصلي رجل كهل الآن وما زال يعيش هناك مع ابنته كما علمت. وخط القطار يلتف حول نصف أراضي الحقل تقريباً.

- وما الذي تريدين مني عمله؟

أجابتها الآنسة ماربل على الفور: أريدك أن تحصلي على عمل هناك. الكل يصرخون الآن طلباً لمدبرات قديرات في منازلهم، ولا أظن أن حصولك على عمل هناك مسألة صعبة.

- لا، لا أظن أنها ستكون صعبة.

- علمت أن السيد كراكثورب معروف بين أهل منطقته بالبخل إلى حد ما. إذا قبلتِ براتب منخفض فسوف أعوضك عن الفرق حتى يصل إلى مبلغ أكبر من المعدل الذي تتقاضينه حالياً.

- بسبب الصعوبة؟

- ليس بسبب الصعوبة بقدر ما هو بسبب الخطر؛ فقد يكون العمل خطيراً... من الحكمة أن أحذرك من هذا.

قالت لوسي متأملة: لا أظن أن فكرة الخطر يمكن أن تعيقني.

- ولا أنا ظننت فيك ذلك، فأنت لست من هذا النوع.

- لعلك رأيتِه أمراً ربما يجذبني؟ لم أواجه في حياتي إلا القليل من المخاطر، ولكن هل تعتقدين أنه قد يكون عملاً خطيراً بالفعل؟

- لقد ارتكب شخصٌ ما جريمةً ناجحة جداً. لم يسمع أحد صرخات أو ضجة ولم تثر أية شكوك حقيقية. سيدتان كبيرتان سردتا قصة لا يمكن تصديقها، وقد تحقق الشرطة من تلك القصة ولم يجدوا فيها شيئاً يلفت النظر؛ ولذلك فإن كل شيء -بالنسبة لذلك المجرم- رائع وهادئ. ولا أظنه سينتبه إلى احتمال إثارة هذه القضية مجدداً.

- ما الذي تريدين مني أن أبحث عنه بالضبط؟

- أي إشارات على طول المنخفض الموازي لسكة القطار...

قطعة من قماش، أو أغصان مكسورة، شيء من هذا النوع.

أومأت برأسها وقالت: وبعدها.

- سأكون قريبة منك. لي خادمة قديمة (خادمتي المخلصة فلورنس) تعيش في براكهامبتن. كانت تعتني بوالديها العجوزين لسنوات طويلة وكلاهما الآن ميت، وهي تؤجر غرفاً في بيتها... لأناس محترمين. وقد دبرت لي غرفة معها هناك، وستقوم على رعايتي بإخلاص. أشعر برغبتي في أن أكون في مكان قريب؛ ولذا أقترح أن تذكري لهم أن لك عمة عجوزاً تعيش في منطقة قريبة وأنك تريدين عملاً قريباً منها حتى تذهبي لزيارتها بين الفينة والأخرى.

أومأت لوسي مرة أخرى وقالت: كنت سأذهب إلى تورمينا لقضاء إجازة بعد غد، ولكن يمكن تأجيل دلك. على أني لا أستطيع أن أعد إلا بالعمل لثلاثة أسابيع فقط؛ فأنا محجوزة بعد ذلك.

- ثلاثة أسابيع فترة كافية. إذا لم نستطع العثور على أي شيء خلال ثلاثة أسابيع فمن الأفضل أن نتخلى عن العمل كله باعتباره وهماً خادعاً.

غادرت الآنسة ماريل. وفكّرت لوسي للحظات قبل أن تتصل بمكتب التسجيل في براكهامبتن حيث كانت تعرف مديرته جيداً. أوضحت لها رغبتها في العمل في منطقة قريبة حتى تكون قرب عمتها. وبعد أن رفضت -بشيء من الصعوبة وكثير من الذكاء- عدة عروض أكثر إغراء ذكرت لها مديرة المكتب اسم «رذرفورد هول».

قالت لوسي جازمة: هذا ما أريده بالضبط.

اتصل مكتب التسجيل بالآنسة كراكثورب فاتصلت الأخيرة بلوسي.

بعد ذلك بيومين غادرت لوسي لندن في طريقها إلى «رذرفورد هول».

* * *

عبرت لوسي آيلسبارو بسيارتها الخاصة الصغيرة بوابة حديدية ضخمة مهيبة. كان هناك داخل البوابة مباشرة ما كان في الأصل بيتاً صغيراً للحارس، لكنه يبدو اليوم مهجوراً ومتداعياً إما بسبب الخراب الذي أحدثته الحرب أو بسبب الإهمال، وكان هناك طريق طويل متعرج يتخلل شجيرات الورد المتشابكة الكبيرة ليفضي إلى البيت. حبست لوسي أنفاسها عندما رأت المنزل الذي كان أقرب إلى نموذج مصغر من قلعة ويندسور. كان من شأن الدرج الحجري أمام الباب أن يبدو أفضل إذا ما توفرت له بعض العناية، وكان المنحدر المكسو بالحصى مخضرّاً بنباتات مهملة. سحبت خيطاً خاصاً بجرس حديدي قديم فسمعت صداه بعيداً داخل البيت.

فتحت البابَ امرأةٌ قذرة كانت تمسح يديها بمريولها ونظرت إليها نظرات ارتياب وقالت: أأنت من تنتظره سيدتي؟ قالت إن الآنسة بارو ستأتي...

قالت لوسي: هذا صحيح.

كان البيت شديد البرودة من الداخل. أخذتها دليلتها ودخلت بها صالة معتمة ثم فتحت أحد الأبواب جهة اليمين، وقد دهشت

لوسي عندما رأت أمامها غرفة جلوس تبعث في النفس الارتياح وفيها كتب وكراسي منجدة.

قالت المرأة: سأخبرها.

ثم ذهبت بعد أن أغلقت الباب وهي تنظر إلى لوسي نظرة ازدراء عميق. وبعد بضع دقائق فتح الباب ثانية، وقررت لوسي -منذ اللحظة الأولى- أنها أحبت إيما كراكثورب.

كانت امرأة في وسط العمر دون مواصفات بالغة التميز، فلا هي بالجميلة ولا بالدميمة، ترتدي -باحتشام- تنورة وكنزة من الصوف، وكان شعرها الأسود مشدوداً إلى الخلف. كانت عيناها عسليتين وصوتها جميلاً.

مدت يدها وهي تقول: الآنسة آيلسبارو؟

ثم بدت متشككة وقالت: ترى، هل هذه الوظيفة هي ما تبحثين عنه؟ إنني لا أريد مدبرة منزل تشرف على الأعمال في البيت، بل أريد واحدة تقوم بهذه الأعمال بنفسها.

قالت لوسي إن ذلك هو ما يحتاجه أغلب الناس.

قالت إيما كراكثورب معتذرة: كثير من الناس يعتقدون أن نفض قليل من الغبار يفي بالغرض، لكنني أستطيع نفض الغبار بنفسي.

- أفهم هذا جيداً. تريدين امرأة تطبخ وتغسل وترتب البيت وتذكي النار في المدفأة. لا بأس بذلك؛ فهذا ما أقوم به. إنني لا أخشى العمل أبداً.

- إنه في الواقع بيت كبير علينا، ونحن نعيش في قسم منه فقط بالطبع... أعني أنا ووالدي، وهو رجل مقعد نوعاً ما. نحن نعيش حياة هادئة، ولدينا جهاز تدفئة. لديّ عدة إخوة لكنهم لا يأتون إلى هنا كثيراً. تأتينا فقط امرأتان: السيدة كيدر في الصباح والسيدة هارت ثلاثة أيام في الأسبوع لتقوم بتنظيف الأواني النحاسية وغيرها. هل لديك سيارتك الخاصة؟

- نعم، ويمكنني إيقافها في العراء إلّم يكن لها مكان هنا. إنها معتادة على ذلك!

قالت: "آه، لدينا الكثير من الإسطبلات القديمة. لا مشكلة في هذا". ثم قطبت جبينها وقالت: آيلسبارو، إنه اسم غير مألوف نوعاً ما. أخبرني بعض الأصدقاء عنك... وهم من عائلة كندي؟

- نعم. كنت معهم في نورث ديفون عندما وضعت السيدة كندي طفلاً.

ابتسمت إيما كراكنثورب وقالت: قالوا بأنهم لم يعيشوا أوقاتاً رائعة كتلك التي عاشوها عندما كنت معهم تشرفين على كل شيء. لكني عرفت أن أجرك مرتفع جداً. إن المبلغ الذي ذكرته...

قالت لوسي: لا بأس. إنني أريد -بشكل خاص- أن أكون قرب براكهامبتن؛ فلديّ عمة عجوز في حالة صحية حرجة وأريد أن أكون قريبة منها، وهذا ما يجعل الراتب مسألة ثانوية. لا أستطيع تحمل حياة بلا عمل. إن كان باستطاعتي الخروج لبعض الوقت في معظم الأيام؟

- آه، بالطبع. كل يوم بعد الظهر وحتى السادسة إن شئت؟

- هذا رائع.

ترددت الآنسة كراكتشورب لحظة قبل أن تقول: والدي رجل كهل قارب الشيخوخة وهو صعب المزاج قليلاً. إنه رجل يحب الاقتصاد كثيراً، وفي بعض الأحيان... أحياناً يقول أشياء تضايق الآخرين. لا أريد أن...

قاطعتها لوسي بسرعة: أنا معتادة على كبار السن من جميع الأنواع، وأنا أنجح دائماً في إقامة علاقات جيدة معهم.

بدا الارتياح على إيما، وفكّرت لوسي: مشكلات مع الأب! أراهن على أنه عجوز سريع الغضب.

خصصت إيما للوسي غرفة نوم كبيرة كئيبة مع مدفأة كهربائية صغيرة لم تكن تدفئ الغرفة كما ينبغي، وأخذتها في جولة حول المنزل الذي كان أقرب إلى قصر واسع غير مريح. وفيما كانتا تمران من أمام أحد الأبواب في الصالة صاح شخص مزمجراً: أهذا أنت يا إيما؟ هل أحضرت الفتاة الجديدة هنا؟ أدخليها... أريد أن أراها.

احمر وجه إيما وهي تنظر إلى لوسي معتذرة.

دخلت المرأتان الغرفة التي كانت مفروشة بالمخمل الداكن، ولم تكن نوافذها الضيقة تسمح إلا بالقليل من النور، وكانت مليئة بالأثاث الفكتوري الثقيل.

كان السيد كراكتشورب العجوز جالساً على كرسي العجزة وبجانبه عصا ذات رأس فضي. كان ضخم الجسم وقد بدا كمن أضناه الإعياء، وكان له ذقن بارز ووجه عريض القسمات، وقد تخلل

الشيب شعره الأسود الكثيف، وكانت عيناه صغيرتين يبدو فيهما شك وريبة. قال: دعينا ننظر إليك أيتها الفتاة.

تقدمت لوسي مبتسمة رابطة الجأش. قال: شيء واحد ينبغي أن تفهميه منذ البداية. إن عيشنا في بيت كبير لا يعني أننا أغنياء؛ فنحن لسنا كذلك. إننا نعيش بتقدير... أتفهمين؟ لا فائدة من المجيء إلى هنا بأفكار طنانة. إن سمك القد يفي بالغرض كأي سمك فاخر كل يوم، لا تنسي هذا. أنا لا أطيق التبذير. إنني أعيش هنا لأن والدي بنى البيت وأنا أحبه، وبعد أن أموت يمكنهم بيعه إن أرادوا... وأظنهم يريدون ذلك، فلا يوجد إحساس بمفهوم العائلة. لقد بني هذا البيت بناء جيداً. إنه قوي متين، ولدينا أرضنا الخاصة بنا حولنا مما يجعلنا بعيدين عن أعين الناس. كان يمكن أن يباع بسعر عال جداً لو بيع لاستخدامه أرضاً للبناء، ولكن هذا لن يحدث وأنا على قيد الحياة... لن تخرجوني من هنا إلا إلى قبري.

ثم نظر إلى لوسي فقالت: بيت المرء قلعته.

- أتهزئين بي؟

- كلا بالطبع. أعتقد أنه من المثير جداً أن يكون لديك مكان ريفي حقيقي والمدينة حوله.

- صحيح. أنت لا تستطيعين رؤية بيت آخر من هذا المكان، أليس كذلك؟ حقول بها أبقار... في وسط براكهامبتن تماماً. تسمعين أصوات حركة المرور قليلاً عندما تهب الريح من ذلك الاتجاه، وفيما عدا ذلك لا تزال المنطقة ريفية.

ثم أضاف دون أن يتوقف أو يغير من نبرته مخاطباً ابنته: اتصلي بذلك الطبيب الأحمق وقولي له إن الدواء الأخير لم ينفع أبداً.

خرجت إيما ولوسي، ولم يلبث أن صاح من جديد: ولا تدعي تلك المرأة القذرة تنظف الغبار هنا؛ لقد أفسدت ترتيب كتبي كلها.

سألت لوسي: منذ متى والسيد كراكثورب مريض؟

قالت إيما بشيء من التملص: آه، منذ سنوات عديدة... هذا هو المطبخ.

كان المطبخ ضخماً وبارداً ومهملاً، وفي أحد أركانه موقد التدفئة الكبير. سألتها لوسي عن أوقات الوجبات وفتشت خزانة حفظ الأطعمة، ثم قالت تخاطب إيما وهي مبتهجة: أعرف كل شيء الآن. لا تقلقي، اتركي كل شيء لي.

تنهدت إيما كراكثورب بارتياح عميق بينما كانت تصعد إلى غرفة نومها في تلك الليلة. قالت: كانت عائلة كندي على حق تماماً؛ إنها رائعة.

استيقظت لوسي من نومها في الساعة السادسة من صباح اليوم التالي. رتّبت البيت وأعدت الخضار ثم قامت بإعداد الإفطار وتقديمه، وبعد ذلك قامت مع السيدة كيدر بترتيب الأسرة، وفي الساعة الحادية عشرة جلستا تشربان الشاي في المطبخ. ارتاحت السيدة كيدر وشرعت في الثرثرة بعد أن اطمأنت إلى أن لوسي ليست متكبرة، وبعد أن فكت عذوبة الشاي لسانها. كانت امرأة صغيرة

الجسم نحيلة ذات نظرات حادة وشفتين مزمومتين.

- إنه عجوز بخيل جداً، وعليها أن تتحمل الكثير! ومع ذلك فهي ليست مضطهدة. إنها تستطيع الصمود والتحمل عندما يتوجب عليها ذلك. وحين يأتي الرجال إلى هنا فإنها تحرص على تحضير طعام جيد لهم.

- الرجال؟

- نعم، كانت عائلة كبيرة. أكبر الأولاد هو السيد إدموند (وقد قتل في الحرب). ثم السيد سدريك الذي يعيش في الخارج حيث يرسم اللوحات في بلاد أجنبية، وهو ليس متزوجاً. ثم السيد هارولد الذي يعيش في لندن، وهو متزوج بابنة أحد النبلاء. ثم السيد ألفرِد، وهو ذو أسلوب لطيف في التعامل مع الناس، ولكنه شقي العائلة إلى حد ما، وقد وقع في المشكلات أكثر من مرة. وأخيراً يوجد السيد برايان زوج إدِث، وهو رجل لطيف جداً، ماتت زوجته قبل سنوات لكنه ظل دائماً واحداً من أفراد العائلة، وألكساندر، وهو ابن إدِث الصغير. إنه في المدرسة ويأتي إلى هنا لقضاء جزء من عطلته، وإيما تحبه بشكل فظيع.

استوعبت لوسي كل هذه المعلومات وواصلت تزويد مخبرتها بالمزيد من الشاي، وفي نهاية المطاف نهضت السيدة كيدر بتردد وقالت: يبدو أننا انسجمنا كثيراً هذا الصباح. هل تريدين مني مساعدتك في تقطيع البطاطا يا عزيزتي؟

- لقد جهزتها وانتهيت منها.

- أنت خير من ينتهي من الأشياء! أستطيع أن أخرج الآن حيث لا يوجد ما أقوم به.

غادرت السيدة كيدر المطبخ وقامت لوسي -وقد أتيح لها فائض من الوقت- بتنظيف طاولة المطبخ بالفرشاة (وهو ما كانت مشتاقة لعمله لكنها كانت تؤجله حتى لا تشعر السيدة كيدر بالذنب؛ لأنه عملٌ من اختصاصها أساساً)، ثم نظّفت الأواني إلى أن أصبحت تشع نوراً، وطهت طعام الغداء وقدمته ثم غسلت الأطباق، وفي الساعة الثانية والنصف كانت على استعداد للبدء في مهمة البحث والتنقيب. وكانت قد قامت بتجهيز عدة الشاي ووضعتها فوق الصينية مع الفطائر والخبز والزبدة بعد أن لفتها بالمناديل حتى تظل طرية.

بعد ذلك ذهبت في جولة حول حدائق المنزل (وهو ما كان إجراء طبيعياً لكل من يراها). كانت حديقة المطبخ مزروعة ببعض الخضروات، وكانت البيوت الزجاجية مدمرة والأعشاب تغطي الممرات في كل مكان. كانت المنطقة المحيطة بالمنزل هي المكان الوحيد الذي يخلو من الأعشاب البرية ويبدو في حالة جيدة، وقد شكّت لوسي أن هذا بفعل إيما نفسها؛ فالبستاني رجل عجوز وضعيف وأصم إلى حد ما وكان يتظاهر بالعمل دون أن ينتج من عمله شيء. تحدثت لوسي معه بمرح ونشاط، وعرفت أنه يعيش في كوخ مجاور لساحة الإسطبلات الكبيرة.

كان وراء الإسطبلات طريق خلفي يتخلل المتنزه الذي كان مسيجاً على جانبيه ويجري تحت جسر القطار ثم ينتهي في مرجة خضراء صغيرة، وكان يمر على هذا الجسر قطارٌ ذو ضجيج شديد كل بضع دقائق. راقبت لوسي القطارات وهي تبطئ سرعتها عندما

تمر في هذا المنحنى الذي يدور في محيط أراضي كراكتشورب. مرت تحت الجسر حتى وصلت إلى المرجة، وبدا ذلك الطريق قليل الاستخدام. كان على أحد الجانبين ذلك الارتفاع من الأرض الذي ثُبِّتت عليه سكة القطار، وعلى الجانب الآخر مرتفع يحيط ببعض المباني الخاصة بأحد المصانع. سارت لوسي بمحاذاة المرجة إلى أن وصلت إلى صف من البيوت الصغيرة، وكانت تسمع عن قرب حركة المرور المزدحمة على الطريق العام. نظرت إلى ساعتها.

خرجت امرأة من أحد البيوت المجاورة فأوقفتها لوسي وقالت لها: أرجو المعذرة، هل يوجد هنا هاتف عمومي؟

- في مكتب البريد عند زاوية الطريق.

شكرتها لوسي وسارت إلى أن وصلت إلى مكتب البريد (الذي كان عبارة عن مكتب بريد وبقالة في آن واحد). كان كشك الهاتف عند أحد الزوايا، وذهبت لوسي إليه وأجرت مكالمة. طلبت أن تتحدث إلى الآنسة ماربل، وردّ عليها صوت امرأة بنبرة حادة قائلة: إنها ترتاح ولن أزعجها! إنها تحتاج إلى راحة؛ فهي سيدة مسنة. مَن المتكلم حتى أبلّغها؟

- الآنسة آيلسبارو. لا حاجة لأن تزعجيها، فقط أخبريها أنني وصلت وأن كل شيء يجري بصورة حسنة وأنني سأخبرها عندما يجدّ أي شيء.

وضعت سماعة الهاتف ثم عادت إلى رذرفورد هول.

* * *

الفصل الخامس

قالت لوسي: أظن أن الأمر سيكون طبيعياً لو أنني تمرنت على لعب الغولف في المتنزه؟

أجابتها إيما كراكتشورب: آه، نعم، بالتأكيد. هل تحبين الغولف؟

- لست ماهرة في اللعب لكنني أحب التمرين. إنه أسلوب تمرين أفضل من مجرد المشي.

زمجر السيد كراكتشورب قائلاً: لا يوجد أي مكان تمشين فيه خارج هذا المكان... لا شيء سوى أرصفة وبعض البيوت الصغيرة البائسة كأنها علب الثقاب. يريدون أخذ أرضي لبناء مزيد من هذه البيوت، لكن هذا لن يحدث وأنا على قيد الحياة.

قالت إيما كراكتشورب بلطف: اهدأ يا أبي.

- أعرف ما يفكرون فيه والذي ينتظرونه... جميعهم. سدريك وذلك الخبيث المغرور هارولد. وبالنسبة لألفرد فإنني أعجب لماذا لم يحاول التخلص مني وقتلي حتى الآن. لست واثقاً أنه لم يحاول

ذلك... في عيد الميلاد. لقد تعرضت وقتها لأعراض فظيعة حيرت الطبيب السخيف كويمبر الذي سألني الكثير من الأسئلة الخاصة على انفراد.

- الكل يصاب بعسر الهضم بين الفينة والفينة يا أبي.

- حسناً، حسناً، قوليها صراحة... قولي إنني أكلت الكثير! هذا ما تعنينه. ولماذا أكلت كثيراً؟ لأنه كان على المائدة طعام كثير، كثير جداً. إسراف وتبذير. وهذا يذكرني... أنت أيتها الشابة، لقد أرسلت خمس حبات بطاطا للغداء، وهي كبيرة الحجم أيضاً. إن حبتين من البطاطا كافيتان لأي شخص؛ لذلك لا تطبخي أكثر من أربع حبات في المستقبل. لقد أضعنا الحبة الخامسة اليوم.

- لم نضيعها يا سيد كراكثورب. كنت أعتزم استخدامها في طبق من العجة الإسبانية هذه الليلة.

قال السيد كراكثورب بعد أن خرجت لوسي ومعها صينية القهوة: فتاة بارعة عندها كل الإجابات دائماً. كما أنها تطهو جيداً... وهي فتاة أنيقة أيضاً.

أخذت لوسي آيلسبارو عصا غولف خفيفة من مجموعة العصي التي أحضرتها معها وكرة وخرجت إلى المتنزه بعد أن عبرت السياج.

بدأت تقذف الكرة في ضربات متتالية، وبعد خمس دقائق أو نحو ذلك سقطت كرة بالقرب من سكة القطار. ذهبت إلى ذلك المكان وبدأت البحث عنها، ونظرت وراءها إلى المنزل. كان بعيداً جداً ولم يكن أي شخص مهتماً بما كانت تفعله. واصلت بحثها عن

الكرة وهي تتظاهر بين الحين والآخر بتنفيذ ضربات على العشب. وفي عصر ذلك اليوم فتشت ما يقرب من ثلث المسافة المحاذية لسكة القطار دون أن تجد شيئاً. وهكذا قذفت بالكرة ثانيةً باتجاه المنزل.

وفي اليوم التالي عثرت على شيء؛ وجدت غصناً شائكاً في منتصف المرتفع المفضي إلى سكة الحديد وقد قطع، وكانت أجزاء منه متناثرة في المكان. تفحصت لوسي الشجيرة نفسها فوجدت مزقة من فراء عالقة بإحدى أشواكها. كانت المزقة بنفس لون الجذع؛ لون بني شاحب.

نظرت لوسي إليها لحظة ثم أخرجت من جيبها مقصاً وقصتها بحذر نصفين ووضعت النصف الذي قصته في ظرف كان في جيبها، ثم نزلت المنحدر تبحث عن أي شيء آخر. تفحصت العشب الخشن على الحقل. ظنت أن بوسعها تمييز بعض الآثار التي خلفها شخص أثناء سيره على العشب، لكنها آثار باهتة جداً وليست واضحة كآثار أقدامها هي. لابد أنها آثارٌ مضى عليها زمن طويل، ولم تستطع أن تتأكد إن كانت مجرد وهم من طرفها أم لا.

بدأت البحث بحرص ودقة في العشب القريب من المنحدر عند الشجيرة التي انكسر غصنها، وسرعان ما حصلت على نتيجة مجزية. وجدت علبة تجميل مرصعة من النوع الرخيص، فلفّتها في منديلها ووضعتها في جيبها. ثم بحثت وفتشت لكنها لم تعثر على أي شيء آخر.

بعد ظهر اليوم التالي ركبت سيارتها وذهبت لزيارة عمتها

المريضة. قالت إيما كراكتورب بلطف: لا تتعجلي العودة؛ فلن نحتاجك إلا عند ساعة العشاء.

- أشكرك، لكنني سأعود في الساعة السادسة على أقصى تقدير.

كان المنزل رقم ٤ في شارع مادِسون بيتاً صغيراً كئيباً في شارع صغير كئيب. كانت ستائره نظيفة مزركشة، وكانت عتبته بيضاء لامعة ومقبض بابه من النحاس المصقول جيداً.

فتحت الباب امرأة طويلة القامة عابسة الوجه تلبس السواد وتجمع شعرها الرمادي في كرة ضخمة فوق رأسها. نظرت إلى لوسي بعين الارتياب وهي تأخذها إلى الآنسة ماربل.

كانت الآنسة ماربل تشغل غرفة جلوس خلفية كانت تطل على حديقة صغيرة وجميلة. كانت غرفة نظيفة مرتبة بها الكثير من قطع السجاد ومناديل المائدة والكثير من قطع الفخار الصيني وطقم أثاث كبير أنيق ونبتتان داخليتان في آنيتين من فخار. كانت الآنسة ماربل على كرسي كبير قرب النار وكانت مشغولة بغزل الصوف بصنارتها.

دخلت لوسي وأغلقت الباب، وجلست على كرسي في مواجهة الآنسة ماربل، ثم قالت: حسناً؛ يبدو أنك كنت على حق!

أخرجت الأشياء التي عثرت عليها وأعطتها تفصيلات عن كيفية اكتشافها.

احمرّ وجه الآنسة ماربل سروراً بهذا الإنجاز وقالت: ربما

يتوجب على المرء ألاّ يشعر بذلك، لكنه أمر مفرح أن يفترض شيئاً ثم تثبت صحته!

تحسست قطعة الفراء الصغيرة بإصبعها وقالت: قالت إلسبث إن المرأة كانت ترتدي معطف فراء فاتح اللون. أعتقد أن علبة التجميل كانت في جيب المعطف وسقطت من الجثة أثناء تدحرجها فوق المنحدر. لا يبدو في العلبة ما يميزها أبداً، ولكنها قد تساعدنا. ألم تأخذي كل الفراء؟

- بل تركت نصفه على الشجيرة.

أومأت الآنسة ماربل باستحسان وقالت: عمل سليم. إنك ذكية جداً يا عزيزتي؛ لأن الشرطة سيرغبون بالتفتيش في نفس المكان.

- هل ستذهبين إلى الشرطة... بهذه المكتشفات؟

فكرت الآنسة ماربل ثم قالت: ليس بعد... أعتقد أنه من الأفضل العثور على الجثة أولاً. أليس كذلك؟

- بلى، ولكن أليس ذلك عملاً صعباً (حتى لو افترضنا صحة تقديرك)؟ ألقى القاتل الجثة من القطار ثم يفترض أنه خرج في براكهامبتن، و في وقت معين... ربما في نفس تلك الليلة... جاء وأبعد الجثة عن المكان. ولكن ما الذي حدث بعد ذلك؟ ربما أخذها بعد ذلك إلى أي مكان.

- ليس أي مكان. لا أظن أنك تابعت الأمر وصولاً إلى نتيجته المنطقية يا عزيزتي الآنسة آيلسبارو.

- أرجو أن تناديني لوسي. لماذا لا يكون أي مكان؟

- لأنه إن كان كذلك لكان أسهل عليه بكثير أن يقتل الفتاة في مكان منعزل ثم يأخذ الجثة بعيداً عن ذلك المكان. أنت لم تقدري...

قاطعتها لوسي قائلة: هل تريدين القول إنها كانت جريمة متعمدة... مع سبق الإصرار؟

- لم أرَ ذلك في البداية. من الطبيعي ألاّ يفترض المرء ذلك؛ فقد بدا الأمر وكأنه شجار فقد فيه الرجل السيطرة على نفسه وخنق الفتاة ثم أصبحت أمامه مشكلة ينبغي عليه حلها خلال بضع دقائق. ولكن في الأمر أكثر مما تتحمله المصادفة؛ إذ لا يعقل أن يقتل الفتاة في نوبة غضب ثم ينظر خارج النافذة فيرى أن القطار ينعطف تماماً عند نقطة كان يستطيع إلقاء الجثة فيها، وفي مكان يستطيع -فوق ذلك كله- أن يتأكد من إمكانية قدومه لاحقاً لأخذ الجثة منه! لو أنه قد ألقى الجثة هناك عن طريق الصدفة لكان تركها حيث هي ومضى إلى سبيله دون أي إجراء آخر، ولكانت الجثة قد وُجدت منذ زمن طويل.

حدقت لوسي إليها فقالت متأملة: إنها طريقة ذكية جداً في التخطيط لجريمة، وأظن أنها جريمة خطط لها بدقة وحذر شديدين. إن القطار يخفي شخصية القاتل، فلو قتلها في المكان الذي كانت تعيش أو تقيم فيه، فلربما شاهده شخص وهو يأتي أو يخرج. أو لو كان قد أخذها معه بسيارته في مكان ما من الريف، فلربما شاهد شخص السيارة وسجل رقمها ونوعها. أما القطار فهو مليء بغرباء يأتون ويذهبون، وفي عربة مستقلة لا يخترقها ممر كان من السهل

تماماً أن يقوم بفعلته، وخصوصاً إذا علمت أنه كان يعلم بالضبط ما الذي كان عليه عمله بعد ذلك. لا بد أنه كان يعرف كل شيء عن رذرفورد هول بموقعه الجغرافي وعزلته التي أصبح معها أشبه بجزيرة تحدها خطوط السكة الحديدية.

قالت لوسي: إنه كذلك بالضبط... إنه أثر من الماضي يعيش هذا العصر. حياة المدنية تدور حوله لكنها لا تقترب منه.

- إذن نفترض -كما قلت- بأن القاتل قد جاء إلى رذرفورد هول تلك الليلة. كان الجو معتماً عندما ألقى الجثة ولم يكن من المحتمل أن يكشفها أحد قبل اليوم التالي.

- كلا بالطبع.

- كيف جاء القاتل؟ في سيارة؟ من أي طريق؟

فكرت لوسي ثم قالت: يوجد طريق وعر بمحاذاة حائط المصنع، وربما جاء من ذلك الطريق ثم انعطف من تحت جسر القطار وسار على الطريق الخلفي. كان يستطيع تسلق السياج والسير إلى مقربة من السكة ليجد الجثة ثم يحملها معه في السيارة.

أكملت الآنسة ماربل: ثم يأخذها إلى مكانٍ كان قد اختاره مسبقاً. لقد فكر في هذا كله، وكما قلت فإنني لا أظنّ أنه أخرج الجثة من رذرفورد هول، وإذا حدث ذلك فإنه لم يذهب بها إلى مكان بعيد. أظن أن الحل الواضح أمامه هو أن يدفنها في مكان ما؟

نظرتْ إلى لوسي نظرات تساؤل، فقالت لوسي وهي تفكر: أظن ذلك، لكن الأمر ليس بمثل هذه السهولة.

وافقتها الآنسة ماربل قائلة: ليس باستطاعته دفنها في المتنزه؛ فسيكون عملاً صعباً وشاقاً كما أنه يمكن ملاحظته. ربما دفنها في مكان كانت التربة قد قُلبت فيه أصلاً. ما رأيك؟

- ربما حديقة المطبخ. لكنها قريبة جداً من كوخ البستاني. إنه عجوز وأصم... ولكن قد ينطوي الأمر -مع ذلك- على مجازفة.

هل في المكان كلب.

- لا.

- إذن في كوخ أو في أحد الإسطبلات الخارجية؟

- هذا أسهل وأسرع. يوجد هناك العديد من المباني القديمة المهجورة والزرائب الخربة وغرف الخردوات التي لا يقترب منها أي أحد. أو قد يكون ألقاها بين الأشجار والنباتات في مكان ما.

أومأت الآنسة ماربل برأسها وقالت: نعم، أعتقد أن هذا هو الأرجح.

سمعنا طرقات على الباب ودخلت فلورنس العابسة وهي تحمل صينية. قالت تخاطب الآنسة ماربل: جميل أن يكون عندك زائرة. لقد عملت لك الكعك الخاص الذي تحبينه.

قالت الآنسة ماربل: إن فلورنس تعمل دائماً كعك الشاي اللذيذ.

ابتسمت فلورنس -وقد تلقت مديحاً- ابتسامة غير متوقعة ثم غادرت الغرفة.

قالت الآنسة ماربل: لا نريد أن نتحدث أكثر من ذلك عن الجريمة ونحن نشرب الشاي. إنه موضوع كريه!

* * *

نهضت لوسي بعد شرب الشاي وقالت: سأعود الآن. كما قلت لك لا يوجد رجل في رذرفورد هول يمكن أن يكون الرجل الذي نبحث عنه. هناك رجل عجوز ضعيف فقط وامرأة في وسط العمر وبستاني عجوز أصم.

قالت الآنسة ماربل: لم أقل إنه يعيش هناك فعلياً. كل ما أعنيه أنه شخص يعرف البيت جيداً. ولكننا نستطيع البحث في هذا الموضوع بعد أن تكتشفي الجثة.

- يبدو أنك واثقة تماماً من عثوري عليها. أنا لا أشعر بهذا القدر من التفاؤل.

- أنا واثقة أنك ستنجحين يا عزيزتي لوسي... إنك فتاة قديرة.

- في مجالات معينة، ولكني لا أملك أية خبرة في البحث عن الجثث.

قالت الآنسة ماربل مشجعة: إنني واثقة أن كل ما يحتاجه الأمر هو القليل من الفطرة السليمة وحسن التقدير.

نظرت إليها لوسي وضحكت، وبادلتها الآنسة ماربل بالابتسام.

* * *

شرعت لوسي في العمل بعد ظهر اليوم التالي.

فتشت البيوت الخارجية، وقلبت النباتات والحشائش التي كانت تغطي الزرائب القديمة. وكانت تنظر إلى داخل غرفة التدفئة تحت البيت الزجاجي عندما سمعت صوت سعال جاف فالتفتت لترى هيلمان، البستاني العجوز، ينظر إليها نظرات استياء.

حذرها قائلاً: احذري يا آنسة من السقوط. هذه الدرجات ليست آمنة، وقد كنتِ قبل قليل في العلية مع أن الأرضية فيها غير آمنة أيضاً.

حرصت لوسي على ألاّ تبدي أي ارتباك أو حرج وقالت مبتهجة: أظنك تراني شديدة الفضول، ولكني كنت أتساءل إن كان بالإمكان الاستفادة من هذا المكان... لتربية الفطر مثلاً أو غيره. يبدو أن كل شيء قد أُهمل بشكل فظيع.

- إنه بسبب السيد الذي لا يريد أن ينفق بنساً واحداً. كان يجب أن يعمل معي رجلان وصبي حتى يعود المكان إلى وضعه الصحيح، لكنه لا يطيق سماع ذلك. لقد بذلت جهدي لإقناعه بشراء آلة لجز العشب... إنه يريد مني أن أجز كل هذه الحشائش والأعشاب بيدي.

- ولكن إذا ما أصبح المكان ينتج أشياء مجزية مادياً... مع بعض الإصلاحات؟

- لا يمكن جعل هذا المكان مفيداً... أمر مستبعد، وهو غير مهتم بهذا على أية حال. إنه يهتم بالادخار فقط. يعرف جيداً ما

سيحدث بعد وفاته، فأولاده سيبيعون البيت بأسرع وقت ممكن. إنهم ينتظرون وفاته، وقد سمعت أنهم سيحصلون على ثروة كبيرة من المال عندئذ.

-أعتقد أنه رجل غني جداً؟

- إنها ثروات كراكثورب الطائلة. الرجل العجوز والد السيد كراكثورب الحالي هو الذي بدأ جمع المال والثروة. كان رجلاً ذكياً في كل شيء وقد جمع ثروته وبنى هذا المكان. يقولون بأنه كان قاسي الفؤاد قوي الشكيمة ولا ينسى الإساءة أبداً. لكنه -مع كل هذا- كان سخياً كريماً ولم يكن بخيلاً. ويقولون إن أمله قد خاب في ولديه الاثنين. علّمهما في أكسفورد ورباهما ليكونا رجلين محترمين، لكنهما لم يرغبا في العمل. تزوج الصغير منهما ممثلة، ثم قُتل في حادث سيارة بينما كان ثملاً. أما الأكبر -وهو الموجود هنا- فإنه لم يكن محل إعجاب والده كثيراً. كان يسافر كثيراً إلى الخارج واشترى كثيراً من التماثيل وأرسلها إلى بيته، فلم يكن بمثل هذا البخل عندما كان شاباً... كلا، لم يكونا على وفاق أبداً هو وأبوه، هذا ما سمعته.

استوعبت لوسي هذه المعلومات دون أن تبدي من الاهتمام إلا ما تقتضيه اللباقة. اتكأ الرجل العجوز على الحائط واستعد لمواصلة ثرثرته، وكان يفضّل -كثيراً- الكلام على العمل.

- لقد مات الرجل العجوز قبل الحرب. كان عصبي المزاج كثيراً، وما كان ليحتمل الخطأ.

- وبعد وفاته جاء السيد كراكتشورب هذا ليعيش هنا، أليس كذلك؟

- هو وعائلته، بلى. كان أولاده قد كبروا في ذلك الوقت.

- ولكن بالتأكيد... آه، فهمت، أنت تقصد الحرب الأولى في ١٩١٤.

- كلا، ما أقصده أنه مات عام ١٩٢٨.

افترضت لوسي أن «١٩٢٨» و «قبل الحرب» تعنيان نفس الأمر رغم إنها ليست الطريقة التي تصف هي بها هذا الأمر. قالت: حسناً، أظن أنك تريد مواصلة عملك. لا يجدر بي أن أعطلك أكثر من ذلك.

قال السيد هيلمان دون حماسة: لا يمكن العمل كثيراً في مثل هذه الساعة من النهار... إن الجو معتم جداً.

عادت لوسي إلى البيت، وكانت تتوقف -بين فينة وأخرى- تفتش بين الأعشاب والنباتات.

وجدت إيما كراكتشورب تقف في الصالة تقرأ رسالة، فقد كان بريد المساء قد وصل لتوه. قالت: ابن أختي سيصل هنا غداً... مع زميل دراسة له. غرفة ألكساندر هي التي تعلو الشرفة. الغرفة المجاورة لها ستكون مناسبة لجيمس ستودارت، ويمكنهما استخدام الحمام المقابل لغرفتيهما.

- نعم يا آنسة كراكتشورب... سأجهز الغرفتين.

- سيصلان صباح الغد قبل الغداء. أظن أنهما سيكونان جائعين.

- بالتأكيد. هل أصنع لهما لحماً مشوياً برأيك؟ وربما فطيرة الدبس أيضاً؟

- ألكساندر يحب فطيرة الدبس كثيراً.

* * *

وصل الولدان صباح اليوم التالي. كانا مرتبين مؤدبين ولهما وجهان ملائكيان. كان ألكساندر إيستلي أشقر الشعر أزرق العينين، بينما كان جيمس ستودارت أسود الشعر ويلبس نظارة.

تحدثا بهدوء أثناء الغداء حول الرياضة العالمية وأحداثها، وبين الفينة والأخرى عن آخر روايات الفضاء. كانا كأنهما أستاذان كبيران يناقشان موضوعات مهمة و خطيرة. وسرعان ما أتى الاثنان على قطعة لحم الخاصرة كلها، وألحقاها بفطيرة الدبس عن آخرها.

صاح السيد كراكثورب متذمراً: أنتما الاثنان ستأكلانني.

نظر ألكساندر إليه نظرة توبيخ وقال: سنتناول الخبز والجبنة إذا كنت لا تقدر على مصاريف اللحم يا جدي.

- أقدر على مصاريفها؟ أنا أقدر، ولكني لا أحب التبذير.

قال جيمس ستودارت وهو ينظر أسفل منه (وكان المكان حوله نظيفاً يؤكد عبارته): إننا لم نبذر شيئاً.

- لقد أكل كلٌّ منكما ضعف ما آكله أنا.

أوضح ألكساندر: إننا في مرحلة النمو وبناء أجسامنا، ونحن بحاجة إلى كميات كبيرة من البروتين.

أبدى الرجل العجوز تأففه. وعندما غادر الولدان المائدة سمعت لوسي ألكساندر يقول لصديقه معتذراً: لا تكترث لكلام جدي؛ إنه يفرض على نفسه حمية من نوع ما وهو ما يجعله غريب التفكير... كما أنه بخيل جداً. أظن أن ذلك بسبب عقدة معينة.

قال صديقه مظهراً استيعابه: لي عمة تعتقد دائماً أنها ستفلس، والحق أن عندها أكواماً من الأموال. يقول الطبيب إن تلك حالة مرضية. هل لديك كرة قدم يا أليكس؟

خرجت لوسي بعد أن نظفت المائدة وأطباق الغداء. كانت تسمع صيحات الولدين من مكان بعيد على المرجة، وذهبت هي في اتجاه معاكس إلى أسفل الطريق الأمامي، ومن هناك عبرت إلى حيث توجد بعض الأشجار المتشابكة. بدأت البحث بحذر شديد وهي تبعد أوراق الشجر بعضها عن بعض وتُطلُّ إلى داخلها. انتقلت من مجموعة أشجار إلى أخرى بأسلوب منظم، وكانت تفتش باستخدام عصا الغولف عندما أجفلها صوت ألكساندر وهو يسألها بأدب: هل تبحثين عن شيء يا آنسة آيلسبارو؟

أجابته لوسي على الفور: كرة غولف... والواقع أنها أكثر من كرة. كنت أتدرب على رميات الغولف بعد ظهر كل يوم تقريباً وقد فقدت عدداً كبيراً من الكرات، وأنا جادة بالبحث للعثور على بعضها على الأقل.

قال ألكساندر: سنساعدك؟

- هذا من لطفك. كنت أظن أنكما تلعبان كرة القدم.

أوضح جيمس قائلاً: لا نستطيع مواصلة لعب الكرة، فقد حميت أجسامنا كثيراً. هل تلعبين الغولف كثيراً؟

- أحبها كثيراً، لكني لا أحصل على كثير من الفرص للّعب.

- هذا مفهوم؛ فلديك واجباتك، أليس كذلك؟

- بلى.

- هل أنت التي طهوت الغداء اليوم؟

- نعم، هل كان جيداً؟

قال ألكساندر: ممتاز جداً. إننا نأكل لحماً سيئاً في المدرسة. إنني أحب لحم البقر عندما لا يبالَغ في شوائه فيبقى أحمر من الداخل، كما أن فطيرة الدبس كانت لذيذة جداً هي الأخرى.

- يجب أن تخبراني عن الأشياء التي ترغبان في أكلها.

- هل يمكننا تناول فطيرة التفاح يوماً ما؟ إنها أكلتي المفضلة.

- بالطبع.

تنهد ألكساندر مسروراً وقال: توجد عدة غولف تحت الدرج. نستطيع تثبيتها على المرجة ثم نقوم ببعض الرميات، ما رأيك يا جيمس؟

أجابه الفتى محاولاً تقليد اللهجة الأسترالية: جيد!

أوضح ألكساندر بأدب: إنه ليس أسترالياً، لكنه يتدرب على اللهجة الأسترالية عسى أن يأخذه أهله إلى أستراليا لمشاهدة دورة ألعاب رياضية.

ذهبا لإحضار عدة الغولف بعد أن شجعتهما لوسي على ذلك. وبعد ذلك، وعندما كانت عائدة إلى البيت وجدتهما يضعانها على المرجة ويتجادلان على موقع الأرقام.

قال جيمس: لا نريدها مثل الساعة، فهذه طريقة طفولية. نريد أن نجعلها كمضمار الغولف تماماً بحفر طويلة وقصيرة. للأسف فإن الأرقام قد علاها الصدأ ولا يكاد المرء يراها.

قالت لوسي: تحتاج إلى طلاء أبيض. يمكنكما إحضار طلاء في الغد لدهانها.

أشرق وجه ألكساندر وهو يقول: فكرة جيدة. أظن أن في حظيرة الماشية بعض علب الطلاء القديمة من مخلفات الدهانين الذين عملوا هنا في العطلة الأخيرة. هل نذهب لنرى؟

سألته لوسي: أية حظيرة هذه؟

أشار ألكساندر إلى مبنى حجري طويل يبعد عن المنزل قليلاً بجانب الطريق الخلفي وقال: إنه مبنى قديم جداً. يقول جدي بأنه من العهد الإليزابيثي، لكن هذا من باب الغرور فقط. كان يعود للمزرعة التي كانت هنا في الأصل قبل بناء البيت، وقد هدّمها جدّ والدي وبنى هذا البيت الفظيع بدلاً منها.

ثم أضاف: يوجد في هذه الحظيرة الكثير من أغراض جدي. الأشياء التي أرسلها من الخارج عندما كان شاباً، ومعظمها فظيع جداً أيضاً... تعالي معنا لنرى.

مضت لوسي معهما طائعة.

كان للحظيرة باب كبير من خشب البلوط دقت به مسامير ضخمة. رفع ألكساندر يده وأخذ مفتاحاً كان موجوداً في أعلى الباب. وضع المفتاح في القفل وفتحه، ثم دخلوا جميعاً.

أحست لوسي -من الوهلة الأولى- أنها دخلت متحفاً سيئاً جداً. كان ينظر إليها رأسا إمبراطورين رومانيين من الرخام من عينين منتفختين، وكان يوجد تابوت حجري ضخم من العصر الروماني الإغريقي، وتمثال لفينوس وهي تتكلف الابتسامة حيث كانت تقف على حامل وهي ممسكة بثوبها المسدل. وإلى جانب هذه التحف والتماثيل كانت هناك طاولتان وبعض الكراسي المرصوصة وأشياء وعدد مختلفة مثل جزازة يدوية صدئة وسطلين ومقعدي سيارة أكلتهما العثة، ومقعد حديقة مطلي بالطلاء الأخضر كان قد فقد ساقاً من سيقانه.

قال ألكساندر: أعتقد أنني رأيت الدهان هناك.

ذهب إلى أحد الزوايا وسحب -جانباً- ستارةً من قماش كانت تحمي هذه الزاوية.

وجدوا علبتي دهان ولكن لم يعثروا على أي فرشاة. قالت لوسي: إنكما بحاجة إلى فرشاة.

اقترح الولدان الذهاب على الدراجة الهوائية لشراء الفراشي، وشجعتهما لوسي على ذلك. رأت أن طلاء أرقام لعبة الغولف سيشغلهما لبعض الوقت. وانطلق الولدان وتركاها في الحظيرة.

قالت للولدين قبل ذهابهما: "هذه الحظيرة تحتاج فعلاً إلى تنظيف". ونصحها ألكساندر قائلاً: ما كنت سأهتم لذلك. يمكن تنظيفها إذا كانت ستستخدم لأي شيء، لكنها لا تستخدم في مثل هذا الوقت من العام.

- هل أعلّق المفتاح خارج الباب مرة أخرى؟ هل هذا هو مكانه؟

- نعم. لا شيء يستحق السرقة من هنا. لا أحد يريد هذه التماثيل الرخامية الفظيعة، وعلى أية حال فهي تزن أطناناً.

وافقته لوسي. لم يعجبها ذوق السيد كراكثورب في الفن، وبدا لها أنه صاحب نظرة لا تخيب في اختيار أسوأ العينات من كل عصر.

وقفت تنظر حولها بعد أن ذهب الولدان. وقعت عيناها على التابوت الحجري وظلت تنظر إليه.

ذلك التابوت...

كان الهواء داخل الحظيرة عفناً وكأن المكان لم تتم تهويته منذ فترة طويلة. ذهبت إلى حيث التابوت، كان غطاؤه محكماً ثقيلاً. نظرت لوسي إليه نظرات تأمل. ثم غادرت الحظيرة فذهبت إلى المطبخ وعادت بعتلة ثقيلة.

لم تكن مهمة سهلة لكن لوسي بذلت جهداً كبيراً لفتح التابوت. وشيئاً فشيئاً بدأ غطاء التابوت يرتفع بواسطة العتلة.

ارتفع الغطاء بما سمح للوسي أن ترى ما بداخله...

* * *

الفصل السادس

بعد بضع دقائق غادرت لوسي الحظيرة شاحبة اللون وأغلقت الباب ثم وضعت المفتاح فوق الباب.

ذهبت إلى الإسطبلات بسرعة وأخرجت سيارتها وقادتها في الطريق الخلفي. وقفت عند مكتب البريد في نهاية الطريق، وذهبت إلى حيث الهاتف العمومي فوضعت قطعة نقدية فيه وضربت الرقم.

- أريد التحدث إلى الآنسة ماريل.

- إنها ترتاح يا آنسة... هل أنت الآنسة آيلسبارو؟

- نعم.

- لن أزعجها مهما كان الأمر يا آنسة. إنها عجوز وتحتاج إلى راحة.

- يجب أن تزعجيها... الأمر ملح.

- لن...

- أرجوك أن تفعلي ما أقوله فوراً.

كان صوت لوسي يغدو صلباً حاسماً حين تريد ذلك، وعرفت فلورنس خطورة الأمر. وعلى الفور كانت الآنسة ماربل تتحدث معها: نعم يا لوسي؟

أخذت لوسي نفساً عميقاً وقالت: كنتِ على حق تماماً. لقد وجدتها.

- جثة امرأة؟

- نعم. امرأة ترتدي معطفاً من فراء. إنها في تابوت حجري داخل حظيرة أشبه بالمتحف قرب المنزل. ما الذي تريدين مني عمله؟ أظن أن عليّ أن أبلغ الشرطة.

- نعم، يجب أن تبلغي الشرطة فوراً.

- ولكن ماذا عن بقية الأمر؟ ماذا عنك؟ أول ما سيريدون معرفته هو سبب محاولتي رفع ذلك الغطاء الذي يزن طناً دون سبب واضح. هل تريدين مني اختراع سبب؟ أستطيع ذلك.

- لا، أظن أن أفضل ما يمكنك فعله هو أن تخبريهم بالحقيقة كاملة.

- بخصوصك؟

- بخصوص كل شيء.

ارتسمت على وجه لوسي ابتسامة أزاحت عنها الشحوب. قالت: هذا بسيط بالنسبة لي. لكن أظن أنهم لن يصدقوا!

وضعت السماعة وانتظرت لحظة ثم اتصلت بمركز الشرطة. قالت: لقد اكتشفت لتوي جثةً داخل تابوت حجري في حظيرة ماشية في رذرفورد هول.

- ما هذا الذي تقولينه؟

أعادت لوسي كلامها، واستبقت السؤال التالي فأعطته اسمها.

عادت بسيارتها إلى المنزل ووضعت سيارتها بعيداً ودخلت البيت. وقفت في الصالة تفكر لبعض الوقت، ثم أومأت برأسها إيماءة قصير حادة وذهبت إلى المكتبة حيث كانت الآنسة كراكثورب جالسة تساعد والدها في حل الكلمات المتقاطعة في صحيفة التايمز.

- هل أستطيع أن أتحدث إليك لحظة يا آنسة كراكثورب؟

رفعت إيما بصرها وقد ارتسم على وجهها شيء من الخشية والترقب، ورأت لوسي أن خشيتها كانت عادية لا تذهب أبعد من شؤون المنزل.

قال العجوز كراكثورب: حسناً، تكلمي يا فتاة، تكلمي.

قالت لوسي تخاطب إيما: أريد الحديث معك على انفراد، من فضلك.

رد عليها السيد كراكثورب: هراء. قولي صراحة هنا ما تريدين قوله.

- لحظة واحدة من فضلك يا أبي.

قال العجوز غاضباً: كله هراء يمكن تأجيله.

قالت لوسي: أخشى ألاّ يكون بالإمكان تأجيله.

- يا لها من وقاحة!

خرجت إيما إلى الصالة. تبعتها لوسي وأغلقت الباب وراءها. قالت إيما: نعم؟ ما الأمر؟ إن كنت تعتقدين أن العمل كثير بسبب الولدين فيمكنني مساعدتك و...

- ليس هذا أبداً. لم أرد أن أتكلم أمام والدك لأني فهمت أنه رجل مريض وقد يصاب بصدمة. باختصار، لقد اكتشفت امرأة قتيلة في ذلك التابوت الكبير داخل الحظيرة.

حدقت إيما إليها وقالت: في التابوت؟ امرأة مقتولة؟ مستحيل!

- بل هو صحيح تماماً. لقد اتصلت بالشرطة، وسيكونون هنا في أية لحظة.

احمرت وجنتا إيما وقالت: كان يجب أن تخبريني أولاً... قبل إبلاغ الشرطة.

- أنا آسفة.

قالت إيما وهي تنظر إلى الهاتف الموجود على طاولة الصالة: لم أسمعك تتحدثين...

- لقد اتصلت من مكتب البريد أسفل الطريق.

- لكنه أمر غريب. لماذا لم تتصلي من هنا؟

فكرت لوسي بسرعة وقالت: كنت أخشى أن يكون الأولاد قريباً مني... وقد يسمعون إذا ما اتصلت من هذه الصالة.

- فهمت... نعم، فهمت. إنهم قادمون... أعني الشرطة، أليس كذلك؟

- ها قد وصلوا الآن.

* * *

قال المفتش بيكون: أنا آسف جداً لأنني طلبت منك ذلك.

أخذ المفتش إيما كراكثورب من ذراعها إلى خارج الحظيرة. كانت شاحبة الوجه وبدت مريضة لكنها كانت تمشي بخطوات ثابتة. قالت: أنا متأكدة تماماً من أنني لم أرَ هذه المرأة في حياتي أبداً.

- نحن شاكرون لك كثيراً يا سيدتي. هذا كل ما أردت معرفته. هل تودين أن تستريحي؟

- يجب أن أذهب إلى والدي. لقد اتصلت بكويمبر حالما سمعت عن هذا والطبيب معه الآن.

خرج الدكتور كويمبر من المكتبة وهم يعبرون الصالة. كان رجلاً طويل القامة لطيفاً وصاحب أسلوب ساخر مرتجل طالما أثار إعجاب مرضاه.

تبادل التحية مع المفتش. قال بيكون: لقد قامت الآنسة كراكثورب بمهمة عسيرة بشجاعة فائقة.

قال الطبيب وهو يربت على كتفها: حسناً فعلت يا إيما. تستطيعين التصرف دائماً... حسناً، أبوك بخير. اذهبي وتحدثي معه قليلاً ثم اشربي كأساً من العصير، هذه هي وصفتي لك.

ابتسمت له إيما بامتنان ودخلت المكتبة.

قال الطبيب وهو ينظر إليها: هذه المرأة لطيفة... أشعر بشديد الأسف لأنها لم تتزوج، وكانت ستنجح في حياتها زوجةً وأماً لو تزوجت. هذه هي ضريبة كونها الأنثى الوحيدة في عائلة من الرجال.

قال المفتش بيكون: أظن أنها تحب أباها كثيراً.

- إنها لا تحبه حقاً لهذه الدرجة، لكنها تملك -شأن بعض النساء- تلك الغريزة التي تجعل المرأة تسعد الرجال من أهل بيتها. إنها ترى أن والدها يحب أن يكون مريضاً لذلك فإنها تتركه لمرضه... ونفس هذا السلوك مع إخوتها. يشعر أخوها سدريك بأنه رسّام جيد فتتقبل ذلك منه، وذاك الذي اسمه هارولد... يعرف إلى أي حد تعتمد على آرائه السديدة. وهي تترك ألفرد يدهشها بقصصه عن صفقاته الذكية. آه، نعم. إنها امرأة ذكية. حسناً، هل تريدني لأي شيء؟ أتريد مني إلقاء نظرة على الجثة بعد أن قام جونستون، طبيب الشرطة، بواجبه تجاهها لأرى إن كان ذلك بسبب خطأ طبي مني؟

- نعم، أريدك أن تلقي نظرة عليها يا دكتور. نريد التعرف على

هويتها. أعتقد أن ذلك مستحيل بالنسبة للسيد كراكتشورب فرؤيتها ستسبب له صدمة شديدة، أليس كذلك؟

- صدمة؟ هراء. إنه لن يغفر لك أو لي أبداً إذا لم تسمح له بإلقاء نظرة عليها. سيكون متلهفاً لرؤيتها؛ فهذا أكبر حدث مثير يواجهه منذ خمسة عشر عاماً. كما أن الأمر لن يكلفه شيئاً!

- إذن فمرضه ليس خطيراً؟

- إنه في الثانية والسبعين من عمره؛ هذه هي مشكلته في الواقع. إنه يعاني من الروماتيزم، ومَن لا يعاني في مثل سنه؟ وهو يسميه التهاب المفاصل. ويعاني من سرعة دقات قلبه بعد تناول الوجبات ويعزو ذلك إلى مرض بالقلب، لكنه يستطيع دوماً أن يفعل ما يريد! عندي كثير من المرضى مثله فيما المرضى الحقيقيون يصرون -بعناد- على أنهم بصحة جيدة. هيا نذهب لنرى جثتك هذه. أظنها في وضع كريه؟

- جونستون يقدر أنها ماتت قبل أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع.

- إذن فهي كريهة جداً.

وقف الطبيب قرب التابوت ونظر أسفل منه بفضول صريح دون أن تطرف له عين. قال: لم أرها من قبل أبداً... ليست من مرضاي، ولا أذكر أنني رأيتها في براكهامبتن من قبل. لا بد أنها كانت امرأة جميلة. لا شك أن شخصاً قد قتلها.

ثم خرجا إلى الهواء الطلق. رفع الدكتور كويمبر بصره إلى

المبنى وقال: جثة ملقاة في حظيرة الماشية... في تابوت حجري. غريب! من الذي وجدها؟

- الآنسة لوسي آيلسبارو.

- آه، آخر طراز من الخادمات! وما الذي كانت تفعله داسّةً أنفها في التوابيت؟

قال المفتش بيكون عابساً: هذا بالضبط ما سوف أسألها عنه. والآن بخصوص السيد كراكنثورب... هل تسمح؟

- سأحضره فوراً.

جاء السيد كراكنثورب متلفعاً في وشاحه يسير بخطوات سريعة وإلى جانبه الطبيب. قال: أمرٌ مخزٍ... مخزٍ جداً! لقد أحضرت ذلك التابوت من فلورنسا عام ١٩٠٨ أو ١٩٠٩.

حذره الطبيب قائلاً: تمالك نفسك الآن؛ لن يكون المشهد جميلاً.

- عليّ أن أقوم بواجبي بغض النظر عن مقدار مرضي.

كانت تلك الزيارة القصيرة جداً للحظيرة كافية تماماً. خرج السيد كراكنثورب إلى الهواء الطلق مرة أخرى بخطوات سريعة ملحوظة. قال: لم أرها من قبل في حياتي أبداً! ماذا يعني هذا؟ أمر مخزٍ جداً. لم يكن من فلورنسا... لقد تذكرت الآن. أحضرته من نابولي. قطعة جميلة جداً... ثم تأتي امرأة حمقاء وتسمح لنفسها أن تُقتل فيه!

أمسك بطرف ثنايا معطفه عند الجانب الأيسر وقال: هذا كثير عليّ. قلبي... أين إيما؟ دكتور...

أمسك الدكتور كويمبر به من ذراعه وقال: "لا بأس عليك، سأعطيك دواء مهدئاً". وعادا معاً إلى البيت.

* * *

- سيدي، أرجوك يا سيدي.

التفت المفتش بيكون. كان الولدان قد وصلا لاهثين على دراجتيهما، وكانت اللهفة بادية على وجهيهما.

- أرجوك يا سيدي، هل نستطيع رؤية الجثة؟

قال المفتش بيكون: كلا، لا يمكنكما.

- آه، أرجوك يا سيدي... أرجوك. من يدري؟ فقد نعرف من تكون. آه، أرجوك يا سيدي، هذا ليس بالعدل. إنها جريمة قتل في حظيرتنا... وهي فرصة قد لا تتكرر ثانية. أرجوك... كن ذا روح رياضية يا سيدي.

- من أنتما؟

- أنا ألكساندر إيستلي، وهذا صديقي جيمس ستودارت.

- هل رأيتما امرأة شقراء ترتدي معطف فراء فاتح اللون في أي مكان هنا؟

قال ألكساندر بذكاء: لا أتذكر بالضبط، ولكن إذا رأيتها...

قال المفتش بيكون للشرطي الذي يقَف قرب باب الحظيرة: أدخلهما يا ساندرز؛ فالمرء لا يكون صغيراً إلا مرة واحدة!

فرح الولدان وقالا: آه. شكراً لك يا سيدي، شكراً لك. إنه لطف منك يا سيدي.

التفت بيكون إلى البيت وقال يحدث نفسه عابساً: والآن، إلى الآنسة لوسي آيلسبارو!

* * *

بعد أن أخذت لوسي الشرطة إلى الحظيرة وأعطت شهادة مختصرة عن أعمالها انشغل رجال الشرطة بأمور أخرى، ولكنها كانت تعلم أن الشرطة لم ينتهوا من التحقيق معها بعد.

كانت قد أنهت إعداد البطاطا للقلي مساءً عندما قيل لها بأن المفتش بيكون يطلب حضورها. وضعت طبق الماء البارد والملح جانباً وبه شرائح البطاطا، ولحقت بالشرطي إلى حيث كان المفتش ينتظرها. جلست وانتظرت أسئلته رابطة الجأش.

أعطت اسمها وعنوانها في لندن ثم أضافت: سأعطيك بعض أسماء وعناوين من يمكنهم أن يعطوك معلومات عني.

كانت الأسماء مرموقة جداً. أدميرال في البحرية، وعميد كلية في أكسفورد، وسيدة في البلاط البريطاني. ولقد تأثر المفتش بيكون بمعارفها رغماً عنه.

- والآن يا آنسة آيلسبارو، ذهبتِ إلى الحظيرة بحثاً عن بعض

الدهان. هل هذا صحيح؟ وبعد أن وجدت الدهان أحضرت عتلة وفتحت غطاء التابوت هذا ووجدت الجثة.

- بل كنت أبحث عن جثة.

- كنتِ تبحثين عن جثة... ووجدتِها! ألا ترين هذه رواية غريبة جداً؟

- بلى، إنها رواية غريبة. ولكن أرجو أن تسمح لي بشرح الأمر لك.

- من الأفضل لك -بالتأكيد- أن تفعلي ذلك.

أعطته لوسي وصفاً كاملاً للأحداث التي قادتها إلى اكتشافها المثير هذا. واختصر المفتش إفادتها بصوت غاضب: لقد استخدمتك امرأة عجوز لكي تحصلي على عملٍ هنا وتبحثي في البيت والأرض المحيطة فيه عن جثة؟ هل هذا صحيح؟

- نعم.

- من هي السيدة العجوز هذه؟

- الآنسة جين ماربل. إنها تعيش في الوقت الحالي في المنزل رقم ٤ بشارع مادِسون.

سجل المفتش التفصيلات في دفتره وقال: وهل تتوقعين مني تصديق هذه القصة؟

قالت لوسي بهدوء: ربما لا، إلا بعد أن تقابل الآنسة ماربل لتحصل منها على تأكيد لها.

- سأقابلها دون شك... لا بد أنها معتوهة.

امتنعت لوسي عن الإشارة إلى أن ما ثبت من صحة نظرية المرأة لا يدل أبداً على ضعفٍ في قدراتها العقلية، وبدلاً من ذلك قالت: ما الذي تنوي قوله للآنسة كراكثورب؟ أعني بخصوصي؟

- لماذا تسألين؟

- لقد قمتُ بوظيفتي حسبما طلبته الآنسة ماربل مني ووجدت الجثة التي كانت تبحث عنها، ولكني ما زلت أعمل لدى الآنسة كراكثورب، وفي البيت ولدان جائعان، وقد يأتي المزيد من أفراد العائلة قريباً بعد كل هذه الضجة؛ لذلك فهي تحتاج إلى مساعدة في المنزل. إذا ذهبتَ وقلت لها بأنني أخذت هذه الوظيفة لمجرد البحث عن جثث فقط فإنها سوف تطردني، أما إذا أغفلت الأمر فإنني أستطيع مواصلة عملي ومساعدتها.

نظر إليها المفتش بإمعان وقال: لن أقول شيئاً لأحد في الوقت الحالي. أنا لم أتحقق من أقوالك بعد... وربما كنت تختلقين كل هذا.

نهضت لوسي وقالت: شكراً لك. إذن سأعود الآن إلى المطبخ لأقوم بعملي.

* * *

الفصل السابع

إذن فأنت ترى -يا بيكون- أن علينا إبلاغ سكوتلانديارد بهذا الأمر؟

كان رئيس الشرطة ينظر إلى المفتش بيكون متحيراً. كان رجلاً قوياً ضخم الجسم، وكان أسلوب كلامه يدل على رجل سئم تماماً من البشرية.

قال المفتش: "لم تكن المرأة من أهل المنطقة يا سيدي، وملابسها تدعو إلى الاعتقاد بأنها قد تكون امرأة أجنبية". ثم أسرع يقول: لن أعلن ذلك الآن بالطبع. سنبقيه طي الكتمان إلى حين انتهاء جلسة التحقيق.

أومأ رئيس الشرطة برأسه وقال: أظن أن جلسة التحقيق ستكون شكلية تماماً.

- نعم يا سيدي. لقد رأيت قاضي التحقيق.

- ومتى سيكون التحقيق؟

- غداً. علمت أن أفراد عائلة كراكثورب الآخرين سيأتون إلى

هنا لحضور الجلسة. توجد فرصة بأن يتعرف إليها واحد منهم... كلهم سيكونون هنا.

نظر إلى قائمة أسماء كان يحملها بيده وقال: هارولد كراكثورب، وهو شخصية معروفة في المدينة... شخصية مرموقة كما فهمت. ألفرد... لا أعرف ماذا يفعل بالضبط. سدريك، الرجل الذي يعيش في الخارج... يرسم!

قال المفتش عبارته الأخيرة هذه بنبرة فيها اشمئزاز واضح. ابتسم رئيس الشرطة وقال: هل من سبب للاعتقاد بأن عائلة كراكثورب مرتبطة بالجريمة؟

- لا، باستثناء حقيقة وجود الجثة في بيتهم. إن ما يحيرني هو هذا الهراء الغريب بخصوص القطار.

قال رئيس الشرطة: "آه، نعم. لقد ذهبت لرؤية هذه السيدة العجوز التي تُدعى...". نظر إلى المفكرة أمامه على الطاولة وأضاف يقول: الآنسة ماربل؟

- نعم يا سيدي، وهي واثقة تماماً بخصوص هذا كله. لا أدري إن كانت مجنونة أم لا، لكنها تصر على روايتها بخصوص ما شاهدته صديقتها وبقية هذه القصة. وحسبما جرى، أعتقد أنه كلام تخترعه السيدات العجائز في العادة ويصدقنه، من قبيل رؤية الأطباق الطائرة في الحديقة، والعملاء الروس في المكتبة، ولكن يبدو واضحاً تماماً أنها استخدمت -بالفعل- هذه الشابة وطلبت منها البحث عن جثة... وهو ما فعلته الفتاة.

- ووجدتها! إنها قصة ملفتة للنظر حقيقة. إن اسم الآنسة ماربل، جين ماربل، يبدو لي مألوفاً إلى حد ما... على أية حال سأذهب إلى سكوتلانديارد. أعتقد أنك على حق عندما قلت إنها ليست جريمة محلية، رغم أننا لن نعلن هذه الحقيقة. وفي الوقت الحالي لن نخبر الصحافة إلا بالقليل.

* * *

كان التحقيق شكلياً جداً. لم يتقدم أحد للتعرف على صاحبة الجثة، وقد استُدعيت لوسي للإدلاء بشهادتها حول اكتشاف الجثة وقدم التقرير الطبي عن سبب الوفاة... الخنق. ثم تم تأجيل الإجراءات.

كان الجو بارداً جداً عندما خرجت عائلة كراكثورب من القاعة التي عقد فيها التحقيق. كان هناك خمسة منهم: إيما وسدريك وهارولد وألفرد وبرايان إيستلي زوج إدث المتوفاة.

وكان هناك أيضاً السيد ويمبورن، الشريك الأكبر لشركة المحاماة التي تتولى قضايا أسرة كراكثورب القانونية، وقد جاء من لندن خصيصاً لحضور التحقيق، ووقفوا جميعاً على الرصيف يرتجفون من البرد. تجمهر حولهم جمع كبير من الناس، فقد نُشرت تفصيلات كاملة عن «الجثة التي عُثر عليها في التابوت» في صحف لندن والصحف المحلية.

بدأ الناس يتهامسون: "هؤلاء هم..."، فقالت إيما بحدة: هيا نهرب بسرعة.

توقفت سيارة الديملر الكبيرة المُستأجَرة عند حافة الطريق فركبتها إيما وأشارت إلى لوسي بالركوب معها. تبعها السيد ويمبورن وسدريك وهارولد. قال برايان: "سآخذ معي ألفرد في حافلتي الصغيرة". وأغلق السائق الباب واستعد للانطلاق.

صاحت إيما: توقف... ها هما الولدان!

كانوا قد تركوا الولدين في المنزل بالرغم من احتجاجاتهما، ولكنهم وجدوهما الآن أمامهم يضحكان ملء شدقيهما. قال جيمس: جئنا على دراجتينا وكان الشرطي لطيفاً جداً وسمح لنا بالدخول والجلوس في آخر القاعة. أرجو ألاّ تمانعي يا آنسة كراكثورب.

قال سدريك نيابة عن أخته: إنها لا تمانع. أظن أن هذا أول تحقيق تحضرانه؟

قال ألكساندر: كان مخيباً للآمال؛ كل شيء انتهى بسرعة.

قال هارولد غاضباً: "لا نستطيع البقاء هنا نتحدث؛ فحولنا أناس كثيرون". وبإشارة منه انطلق السائق بهم بعيداً.

قال سدريك: كل شيء انتهى بسرعة! هذا ما يظنه هذان الطفلان البريئان... إننا ما نزال في البداية.

قال هارولد: إنه أمر مؤسف، مؤسف جداً. افترض أن...

نظر إلى المحامي ويمبورن الذي زم شفتيه الرفيعتين وهز رأسه باستياء وقال: آمل أن تتضح المسألة كلها على النحو الذي يرضينا.

لقد أثبت الشرطة كفاءة عالية، ومع ذلك كان أمراً مؤسفاً كما قال هارولد.

نظر وهو يتكلم إلى لوسي وكانت نظراته تدل على استياء واضح، وكأنه كان يريد أن يقول: لولا هذه الشابة وتدخلها في أمور لا تعنيها... لما حدث شيء من هذا.

وقد أفصح هارولد كراكثورب عن هذا المعنى أو ما يقرب منه حين قال: بالمناسبة يا آنسة... آيلسبارو، ما الذي جعلك تنظرين إلى داخل ذلك التابوت؟

كانت لوسي قد تساءلت متى ستخطر هذه الفكرة على بال أحد أفراد العائلة. كانت تعرف أن الشرطة سيسألونها عن ذلك قبل كل شيء، والذي أدهشها أن أحداً غير الشرطة لم يسألها ذلك السؤال حتى تلك اللحظة.

نظر إليها سدريك وإيما وهارولد والسيد ويمبورن جميعاً.

كان طبيعياً أن يكون ردها جاهزاً منذ فترة طويلة. قالت بصوت متردد: الحق أنني لا أكاد أعرف... لقد شعرت أن المكان كله بحاجة إلى تنظيف وترتيب. وكانت هناك رائحة غريبة جداً وكريهة.

كانت تعتمد (اعتماداً في محله) على الاشمئزاز الفوري الذي سيبديه الجميع من هذه الفكرة.

قال السيد ويمبورن هامساً: نعم، نعم، بالطبع. قال طبيب الشرطة إن المرأة مقتولة منذ ثلاثة أسابيع تقريباً... أعتقد أننا يجب أن نحاول نسيان هذا الأمر.

ابتسم مشجعاً في وجه إيما الذي غدا شاحباً جداً، وقال: تذكري أن هذه المرأة البائسة الميتة ليس لها أي علاقة بأي واحد منا.

قال سدريك: آه، لكنك لا تستطيع أن تتأكد من هذا.

نظرت لوسي آيلسبارو إليه باهتمام. كان قد أثار اهتمامها الشديد أصلاً ذلك الاختلاف الكبير بين الإخوة الثلاثة.

كان سدريك رجلاً ضخم الجسم ذا وجه أضناه التعب وشعر أسود أشعث، وكان مرحاً. وقد وصل من المطار دون أن يحلق لحيته، ورغم أنه حلق لحيته استعداداً للتحقيق إلا أنه ما زال يرتدي الثياب التي وصل بها، وكانت تبدو الثياب الوحيدة التي يمتلكها؛ وهي عبارة عن بنطال قديم رمادي اللون وسترة مرقعة بالية... كان يبدو بوهيمياً ويفتخر بذلك.

أما أخوه هارولد فعلى العكس من ذلك، كان صورة مثالية لرجل المدينة المحترم ولمدير شركات مهمة. كان طويل القامة رشيقاً، أسود الشعر أصلع قليلاً عند الصدغين وله شارب أسود صغير ويرتدي بذلة داكنة أنيقة وربطة عنق رمادية جميلة. كان يبدو كما هو، رجل أعمال ذكياً ناجحاً.

قال بصلابة: الحق يا سدريك أن هذه تبدو ملاحظة لا داعي لها أبداً.

- ألا تفهم السبب؟ كانت في حظيرة منزلنا في نهاية الأمر. لماذا جاءت إلى هنا؟

تنحنح السيد ويمبورن وقال: قد يكون لقاء غرامياً. فهمت أن

أهل المنطقة جميعاً يعرفون أن مفتاح الحظيرة معلق على مسمار فوق الباب.

كانت نبرته تدل على غضبه بسبب الإهمال الذي يدل عليه هذا الإجراء، وكان ذلك من الوضوح بحيث جعل إيما تعتذر قائلة: بدأ ذلك أثناء الحرب... من أجل إيواء مراقبي الغارات الجوية، وكان فيها موقد صغير لكي يحضروا القهوة عليه. وبعد ذلك، وحيث أنه لم يكن في الحظيرة ما يغري أحداً بأخذه، فقد ظللنا على عادتنا نترك المفتاح معلقاً على الباب.

ثم توقف صوتها. كانت قد تكلمت بطريقة آلية تفسر الموقف دون اهتمام وكأن عقلها في مكان آخر.

نظر سدريك إليها نظرة سريعة متحيرة وقال: أنت متضايقة يا أختي. ما الأمر؟

تكلم هارولد غاضباً: أف لك يا سدريك، وهل يحتاج الأمر إلى سؤال؟

- نعم، يحتاج إلى سؤال. إذا سلمنا أن هذا الحادث قد أصاب إيما بالصدمة في ذلك الوقت... مع أن إيما امرأة واعية دائماً، فإنني لا أرى سبباً يدعوها إلى القلق الآن. ما الأمر؟ إن المرء يعتاد على كل شيء.

قال هارولد لاذعاً: بعض الناس يستغرقون وقتاً طويلاً حتى يعتادوا فكرة جرائم القتل أكثر مما تستغرقه أنت. أظن أن جرائم القتل تعتبر شيئاً تافهاً في جزر مايوركا و...

- إيبيزا وليس مايوركا.

- نفس الشيء.

- أبداً، إنها جزيرة مختلفة تماماً.

واصل هارولد حديثه قائلاً: ما أعنيه هو أنه رغم أن جريمة القتل ربما تكون حدثاً يومياً عادياً بالنسبة لك، وأنت بين ظهراني شعب لاتيني ذي دماء حارة، إلا أننا -في إنكلترا- نأخذ مثل هذه الأشياء على محمل الجد.

ثم أضاف وقد ازداد غضبه: والحق يا سدريك أن ظهورك في جلسة تحقيق عامة بهذه الثياب...

قاطعه سدريك قائلاً: وما العيب في ثيابي؟ إنها مريحة.

- إنها غير مناسبة.

- على أية حال فهي الملابس الوحيدة التي أحضرتها معي. إنني لا أحزم صندوق أمتعة عندما أهرع إلى البيت مسرعاً لكي أقف إلى جانب عائلتي في هذا الوقت، وأنا رسام... والرسامون يحبون أن تكون ثيابهم مريحة.

- إذن فأنت ما تزال تحاول الرسم؟

- اسمع يا هارولد، عندما تقول بأنني أحاول الرسم...

تنحنح السيد ويمبورن بأسلوب الآمر الناهي ثم قال بشيء من التوبيخ: لا فائدة من هذا النقاش. أرجو أن تقولي لي يا آنسة إيما إن

كنت أستطيع خدمتك بأي شيء آخر قبل عودتي إلى المدينة؟

كان لذلك التوبيخ تأثيره. أسرعت إيما كراكثورب تقول: لقد تفضلت علينا كثيراً بقدومك إلى هنا.

- أبداً. كان مطلوباً قدوم شخص إلى التحقيق لمراقبة الإجراءات التي تتم نيابة عن العائلة. لقد رتبت مقابلة مع المفتش في البيت، ولا شك عندي أن كل شيء سيَضِحُ قريباً رغم ما أثاره هذا الأمر من أسى. ولا يساورني -في قرارة نفسي- كثير من الشك حول طبيعة ما حدث. وكما أخبرتنا فإن أهل المنطقة يعرفون وجود مفتاح الحظيرة معلقاً على الباب الخارجي، ويبدو محتملاً جداً أن المكان كان يستخدم للّقاءات الغرامية بين عشاق أهل المنطقة. لا شك أنه حدثت مشاجرةٌ فقد فيها شاب السيطرة على أعصابه فقتلها، وبعد أن أرعبه ما فعله رأى التابوت الحجري وأدرك أنه سيكون مكاناً مناسباً لإخفاء الجثة فيه.

فكرت لوسي في نفسها قائلة: نعم، إنه يبدو تفسيراً مقبولاً تماماً... هذا ما يمكن أن يتبادر إلى ذهن المرء.

قال سدريك: تقول عاشقين من القرية... و لكن أحداً من المنطقة لم يستطع التعرف على الفتاة.

- الوقت مبكر الآن. لا شك أننا سنتعرف على صاحبة الجثة قريباً، ومن الممكن -بالطبع- أن يكون الرجل القاتل من أهل المنطقة بينما الفتاة من مكان آخر. إن براكهامبتن بلدة كبيرة، وقد ازداد حجمها كثيراً خلال السنوات العشرين الماضية.

عارضه سدريك قائلاً: لو كنتُ فتاة تريد لقاء حبيبها لما أطقتُ أن يأخذني إلى حظيرة باردة جداً في مكان مهجور بعيد عن المدينة. كنت سأكتفي ببعض الوقت في دار سينما، أليس كذلك يا آنسة آيلسبارو؟

سأله هارولد شاكياً: أتوجد حاجة للخوض في هذا كله؟

كان هذا السؤال هو آخر ما قيل داخل السيارة قبل أن تتوقف أمام بوابة رذرفورد هول حيث نزلوا منها جميعاً.

* * *

الفصل الثامن

عندما دخل السيد ويمبورن المكتبة طرفت عيناه قليلاً وهو ينظر إلى رجل أشقر وسيم يقف خلف المفتش بيكون الذي كان قد التقاه من قبل.

قام المفتش بيكون بالتعريف: هذا مفتش التحري كرادوك من سكوتلانديارد.

همهم السيد ويمبورن ورفع حاجبيه وهو ينظر إلى ديرموت كرادوك ذي المظهر المرح: سكوتلانديارد... همم.

قال كرادوك: لقد استُدعينا للبحث في هذه القضية يا سيد ويمبورن، وبما أنك تمثل عائلة كراكثورب فإنني أشعر أن من الإنصاف أن نعطيك بعض المعلومات الخاصة.

لم يكن أحد يستطيع عرض جزء صغير من الحقيقة ملمحاً إلى أنها الحقيقة كلها أفضل من كرادوك. أضاف يقول وهو ينظر إلى زميله: أنا واثق أن المفتش بيكون يتفق معي في ذلك.

وافقه المفتش بيكون بكثير من الجدية، كما لو أن الأمر لم يكن مرتباً مسبقاً.

قال كرادوك: الأمر كما يلي: لدينا الأسباب التي تدعونا إلى الاعتقاد -بناء على المعلومات التي حصلنا عليها- بأن المرأة القتيلة ليست من سكان هذه المنطقة بل كانت مسافرة من لندن وأنها قد وصلت من الخارج في الآونة الأخيرة. ربما من فرنسا (على الرغم من أننا لسنا متأكدين من ذلك حتى الآن).

رفع السيد ويمبورن حاجبيه دهشة وقال: أحقاً؟

شرح المفتش بيكون قائلاً: ولأن هذا هو الحال فقد أحس رئيس الشرطة بأن شرطة سكوتلانديارد هي الجهة المناسبة أكثر للتحقيق في هذه القضية.

قال السيد ويمبورن: أتمنى أن تُحلَّ القضية بسرعة، فلا شك أنكم تقدرون مدى الأسى والضغط الذي خيم على العائلة بسبب هذا الحادث. ورغم أنهم ليسوا معنيين شخصياً بما حدث بأية طريقة، إلا أنهم...

سكت قليلاً، فأكمل المفتش كرادوك العبارة بسرعة: "ليس شيئاً ساراً أن يُعثر على امرأة قتيلة في بيتهم". أنا أتفق معك تماماً، أريد الآن إجراء لقاء قصير مع كل واحد من أفراد العائلة.

- لا أرى في الحقيقة ما يمكنهم...

- أن يقولوه لي؟ ربما لا يقولون شيئاً ذا أهمية، ولكن من يدري؟ أظن أنني أستطيع الحصول على معظم المعلومات التي أريدها منك يا سيدي؛ معلومات عن هذا البيت وعن العائلة.

- وما علاقة هذا بفتاة مجهولة تأتي من الخارج وتُقتل هنا؟

قال كرادوك: هذا ما نريد معرفته. لماذا جاءت إلى هنا؟ هل كانت لها أية صلة يوماً ما بهذا البيت؟ هل كانت -على سبيل المثال- خادمة هنا ذات مرة؟ أم هل جاءت لمقابلة واحد من الذين كانوا يعيشون هنا في هذا البيت من قبل؟

رد عليه السيد ويمبورن بيرود قائلاً بأن هذا المنزل قد سكنته عائلة كراكثورب منذ أن بناه جوسيا كراكثورب عام ١٨٨٤.

قال كرادوك: هذا مثير بحد ذاته؛ فقد أعطيتني لمحة مختصرة عن تاريخ العائلة.

رفع السيد ويمبورن كتفيه حيرة وقال: عندي القليل جداً مما يمكن قوله. كان جوسيا كراكثورب صاحب مصنع للحلوى، وقد جمع ثروة كبيرة جداً وبنى هذا البيت. ابنه الأكبر، لوثر كراكثورب، هو الذي يعيش فيه الآن.

- هل كان له أولاد آخرون؟

- ولد آخر فقط كان يدعى هنري وقتل في حادث سيارة عام ١٩١١.

- ألم يفكر السيد كراكثورب الحالي ببيع البيت؟

- لا يستطيع أن يفعل ذلك بموجب شروط وصية والده.

- أرجو أن تخبرني عن الوصية.

- ولماذا أخبرك؟

ابتسم المفتش كرادوك وقال: لأنني أستطيع الوصول إليها وقراءتها إن شئت في سجل الأحوال المدنية.

ابتسم السيد ويمبورن مرغماً وقال: صحيح أيها المفتش. كان احتجاجي فقط منصباً على أن المعلومات التي تطلبها لا علاقة لها بالأمر. وصية جوسيا كراكثورب ليس فيها أي أسرار: ترك جل ثروته تحت الوصاية وتدفع عائداتها إلى ولده لوثر طوال حياته، وبعد وفاة لوثر يتم تقسيم رأس المال بالتساوي بين أولاده، إدموند وسدريك وهارولد وألفرد وإيما وإدث. وقد قُتل إدموند في الحرب وماتت إدث قبل أربع سنوات، وهكذا عند وفاة لوثر كراكثورب ستقسم الأموال بين سدريك وهارولد وألفرد وإيما وابن إدث ألكساندر إيستلي.

- والبيت؟

سيكون هذا من نصيب أكبر ابن على قيد الحياة من أبناء لوثر كراكثورب أو لذرية ذلك الابن.

- هل كان إدموند كراكثورب متزوجاً؟

- لا.

- إذن سيذهب البيت في الواقع إلى...

- إلى الابن التالي... سدريك.

- هل يستطيع السيد لوثر كراكثورب نفسه التصرف فيه؟

- لا.

- وهل يملك التحكم بالثروة الموجودة تحت الوصاية؟

- كلا.

قال المفتش كرادوك بذكاء: أليس هذا أمراً غريباً بعض الشيء؟ أظن أن والده لم يكن يحبه.

- اعتقادك صحيح. لقد خاب أمل العجوز لأن ابنه الأكبر لم يظهر أي اهتمام بمتابعة مهنة العائلة، أو حتى بأي مشروع كان. لقد أمضى لوثر حياته مسافراً إلى الخارج لجمع التحف الفنية، ولم يكن والده متعاطفاً مع مثل هذا السلوك. لذلك ترك أمواله تحت الوصاية حتى الجيل القادم.

- لكن أبناء الجيل القادم هؤلاء ليس لهم أي دخل يعيشون عليه خلال هذه الفترة باستثناء عائدات الأموال أو ما يسمح لهم والدهم به، كما أن والدهم له دخل كبير لكنه لا يمتلك سلطة للتصرف برأس المال نفسه.

- بالضبط. ولكن ما علاقة كل هذا بقتل امرأة أجنبية مجهولة؟!

- لا يبدو أن لهذا علاقة بالجريمة، إنما أردت تأكيد كل الحقائق فقط.

نظر السيد ويمبورن إليه نظرات حادة ثم نهض واقفاً وقد بدا راضياً عن نتيجة لقائه وقال: أنا أعتزم العودة إلى لندن الآن، إلا إذا كنت تريد معرفة أي شيء آخر.

نقل بصره من رجل إلى آخر، فقال كرادوك: كلا، شكراً لك يا سيدي.

سمع صوت جرس يدوي في أرجاء الصالة، فقال السيد ويمبورن: يا إلهي! أعتقد أن أحد الأولاد يتدرب على العزف.

رفع المفتش كرادوك صوته حتى يسمع رغم الضجيج: ستترك العائلة تتناول غداءها بهدوء، لكنني سأعود مع المفتش بيكون بعد الغداء في الساعة الثانية والربع لنقابلهم كلاً على حدة.

- هل تعتقد أن هذا ضروري.

هز كرادوك كتفيه وقال: قد يتذكر أحدهم بالصدفة شيئاً يعطينا مفتاحاً للتعرف على المرأة.

- أشك في ذلك أيها المفتش. أشك في ذلك كثيراً. لكني أتمنى لك حظاً سعيداً. كما قلت قبل قليل: كلما اتضح سر هذا العمل المقزز أسرع كلما كان هذا أفضل للجميع.

هز رأسه وخرج من الغرفة بخطوات متثاقلة.

* * *

كانت لوسي قد ذهبت إلى المطبخ مباشرة بعد عودتها من التحقيق، وكانت مشغولة بإعداد الغداء عندما أطل برايان برأسه وسألها: هل أستطيع مساعدتك؟ إنني بارع في أعمال البيت.

نظرت إليه لوسي نظرة سريعة. كان برايان إيستلي قد وصل

إلى جلسة التحقيق، في سيارته الصغيرة مباشرة ولم يسعفها الوقت لمعرفته وتقويمه. كان وسيماً لطيفاً في نحو الثلاثين من عمره ذا شعر بني وعينين زرقاوين وشارب أشقر كبير.

قال وهو يدخل ويجلس عند طرف طاولة المطبخ: لم يعد الصبيان بعد... سيحتاجان إلى عشرين دقيقة أخرى حتى يصلا على دراجتيهما.

ابتسمت لوسي وقالت: كانا عازمين على ألاّ يفوتهما شيء.

- لا يمكنك لومهما. أقصد أنه أول تحقيق يحضرانه في حياتهما، وهو تحقيق يخص العائلة إذا صح التعبير.

- هل لك أن تخلي الطاولة يا سيد إيستلي؟ أريد وضع طبق القلي عليها.

أذعن برايان وقال: ذلك الدهن حار جداً. ماذا ستضعين فيه؟

- فطائر يوركشاير.

- آه، فطائر يوركشاير القديمة؟ لحم بقر إنكليزي، هل هذا هو طبق اليوم؟

- نعم.

- هذا طعام الجنائز! هل يضايقك حديثي معك؟

- إذا جئتَ للمساعدة فمن الأفضل أن تساعد.

أخرجت من الفرن مقلاة أخرى وقالت: ها هي... قلب شرائح

البطاطا هذه حتى تحمرّ من الجهة الأخرى.

أذعن برايان للأمر بكل نشاط وهو يسأل: هل كانت كل هذه داخل الفرن ونحن في جلسة التحقيق؟ ماذا لو أنها احترقت؟

- أمر غير ممكن. توجد للفرن ساعة توقيت منظِّمة.

- إنه عقل كهربائي، أليس كذلك؟

نظرت إليه لوسي نظرة سريعة وقالت: صحيح. ضع المقلاة في الفرن، خذ قطعة القماش هذه لتمسك بها. على الرف الثاني... أريد الرف العلوي من أجل فطائر يوركشاير.

أطاعها برايان لكنه صرخ عالياً. قالت: أحرقت نفسك؟

- قليلاً... لا يهم. إن الطبخ لعبة خطيرة!

- أظن أنك لم تطبخ طعامك بنفسك أبداً؟

- الواقع أنني أفعل كثيراً ولكن ليس هذا النوع من الطبخ. أستطيع أن أسلق بيضة... إذا لم أنسَ مراقبة الساعة، وأستطيع إعداد بيض باللحم، وأستطيع وضع قطعة لحم في الشواية أو فتح علبة شُربة. يوجد في شقتي واحد من هذه المواقد.

- هل تعيش في لندن؟

- إذا كنت تسمينه عيشاً... فنعم.

كانت نبرته حزينة. راقب لوسي وهي تخلط مزيج فطائر يوركشاير في الطبق وقال متنهداً: إنه رائع.

انتهت لوسي من عملها. نظرت إليه باهتمام أكثر وسألته: ما هو الرائع... المطبخ؟

- نعم. إنه يذكرني بمطبخنا في البيت... عندما كنت صبياً.

خطر للوسي وجود شيء بائس في مزاج برايان إيستلي. عندما نظرت إليه عن قرب أدركت أنه أكبر مما ظنت في البداية؛ لا بد أن عمره قريب من الأربعين، ويكاد يصعب التفكير بأنه والد ألكساندر. لقد ذكرها بعدد لا يحصى من الطيارين الشباب الذين عرفتهم أثناء الحرب، عندما كانت في الرابعة عشرة. وقد استمرت هي وكبرت لتعيش عالم ما بعد الحرب، ولكنها أحست كما لو أن برايان لم يستمر، بل أغفلته السنوات وهي تجري. وقد أكدت كلماته التالية هذه الحقيقة.

كان قد جلس وراء طاولة المطبخ ثانية وقال: إنه عالم صعب، أليس كذلك؟ أقصد القدرة على تحمل المصاعب. إن المرء لا يعتادها.

تذكرت لوسي ما سمعته من إيما. قالت: لقد كنت طياراً مقاتلاً وتحمل وسام الطيران، أليس كذلك؟

- هذا ما يعيق المرء في حياته... تحملين وساماً فيحاول الناس تهوين الأمور عليك بإعطائك وظيفة. إنه لطف كبير منهم، لكنها كلها وظائف إدارية والمرء لا يصلح لمثل هذه الوظائف. يجلس الموظف وراء مكتبه ويغرق بالأرقام. كانت لديّ أفكار خاصة وحاولت التغيير، ولكن لا أحد وقف معي يساندني. لو كان عندي قليل من رأس المال...

ثم سكت وهو يطيل التفكير حتى قال: أنت لم تعرفي إدي، زوجتي؟ أنت لا تعرفينها بالطبع. كانت تختلف كثيراً عن إخوتها هؤلاء. هي أصغرهم سناً، وكانت في سلاح الطيران الملكي. كانت تقول دائماً بأن والدها العجوز معتوه، وهو كذلك بالفعل... ويخيل إلى حد كبير. إنه لن يأخذ الأموال معه بعد وفاته؛ فهذا المال سيقسم عندئذ. وستذهب حصة إدي إلى ألكساندر بالطبع، ولن يستطيع الحصول على رأس المال إلا بعد بلوغه سن الحادية والعشرين.

- آسفة، هلا تخليت عن الطاولة مرة أخرى؟ أريد سكب الطعام وعمل صلصة مرق اللحم.

في تلك اللحظة وصل ألكساندر مع جيمس ستودارت لاهثَين وقد احمرّ وجهاهما.

قال ألكساندر يخاطب أباه بلطف: مرحباً... إذن فأنت هنا. ما هذا اللحم اللذيذ؟ هل توجد فطائر يوركشاير؟

- نعم، توجد.

- فطائر يوركشاير التي نأكلها في المدرسة فظيعة؛ إنها رطبة وطرية.

قالت لوسي: ابتعد عن طريقي... أريد عمل الصلصة.

- اعملي الكثير منها. هل نستطيع الحصول على طبقين من الصلصة؟

- نعم.

صاح جيمس ستودارت: جيد.

قال ألكساندر متلهفاً: لا أحبها خفيفة مائعة.

- لن تكون كذلك.

قال ألكساندر يخاطب والده: إنها طاهية بارعة.

رأت لوسي أن الوالد وابنه يقومان بدور معكوس؛ فالابن يتكلم كالأب الحاني مع أبيه.

سألها جيمس بأدب: هل تريدين منا مساعدة يا آنسة آيلسبارو؟

- نعم. اذهب يا ألكساندر واضرب الجرس. هل تحمل هذه الصينية يا جيمس وتأخذها إلى غرفة الطعام؟ هل تأخذ قطعة اللحم هذه إلى هناك يا سيد إيستلي؟ سأحضر البطاطا وفطائر يوركشاير.

قال ألكساندر: يوجد رجل من سكوتلانديارد في البيت. هل تظنين أنه سيتناول معنا الغداء؟

- هذا يعتمد على ما رتبته خالتك.

- لا أظن أن خالتي إيما ستمانع؛ فهي مضيافة جداً. لكني أظن أن خالي هارولد لا يحب هذا الشيء. إنه متضايق جداً من هذه الجريمة.

خرج ألكساندر من الباب حاملاً معه الصينية وهو ينظر إلى الوراء مضيفاً بعض المعلومات: السيد ويمبورن في المكتبة الآن مع مفتش سكوتلانديارد، لكنه لن يبقى حتى الغداء؛ فقد قال إنه يريد

العودة إلى لندن. هيا يا جيمس. آه، لقد ذهب ليقرع الجرس.

في تلك اللحظة قرع الجرس. كان جيمس فناناً، وقرعه بأقوى ما يستطيع فتوقف كل حديث.

حمل برايان قطعة اللحم وذهب إلى غرفة الطعام، وتبعته لوسي ومعها الخضار ثم عادت إلى المطبخ لتحضر طبق الصلصة.

كان السيد ويمبورن يقف في الصالة يلبس قفازيه بينما نزلت إيما الدرج مسرعة وهي تسأله: هل أنت متأكد من عدم استطاعتك البقاء لتناول الغداء معنا يا سيد ويمبورن؟ إنه جاهز.

- لا، لدي موعد مهم في لندن، ويوجد مطعم في القطار.

- أشكرك كثيراً على قدومك هنا.

خرج ضابطا الشرطة من المكتبة. وأمسك السيد ويمبورن بيد إيما وقال: لا يوجد ما تقلقين منه يا عزيزتي. هذا هو المفتش كرادوك من سكوتلانديارد جاء ليتولى القضية، وسيعود في الثانية والربع ليسألكم عن أية معلومات قد تساعده في هذا التحقيق. ولكن كما قلت: لا يوجد ما تقلقين من أجله.

نظر نحو كرادوك وقال: هل أقول للآنسة كراكثورب ما أخبرتني به؟

- بالتأكيد يا سيدي.

- لقد قال لي المفتش كرادوك بأن هذه الجريمة ليست محلية

بالتأكيد، ويعتقد بأن المرأة القتيلة كانت قادمة من لندن، وربما كانت أجنبية.

قالت إيما كراكثورب بحدة: أجنبية... هل هي فرنسية؟

كان واضحاً أن السيد ويمبورن أراد مواساة إيما في ذكره لتلك المعلومات، ولكنه بدا الآن مدهوشاً بعض الشيء.

ونظر ديرموت كرادوك إلى وجه إيما بسرعة وقد تعجّب لماذا قفزت إلى النتيجة القائلة إن المرأة القتيلة فرنسية، ولماذا أزعجتها تلك الفكرة كثيراً؟

* * *

الفصل التاسع

الوحيدون الذين عدلوا في حكمهم على طعام لوسي الممتاز هم الولدان وسدريك كراكثورب الذي بدا بشكل واضح غير متأثر بالظروف التي دعته للعودة إلى إنكلترا، بل إنه بدا -في الواقع- وكأنه يعتبر المسألة كلها طرفة جيدة ذات طبيعة مروعة.

لاحظت لوسي أن هذا الموقف كان غير مستساغ لأخيه هارولد الذي بدا وكأنه يعتبر جريمة القتل نوعاً من الإهانة الشخصية لعائلة كراكثورب، وقد كان إحساسه بالغضب كبيراً إلى حد لم يكد معه يتناول غداءه. وبدت إيما قلقة وحزينة، ولم تأكل هي الأخرى إلا القليل. وبدا ألفرد مستغرقاً في بحر أفكاره ولم يتكلم إلا قليلاً.

بعد الغداء عاد ضابطا الشرطة وسألا بأدب عن إمكانية التحدث مع السيد سدريك كراكثورب.

كان المفتش كرادوك مرحاً جداً وودوداً. قال: تفضل يا سيد كراكثورب. علمت أنك قد عدت لتوك من جزر باليري قرب إسبانيا... هل تعيش هناك؟

- أعيش فيها منذ ست سنوات؛ في إيبيزا. إنها تناسبني أكثر من هذا البلد الكئيب.

- أظن أن الجو فيها مشمس أكثر ممّا هو هنا. علمت أنك كنت في إنكلترا قبل مدة قصيرة لقضاء عيد الميلاد. ما الذي جعلك ترجع بهذه السرعة؟

رد عليه سدريك مبتسماً: تلقيت برقية من إيما، أختي. لم نشهد جريمة قتل في بيتنا من قبل أبداً، ولم أرغب بأن يفوتني أي شيء؛ ولذلك جئت مسرعاً.

- هل أنت مهتم بعلم الجريمة؟

- آه، لا حاجة لوضعها في هذه الصيغة العلمية الرفيعة! الأمر -ببساطة- أن جرائم القتل تستهويني... مثل الروايات البوليسية التي يُبحث فيها عن المجرم. إنها فرصة العمر أن تحدث جريمة على أعتاب بيت العائلة، كما أنني رأيت أن إيما المسكينة ستحتاج إلى مساعدة في التعامل مع والدها العجوز ومع الشرطة وغير ذلك من الأمور.

- فهمت. لقد استهوى الأمر -إذن- ميولك للّهو ومشاعرك نحو العائلة؛ لا شك أن أختك ستكون ممتنة لك كثيراً. حسناً، هل تستطيع تخمين هوية المرأة؟

- هيا أيها المفتش! أنت تعرف أصلاً (أو سيخبرك زملاؤك) بأنني لم أتمكن من التعرف عليها.

- قلت لك أن تخمن يا سيدي. ربما لم تر هذه المرأة من قبل... لكنك قد تستطيع أن تخمن من تكون؟

هز سدريك رأسه وقال: أنت تحرث في أرض بوار؛ ليست لديّ أي فكرة. أظنك تلمّح إلى أنها ربما جاءت إلى الحظيرة للقاء غرامي مع واحد منا؟ لكن أحداً منا لا يعيش هنا. الوحيدون الذين يسكنون هذا البيت امرأة ورجل عجوز. لا أظنك ترى حقاً أنها جاءت إلى هنا لموعد غرامي مع أبي؟

- ما نعنيه هنا -والمفتش يكون يوافقني- هو أن هذه المرأة ربما كان لها ذات يوم ارتباط معين بهذا البيت، وربما كان هذا قبل سنوات عديدة. أرجو أن تعود بذاكرتك إلى الوراء يا سيد كراكثورب.

فكر سدريك بعض الوقت ثم هز رأسه وقال: كنا نستخدم خادمات أجنبيات من وقت لآخر مثل معظم الناس، ولكنني لا أرى أي حالة محتملة من هذا النوع. ربما الأفضل أن تسأل الآخرين فهم يعرفون عن ذلك أكثر مني.

- سنفعل هذا بالطبع.

اتكأ كرادوك على ظهر مقعده وأكمل يقول: كما سمعتَ أثناء التحقيق، فإن الطبيب الشرعي لا يستطيع تحديد وقت الوفاة بدقة تامة؛ أكثر من أسبوعين، وأقل من أربعة أسابيع... وهو ما يجعل الحادث قريباً من وقت عيد الميلاد. قلت لي إنك عدت إلى الوطن لقضاء عطلة عيد الميلاد. متى وصلت إلى إنكلترا ومتى غادرت؟

فكر سدريك ثم قال: دعني أتذكر... جئت بالطائرة. وصلت

هنا يوم السبت الذي سبق عيد الميلاد، وهو يوم الحادي والعشرين من كانون الأول.

- هل طرت من مايوركا مباشرة؟

- نعم. غادرتها في الساعة الخامسة صباحاً ووصلت إلى هنا في منتصف النهار.

- ومتى غادرت؟

- عدت بالطائرة يوم الجمعة التالي السابع والعشرين من نفس الشهر.

- شكراً لك.

ابتسم سدريك وقال: هذا يضعني في دائرة الشبهة لسوء الحظ. ولكن يا حضرة المفتش، تأكد بأن خنق النساء ليس من متع عيد الميلاد المفضلة عندي.

- أرجو ألاّ يكون ذلك يا سيد كراكثورب.

بدا المفتش بيكون مستاءً، وسأله سدريك قائلاً: ألا توافقنا الرأي بأن هذا الأمر سيفضي إلى الكثير من عدم الراحة والشكوك؟

لكن المفتش بيكون اكتفى بهمهمة متأففة. قال المفتش كرادوك بأدب: أشكرك يا سيد كراكثورب. هذا كل ما لدي.

قال كرادوك بعد أن أغلق سدريك الباب وراءه: ما رأيك فيه؟

تأفف بيكون مرة أخرى وقال: إنه مغرور، وأنا لا أحب هذا النوع من الناس. إن هؤلاء الفنانين يعيشون حياة متحللة فاسدة ومن المحتمل جداً أن يتورطوا مع نساء سيئات السمعة.

ابتسم كرادوك فيما أكمل بيكون يقول: كما لا تعجبني الثياب التي يرتديها أيضاً. عديم الاحترام... يذهب إلى التحقيق بهذه الثياب. بنطال قذر لم أر أقذر منه في حياتي. وهل رأيت ربطة العنق عليه؟ إنها تبدو وكأنها خيط رفيع ملون. ولو سألتني لقلت إنه من النوع الذي يمكن أن يقتل امرأة بسهولة دون أن يرف له جفن.

- إنه لم يقتل هذه المرأة... إذا لم يكن قد غادر مايوركا قبل الحادي والعشرين من كانون الأول، وهذا ما نستطيع أن نتحقق منه بسهولة.

نظر إليه بيكون نظرة حادة وقال: ألاحظ أنك ما زلت لا تريد أن تصرح بالتاريخ الحقيقي لوقوع الجريمة.

- كلا، سنبقي الأمر سراً في الوقت الحالي. أنا أحب أن أبقي بعض الأشياء غامضة في المراحل الأولى من التحقيق.

أومأ بيكون موافقاً وقال: تريد أن تفاجئهم بها في الوقت المناسب... هذا أفضل رأي.

- قال كرادوك: والآن، سنرى ما سيقوله لنا ابن المدينة المحترم حول هذا كله.

لم يكن عند هارولد كراكثورب ما يقوله إلا القليل. قال إنه عمل مقزز، وحادث سيء. كان خائفاً من الصحف، وقد علم بأن

الصحافيين كانوا يطلبون إجراء مقابلات. كل هذه الأشياء تبعث على الأسف الشديد.

وبعد أن انتهت عبارات أسفه واشمئزازه، أسند ظهره إلى كرسيه وقد بدت عليه ملامح رجل أمامه رائحة مزعجة جداً.

لم يتوصل المفتش من أسئلته إلى أي نتيجة. لم يكن يعرف من هي المرأة أو من يمكن أن تكون. كان موجوداً في رذرفورد هول لقضاء عيد الميلاد. لم يستطع القدوم إلى هذا البيت إلا ليلة عيد الميلاد، لكنه بقي فيه حتى نهاية الأسبوع التالي.

قال المفتش كرادوك دون أن يحاول الضغط عليه بمزيد من الأسئلة: هذا كل ما لديك إذن.

كان قد قرر في نفسه بأن هارولد كراكثورب لن يقدم له أية مساعدة تذكر. وانتقل -بعد ذلك- إلى ألفرد الذي دخل الغرفة بشيء من اللامبالاة المبالغ بها قليلاً.

نظر كرادوك إلى ألفرد وراوده شعور غامض بأنه يعرفه. لقد رأى هذا الشخص في مكان ما من قبل بالتأكيد، أم أنه رأى صورته في الصحيفة؟ كانت الذكرى الغامضة في عقله مقرونة بعمل مخز. سأل ألفرد عن مهنته فكانت إجابة ألفرد غامضة.

- إنني أعمل في حقل التأمين في الوقت الحالي. وحتى وقت قريب كنت مهتماً بإنزال نوع جديد من الآلات الناطقة إلى السوق... ثورة في عالم الصناعة. والواقع إنني أكسب كثيراً من هذا العمل.

كان المفتش كرادوك يبدو معجباً... وما كان لأحد أن يدرك أنه

كان يلحظ المظهر الأنيق المصطنع لبذلة ألفرد ويقدر بشكل صحيح سعرها المتدني. كانت ثياب سدريك مزرية وبالية، ولكنها كانت ثياباً جيدة ومن مادة ممتازة. أما هذه البذلة فهي أناقة رخيصة تخبر عن نفسها. انتقل كرادوك إلى أسئلته الروتينية، وبدا ألفرد مهتماً، بل مسروراً بعض الشيء.

- إنها فكرة جديرة بالاهتمام أن تكون هذه المرأة قد عملت هنا مرة. ليس وصيفةً؛ لأنني لا أظن أن أختي استأجرت أحداً لمثل هذا العمل، بل لا أحسب أحداً يفعل ذلك في أيامنا هذه، ولكن في المنطقة الكثير من خدم المنازل الأجانب. كان لدينا خادمات بولنديات وخادمة ألمانية مؤقتة أو اثنتان، وبما أن إيما لم تتعرف مطلقاً على المرأة فإنني أحسب أن هذا يبطل كل الأفكار التي تراودك أيها المفتش؛ لأن لإيما ذاكرة ممتازة في تذكر الوجوه. كلا، إذا جاءت المرأة من لندن... بالمناسبة ما الذي جعلك تعتقد أنها جاءت من لندن؟

طرح سؤاله بطريقة عرضية، لكن عينيه كانتا حادتين مهتمتين.

ابتسم المفتش كرادوك وهز رأسه. ونظر ألفرد إليه بإمعان قائلاً: لا تريد أن تخبرني، أليس كذلك؟ ربما وجدتم في جيبها تذكرة العودة؟

- قد يكون يا سيد كراكثورب.

- حسناً، إذا سلمنا أنها جاءت من لندن، فربما كان الرجل الذي جاءت للقائه يعرف أن هذه الحظيرة ستكون مكاناً مناسباً

لارتكاب جريمة فيها، فمن الواضح أنه يعرف البيت جيداً، ولو كنت مكانك -أيها المفتش- لذهبت أبحث عنه.

قال كرادوك بنبرة فيها ثقة وهدوء: "إننا نبحث عنه". ثم شكر ألفرد وصرفه. وقال يخاطب المفتش بيكون: لقد رأيت هذا الرجل من قبل.

أطلق المفتش بيكون حكمة: زبون ذكي حاد الذكاء... حاد إلى حدٍّ يجرح معه نفسه أحياناً.

* * *

قال برايان وهو يدخل إلى الغرفة ويقف عند الباب متردداً: لا أظن أنك تريد رؤيتي؛ فأنا لست واحداً من العائلة تماماً...

- أنت السيد برايان إيستلي، زوج إدث كراكنثورب التي ماتت قبل خمس سنوات؟

- هذا صحيح.

- هذا لطف بالغ منك يا سيد إيستلي، خاصة إن كنت تعرف شيئاً تعتقد أنه يمكن أن يساعدنا بطريقة ما؟

- لكني لا أعرف... ليتني أعرف. ألا يبدو الأمر غريباً؟ أن تأتي إلى هنا وتقابل شخصاً في تلك الحظيرة القديمة الباردة وفي وسط الشتاء. ما كنت لأفضل مثل هذا الأمر!

وافقه المفتش كرادوك: إنه أمر محير بالتأكيد.

- هل صحيح أنها أجنبية؟ يبدو أن هذا الأمر انتشر بين الناس.

نظر إليه المفتش نظرة حادة وقال: هل توحي لك هذه الحقيقة بأي شيء؟

لكن برايان بدا كالأبله: كلا، الواقع أنها لا توحي لي بشيء.

قال المفتش بيكون بارتياب: ربما تكون فرنسية.

ازدادت حيوية برايان واهتمامه، وبدا ذلك واضحاً في عينيه الزرقاوين وتلمس شاربه الأشقر الكبير. هز رأسه وقال: حقاً؟ فتاة من باريس؟ هذا ما يجعل الأمر أكثر غرابة، أليس كذلك؟ أقصد أن تدخل لتعبث في الحظيرة. هل كشفتم ضحايا جرائم داخل توابيت حجرية غير هذه؟ ربما كان رجلاً يمتلك هوساً بالقتل... أو عقدة؟

لم يكلف المفتش كرادوك نفسه عناء معارضة هذه الفرضية، وبدلاً من ذلك سأله بطريقة عرضية: ألا توجد أية صلات بين واحد من أفراد العائلة وبين رجل فرنسي أو امرأة فرنسية على حد علمك؟

أوضح برايان بأن عائلة كراكثورب ليست عائلة فاسدة. قال: هارولد متزوج زواجاً محترماً بامرأة وجهها كوجه السمكة، وهي ابنة أحد النبلاء الذين افتقروا. أما ألفرد فلا أظن أنه يهتم بأمر النساء كثيراً؛ فهو يقضي وقته في الصفقات المشبوهة التي تنتهي بنهاية غير سعيدة في العادة. وأما سدريك فلعل له بعض الصديقات الإسبانيات في إيبيزا؛ فالنساء يقعن في غرامه. إنه لا يحلق ذقنه دائماً ويبدو وكأنه

لا يستحم أبداً. ولا أدري لماذا يجذبهن؟! لا أظن أنني أساعدكم في عملكم، أليس كذلك؟

ابتسم للمفتشين وقال: من الأفضل تكليف ألكساندر الصغير بهذا العمل. لقد خرج مع صديقه بحثاً عن الأدلة التي يمكن أن تكشف اللغز، وأراهنك على أنهما سيعودان بشيء.

قال المفتش كرادوك بأنه يأمل ذلك، ثم شكر برايان إيستلي وقال بأنه يريد الحديث مع إيما كراكثورب.

* * *

نظر المفتش كرادوك إلى إيما كراكثورب بانتباه أكثر مما أبداه من قبل، وكان ما يزال متحيراً من الملامح التي بدت عليها قبل الغداء.

امرأة هادئة. ليست غبية، وليست حادة الذكاء أيضاً. من أولئك النساء المريحات اللاتي يطمئن لهنّ الرجال واللاتي يمتلكن فن تحويل المنزل إلى بيت مريح ذي جو هادئ منسجم. هذا ما رآه كرادوك في إيما كراكثورب.

إن نساء من هذا النوع غالباً ما تتم الاستهانة بقدراتهن؛ فوراء مظهرهن الهادئ توجد قوة في الشخصية ينبغي أخذها بعين الاعتبار. وأحسّ كرادوك بأن مفتاح لغز المرأة القتيلة في التابوت ربما كان كامناً في مجاهيل عقل إيما.

وبينما كانت تلك الظنون والأفكار تجول في مخيلته كان

كرادوك يسألها العديد من الأسئلة غير المهمة. قال: لا أظن أن لديك الكثير مما لم تقوليه للمفتش بيكون؛ لذلك لا أريد إزعاجك بالكثير من الأسئلة.

- أرجو أن تسألني كل ما يبدو لك.

- كما أخبرك السيد ويمبورن، فقد توصلنا إلى نتيجة بأن المرأة القتيلة لم تكن من هذا البلد. وقد يكون هذا مصدر ارتياح لك... هذا ما يراه السيد ويمبورن، لكنه -في الحقيقة- يزيد من صعوبة الموقف بالنسبة لنا، فليس من السهل التعرف عليها.

- ولكن ألم يكن معها أي شيء... حقيبة؟ أوراق.

هز كرادوك رأسه وقال: لم تكن معها حقيبة ولا أوراق.

- ألا تعرفون عن اسمها... أو من أي مكان جاءت... لا شيء أبداً؟

فكر كرادوك في نفسه: إنها تريد أن تعرف... مهتمة جداً بأن تعرف من تكون هذه المرأة. ترى هل كانت تشعر بهذا الشعور منذ البداية؟ إن بيكون لم يعطني عنها ذلك الانطباع، وهو رجل ذكي.

ثم قال: لا أعرف عنها أي شيء. هذا ما جعلنا نأمل أن يساعدنا واحد منكم. هل أنت واثقة من أنك لا تستطيعين؟ حتى لو لم تتعرفي عليها... ألا تستطيعين تخمين من عساها تكون؟

خُيِّل له أنها صمتت برهة قصيرة جداً قبل أن تجيب، ولكن ربما كان ذلك مجرد تخيل من طرفه. قالت: ليست لديّ أي فكرة أبداً.

تغيرت لهجة المفتش كرادوك قليلاً. لم تكن ملحوظة باستثناء شيء من القسوة في الصوت: عندما أخبرك السيد ويمبورن بأن المرأة أجنبية، لماذا افترضت أنها فرنسية؟

لم ترتبك إيما، بل رفعت حاجبيها قليلاً وقالت: هل قلت ذلك؟ نعم، أظن أنني قلت ذلك. إنني لا أعرف حقاً لماذا... فيما عدا أن المرء يميل دائماً إلى الاعتقاد بأن الأجانب هم فرنسيون إلى أن يعرف جنسيتهم الحقيقية. إن معظم الأجانب في بلدنا فرنسيون، أليس كذلك؟

- آه، لا أظن ذلك يا سيدتي، ليس في هذه الأيام. لدينا هنا الكثير من الجنسيات؛ لدينا إيطاليون وألمان ونمساويون وأفراد من جميع الدول الإسكندنافية.

- نعم، أظن أنك على حق.

- هل يوجد لديك سبب خاص للاعتقاد بأن هذه المرأة يحتمل أن تكون فرنسية.

- كلا، لا أظن ذلك؟

نظرت إليه بهدوء دون أن تطرف لها عين. نظر كرادوك إلى المفتش بيكون، وتقدم الأخير وقدم لها علبة تجميل صغيرة وقال: هل رأيت هذه العلبة يا سيدتي؟

أخذتها وتفحصتها ثم قالت: لا، إنها ليست لي بالتأكيد.

- أتعرفين صاحبتها؟

- كلا.

- إذن لا أظن أن لنا حاجة في إزعاجك... في الوقت الحالي.

- شكراً لك.

ابتسمت لهما ابتسامة قصيرة ثم نهضت وغادرت الغرفة. مرة أخرى هُيئ لكرادوك -دون أن يستطيع الجزم- إنها خرجت بشيء من السرعة، وكأن ارتياحاً ما قد سرّع من خطواتها.

سأله بيكون: أتظن أنها تعرف شيئاً؟

قال المفتش كرادوك باكتئاب: في مرحلة معينة يميل المرء إلى الاعتقاد بأن كل شخص يعرف أكثر بقليل ممّا يرغب في قوله.

ردّ عليه بيكون من خلال تجربته: إنهم يفعلون ذلك في العادة، إلاّ أن ما يخفونه لا تكون له -غالباً- أي علاقة بالقضية المطروحة. إن هؤلاء الناس يخشون افتضاح أسرارهم العائلية أو مشكلاتهم السخيفة.

- نعم، أعرف. على الأقل...

ولكن المفتش كرادوك لم يستطع إكمال جملته، لأن الباب فُتح على مصراعيه ودخل السيد كراكتشورب العجوز في حالة سخط شديد. قال: إنه لموقف حرج جداً أن يأتي ضابط سكوتلانديارد إلى هنا ولا يبدي من اللباقة ما يجعله يتحدث مع رئيس العائلة أولاً! من هو سيد هذا البيت، أريد أن أعرف؟ أجبني عن هذا. من السيد هنا؟

قال كرادوك مهدئاً وهو يقف على قدميه: أنت بالطبع يا سيد كراكثورب، لكنا فهمنا بأنك أخبرت المفتش بيكون عن كل ما تعرفه، ولأن صحتك ليست على ما يرام فإننا لا نريد أن نجهدك بالأسئلة. لقد قال الدكتور كويمبر...

- نعم... نعم. لست رجلاً قوياً... أما بالنسبة للدكتور كويمبر فإنه كالمرأة العجوز الشمطاء... إنه طبيب جيد... يفهم حالتي، لكنه يريد إبقائي ملفوفاً بالقطن والحرير. لديه هاجس يستولي على تفكيره بخصوص الطعام. وقد ظل يسألني في عيد الميلاد عن الطعام الذي أكلته عندما توعكت، ومتى أكلت؟ ومن الذي طبخه؟ ومن الذي قدمه؟ يفتعل ضجة من لا شيء! ورغم أن صحتي ليست على ما يرام إلا أنني أستطيع إعطاءك كل ما يمكنني. جريمة قتل في بيتي... أو في حظيرة بيتي! إنها حظيرة مثيرة بنيت على الطراز الإليزابيثي. المهندس المعماري المحلي يقول بأنها ليست كذلك، لكنه لا يعرف ما يتحدث عنه. إنها تعود إلى عام ١٥٨٠ على أقل تقدير... ولكن هذا ليس موضوعنا. ما الذي تريد أن تعرفه؟ ما هي نظريتك الحالية؟

- ما زال الوقت مبكراً جداً على النظريات يا سيدي؛ ما زلنا نحاول اكتشاف صاحبة الجثة.

- أنتم تقولون إنها أجنبية؟

- نعتقد ذلك.

- عميلة للأعداء؟

- أظن ذلك مستبعَداً.

- تظن... تظن! إن هؤلاء الناس موجودون في كل مكان يخترقوننا! لا أدري لماذا تتركهم وزارة الداخلية يدخلون هكذا ليتجسسوا على الأسرار الصناعية! هذا ما أعتقده، وهو ما كانت تفعله هذه المرأة.

- في براكهامبتن؟!

- المصانع في كل مكان. يوجد مصنع خارج بوابة بيتي الخلفية.

نظر كرادوك إلى بيكون نظرة سريعة فاستجاب الأخير قائلاً: لصناعة الصناديق المعدنية.

قال العجوز: كيف نعرف ما يصنعونه حقيقة؟ لا يمكنك أن تصدق كل ما يقوله الناس لك. حسناً، إذا لم تكن جاسوسة فمن تكون بظنك؟ أتعتقد أنها قد تكون متورطة في علاقة مع واحد من أبنائي الأعزاء؟ لو كان هذا صحيحاً فسيكون ألفرد وليس هارولد؛ فهو حذر جداً. كما أن سدريك لن يقبل بالعيش في هذا البلد. إذن فهي صديقة ألفرد، وقد تبعها مجرمٌ إلى هنا معتقداً أنها كانت قادمة للقائه فقتلها. ما رأيك بهذا؟

قال المفتش كرادوك إن هذه مجرد فرضية وقال إن ألفرد لم يتعرف عليها.

- رياء! إنه خائف، هذا كل ما في الأمر! كان ألفرد رجلاً جباناً دائماً، وهوكذاب أيضاً... كان دوماً كذاباً. ما من فائدةٍ في أي

من أولادي. إنهم مجموعة من الجشعين ينتظرون موتي، هذه هي وظيفتهم الحقيقية في الحياة.

ثم قال ضاحكاً: "ويمكنهم الانتظار؛ فلن أفرحهم بموتي! حسناً، إن كان هذا كل ما يمكنني عمله لك... فقد تعبت. يجب أن أرتاح". ثم خرج من الغرفة مسرعاً.

قال بيكون متسائلاً: "صديقة ألفرد؟ أظن أن الرجل العجوز قد لفق هذه التهمة لابنه". سكت متردداً ثم قال: أنا شخصياً أعتقد أن ألفرد لا غبار عليه. ربما كان مراوغاً بشكل أو بآخر، لكنه ليس مجرمنا الذي نبحث عنه. لقد تساءلت عن أمر ضابط سلاح الطيران ذاك.

- برايان إيستلي؟

- نعم. لقد رأيت أكثر من واحد من هذه النوعية. إنهم أناس بلا هدف في هذه الدنيا... واجهوا الخطر والموت والإثارة في بداية حياتهم، أما الآن فإنهم يجدون الحياة رتيبة ولا تبعث على الرضا. لقد عاملناهم معاملة غير عادلة إلى حد ما، رغم أنني لا أعرف ما الذي يمكننا عمله لهم بهذا الخصوص. ولكن هذه هي النتيجة التي انتهوا إليها، دون مستقبل. وهم من النوع الذي لا يأبه للمجازفة. إن من شأن رجل عادي أن يلزم الحيطة غريزياً، لا بدافع الأخلاق بل من باب الحذر، ولكن أمثال إيستلي لا يخافون ولا يعرفون لكلمة الحيطة معنى. لو كان إيستلي متورطاً في علاقة غرامية مع امرأة وأراد أن يقتلها...

سكت وهو يرفع يده يائساً ثم قال: ولكن لماذا يقتلها؟ وإذا قتلت امرأة فلماذا تضعها في تابوت والد زوجتك؟ كلا، لا أعتقد أن لأحد من هذه العائلة علاقة بجريمة القتل. لو كانت لهم علاقة لما أوقعوا أنفسهم في ورطة في وضعهم الجثة داخل بيتهم.

وافقه كرادوك على أن ذلك ليس له أي معنى فسأل: هل تريد أن تفعل أي شيء آخر هنا؟

أجابه كرادوك بأنه لا يوجد شيء.

اقترح عليه بيكون العودة إلى براكهامبتن لتناول فنجان من الشاي، لكن المفتش كرادوك قال بأنه سيزور أحد معارفه القدامى.

* * *

الفصل العاشر

ابتسمت الآنسة ماربل عندما دخل عليها المفتش ديرموت كرادوك. قالت: أنا سعيدة جداً لأنهم عينوك لتولي هذه القضية. كنت أرجو ذلك.

قال كرادوك: عندما تلقيت رسالتك أخذتها إلى مساعد المفوض الذي كان قد تلقى مكالمة من شرطة براكهامبتن تستدعينا لتولي القضية؛ فقد بدا أنهم يظنون أنها ليست جريمة محلية. وقد اهتم مساعد المفوض كثيراً بما قلته له عنك. أظن أنه سمع عنك من عرّابي.

قالت الآنسة ماربل بانفعال: السير هنري الغالي؟

- لقد جعلني أخبره كل شيء عن قضية ليتل بادوك. هل تريدين أن تسمعي ما الذي قاله بعدها؟

- أرجوك أخبرني إلّم يكن حديثاً خاصاً.

- قال: "حسناً، بما أن هذا عمل بالغ السخف والالتواء، وكله خيال سيدتين عجوزين اتضح فيما بعد -على النقيض من كل

الاحتمالات- أنهما كانتا على حق، وبما أنك تعرف واحدة من هاتين السيدتين، فإنني أرسلك إلى هناك لتولي القضية." وهكذا جئت إلى هنا! والآن يا سيدتي العزيزة، إلى أين وصلنا؟ إنها ليست زيارة رسمية كما ترين؛ فلم أحضر أتباعي معي. رأيت أن نتدارس هذه القضية فيما بيننا أولاً.

ابتسمت له الآنسة ماربل وقالت: أنا واثقة أن أولئك الذين لا يعرفونك إلا بصفتك الرسمية لا يستطيعون تقدير لطفك وإنسانيتك، كما أنك تبدو أجمل شكلاً من أي وقت مضى. لا تخجل... والآن ما الذي عرفته حتى الآن بالضبط؟

- أظن أنني عرفت كل شيء. أقوال صديقتك ماغليكدي الأصلية التي أدلت بها إلى الشرطة في سينت ميري ميد، وشهادة تؤكد أقوالها من مفتش التذاكر، وكذلك الرسالة التي سلمتْها إلى آمر محطة القطارات في براكهامبتن. أعتقد أن المسؤولين المختصين قد أجْرَوا كل التحقيقات والتحريات... أقصد مسؤولي السكة الحديدية والشرطة على حد سواء. ولكن لا شك أنك تفوقت عليهم جميعاً في عملية الحدس الغريبة هذه.

قالت الآنسة ماربل: ليست عملية حدس. كانت لديّ ميزة عظيمة تفوقت بها عليهم؛ فقد كنت أعرف إلسبث ماغليكدي، بينما لم يعرفوها. ولم يُعثر على أي شيء واضح يؤكد روايتها، وإذ لم يبلّغ أحدٌ عن اختفاء امرأة، فإن من الطبيعي أن يعتقدوا أن الأمر لا يعدو خيالات امرأة عجوز... كما هي عادة العجائز! ولكن ليست إلسبث ماغليكدي من هذا الصنف.

وافقها المفتش: ليست إليزابيث ماغليكدي... إنني أتطلع إلى لقائها. أرجو ألاّ تكون قد ذهبت إلى سيلان. بالمناسبة، إننا نرتب مسألة التحقيق معها هناك.

- إن عملية المحاكمة العقلية التي قمتُ بها لم تكن حقاً عملية مبتكرة من جانبي. إنها موجودة في قصة مارك توين... الولد الذي وجد الحصان. لقد تخيل أين يمكن أن يذهب لو كان هو حصاناً، ثم ذهب إلى هناك فوجد الحصان.

- هل تخيلتِ ما كنت ستفعلينه لو كنت مجرمة قاتلة؟ يا لعقلك! وهل يمكنك الذهاب إلى أبعد من هذا ووضع نفسك في محل القاتل لتخبريني أين هو الآن؟

تنهدت الآنسة ماربل وقالت: ليتني أستطيع. لا أعرف... لا أعرف أبداً. لكن لا بد أن يكون شخصاً قد عاش في ذلك المنزل أو أنه يعرف عنه كل شيء.

- أتفق معك، لكن هذا يفتح أمامنا مجالاً واسعاً من الاحتمالات. الكثير من الخادمات النهاريات تعاقبن على العمل هناك وكلهن يعرفن حظيرة الماشية هذه والتابوت الحجري وأين يوضع المفتاح. إن كل شيء هناك معروف تماماً لدى أهل المنطقة، وأي شخص يعيش قريباً من هناك قد يجد فيها مكاناً ملائماً لأغراضه.

- نعم. إنني أتفهم تماماً المصاعب التي تواجهونها.

- لن نتوصل إلى أي شيء ما لم نعرف هوية القتيلة.

- وهذا أيضاً قد يكون صعباً؟

- آه، سنصل إلى ذلك في النهاية. إننا ندقق في كل البلاغات المتعلقة باختفاء أي امرأة في مثل سنها ومظهرها، ولم نجد -إلى الآن- واحدة تنطبق عليها هذه المواصفات. الطبيب الشرعي يقدر عمرها بحدود خمس وثلاثين سنة، كانت بصحّة جيدة وربما كانت متزوجة وأنجبت واحداً على الأقل. معطف الفراء الذي ارتدته من النوع الرخيص، وقد بيع المئات منه في الأشهر الأخيرة في لندن، ونحو ستين بالمئة منها بيعت لنساء شقراوات، ولكن لم تتمكن أي بائعة من التعرف على صورة القتيلة. أما ملابسها الأخرى فيبدو أنها من صناعة أجنبية وقد تم شراؤها من باريس غالباً. لا توجد علامات لمحلات إنكليزية لتنظيف الألبسة على ملابسها، وقد اتصلنا بباريس وهم يتحرون الآن عنها لصالحنا. سيتقدم شخص -عاجلاً أو آجلاً- ليبلغ عن اختفاء قريبة له أو مستأجرة عنده... إنها مسألة وقت فقط.

- ألم تساعدكم علبة الزينة بأي شيء؟

- لسوء الحظ، أبداً. إنها من النوع الذي يباع بالمئات في شارع ريفولي، وهي رخيصة جداً. بالمناسبة، كان يجب أن تسلميها إلى الشرطة فوراً، أو كان على الآنسة آيلسبارو فعل ذلك.

هزت الآنسة ماريل رأسها وقالت: ولكن لم تكن قد ظهرت إلى الوجود مسألة حدوث جريمة حينذاك. وإذا وجدت فتاة وهي تلعب الغولف علبة زينة قديمة ليست ذات قيمة فوق العشب فإنها لا تذهب لإبلاغ الشرطة عنها بالتأكيد!

سكتت الآنسة ماربل قليلاً ثم أضافت تقول جازمة: لقد رأيت أنه من الحكمة العثور على الجثة أولاً.

سر المفتش كرادوك من كلامها وقال: لا يبدو أن أي شكوك قد ساورتك في مسألة العثور على الجثة؟

- كنت واثقة أننا سنعثر عليها؛ فلوسي آيلسبارو فتاة قديرة وذكية جداً.

- هذا صحيح! لقد أرعبتني، إنها قديرة إلى أبعد حد؛ لن يجرؤ رجل على الزواج بتلك الفتاة.

- أتعلم؟ أنا أرى غير ذلك، ولكن لا بد أن يكون الرجل من نوع خاص بالطبع.

فكرت الآنسة ماربل في هذه المسألة لحظة ثم قالت: كيف تسير حياتها في رذرفورد هول؟

- إنهم يعتمدون عليها اعتماداً كلياً حسبما رأيت. إنها تأكل طعامها من تعب يديها بكل معنى الكلمة. بالمناسبة، هم لا يعرفون صلتها بك؛ فقد تكتمنا على هذه المسألة.

- ليس لها الآن صلة بي. لقد فعلت ما طلبت منها فعله.

- إذن فإن بوسعها ترك العمل لو أرادت؟

- نعم.

- لكنها باقية هناك. لماذا؟

- لم تذكر لي أسبابها. إنها فتاة ذكية جداً، وأظن أنها أصبحت مهتمة بالقضية.

- بالمشكلة؟ أم بالعائلة؟

- ربما كان من الصعب الفصل بين الاثنين.

نظر كرادوك إليها نظرات متفحصة وقال: أظن أنك تفكرين في شيء.

هزت الآنسة ماربل رأسها نافية. وتنهد المفتش كرادوك وقال: إذن كل ما أستطيع عمله هو متابعة تحرياتي. إن حياة رجل الشرطة حياة مملة!

- أنا واثقة من أنك ستصل إلى نتيجة.

- هل لديك أية أفكار لي؟ مزيد من الحدس الملهم؟

قالت الآنسة ماربل بغموض: كنت أفكر في أشياء مثل الشركات المسرحية التي تنتقل من مكان إلى آخر وقد لا يكون لأفرادها الكثير من الروابط العائلية. إن شابة في مثل هذا الوسط لا يرجح أن يفتقدها أحد إذا ما غابت.

قال كرادوك: "نعم، ربما كان كلامك صحيحاً. سنولي اهتماماً خاصاً لهذه الناحية". ثم أضاف يقول: ما الذي يجعلك تبتسمين؟

- كنت أفكر في وجه إلسبث ماغليكدي كيف سيكون عندما تعلم أننا وجدنا الجثة!

* * *

قالت السيدة ماغليكدي: حسناً! حسناً!

ثم خانتها الكلمات. نظرت إلى الشاب الوسيم الذي جاء لزيارتها حاملاً أوراقاً رسمية ثم نظرت إلى الصورة التي أعطاها لها. قالت: إنها هي دون شك. نعم، إنها هي... مسكينة. أنا سعيدة جداً لأنكم عثرتم على جثتها. لم يصدق أحد ما قلته! سواء الشرطة أو موظفو السكة الحديدية أو أي أناس غيرهم. أمر مزعج ألا يصدقك أحد... على أية حال لا يستطيع أحد القول إنني لم أفعل ما كان بوسعي فعله.

أعرب لها الرجل اللطيف عن تعاطفه وإعجابه بها. سألته: أين وجدتم الجثة؟

- في حظيرة ماشية في بيت قرب براكهامبتن.

- وكيف وصلت إلى هناك؟

لم يجبها الشاب. فقالت: أظن أن جين ماربل هي التي وجدتها؛ إنها سيدة يعتمد عليها.

قال الشاب وهو يراجع بعض الأوراق: إن التي وجدت الجثة فتاة تدعى لوسي آيلسبارو.

- لم أسمع بها أبداً. ما زلت أعتقد أن جين ماربل لها علاقة بالأمر.

- على أية حال يا سيدتي، فإنك تشهدين بأن صاحبة هذه الصورة هي قطعاً المرأة التي رأيتها في القطار، أليس كذلك؟

- وكان يخنقها رجل. بلى، أشهد بذلك.

- وهل يمكنك وصف الرجل؟

- كان رجلاً أسمر طويل القامة.

- وأيضاً؟

- هذا كل ما أستطيع قوله. كان يدير لي ظهره فلم أرَ وجهه.

- ألا يمكنك أن تقدري عمره؟

فكرت السيدة ماغليكدي وقالت: لا أستطيع... أقصد أنني لا أعرف، ولكن أكاد أكون واثقة أنه لم يكن في ريعان الشباب. كانت كتفاه متهدلتين قليلاً، إن كنت تفهم قصدي.

أومأ الشاب برأسه. وأضافت تقول: عمره يبدأ بالثلاثين صعوداً، ولا أستطيع تقريبه أكثر من ذلك. الحقيقة أنني لم أكن أنظر إليه. كنت أنظر إليها هي ويداه حول رقبتها ووجهُها... أزرق تماماً. ما زلت إلى الآن أحلم أحياناً بذلك المنظر.

قال الشاب: "لا بد أنها كانت تجربة محزنة". ثم أغلق دفتره وقال: متى ستعودين إلى إنكلترا؟

- ليس قبل ثلاثة أسابيع. هل هذا ضروري بالنسبة لي؟

طمأنها بسرعة قائلاً: لا. لا شيء يمكنك عمله في الوقت الحالي. لو اعتقلناه فإننا بالطبع...

لم يكمل عبارته تلك.

جاء البريد برسالة من الآنسة ماربل لصديقتها. كان الخط مشوشاً مهلهلاً، ولكن الممارسة الطويلة جعلت السيدة ماغليكدي تفك ألغازه بسهولة. وقد كتبت الآنسة ماربل سرداً كاملاً لصديقتها التي قرأت كل كلمة بسرور بالغ.

لقد أثبتت هي وجين للشرطة من هو المحق!

* * *

الفصل الحادي عشر

قال سدريك وهو يتكئ على الحائط المتداعي لحظيرة الماشية وينظر إلى لوسي: لا أستطيع فهمك.

قالت: ما الذي لا تفهمه؟

- ماذا تفعلين هنا؟

- إنني أكسب عيشي.

رد عليها باستخفاف: كخادمة؟

قالت لوسي: أنت من طراز قديم، تقول خادمة! أنا مساعدة منزلية... مديرة منزل محترمة.

- لا يمكن أن تحبي كل الأشياء التي تكلفين بها فعلاً... الطبخ وترتيب الأسرّة وكنس الأتربة وغمس اليدين إلى المرفقين في ماء تعلوه الدهون...

ضحكت لوسي وقالت: ربما لا أحب كل هذه التفصيلات.

ولكن الطبخ يشبع غرائز الابتكار لدي، ويوجد في داخلي شيء يجعلني أستمتع حقاً في ترتيب الفوضى.

- أنا أعيش في فوضى دائمة... إنني أحب ذلك.

- أنت تبدو كذلك.

- كوخي في إيبيزا بسيط ومتواضع. عندي ثلاثة صحون وفنجانان وسرير وطاولة وكرسيان. الغبار في كل مكان وروائح أصباغ الرسم وشظايا الحجر؛ فأنا أنحت بالإضافة إلى الرسم.. ولا أسمح لأي شخص بلمس أي شيء.

- كم أود لو تتاح لي ساعة عمل في كوخك. سيكون ذلك تحدياً لقدراتي!

- لن تتالي هذه الفرصة.

- أعرف.

- يا لك من فتاة تتدخل في كل شيء! فهمت الآن لماذا كنت أنت التي اكتشفت الجثة! حتى إنك لم تستطيعي ترك تابوت حجري قديم وشأنه... هذا التابوت الرائع الذي جاء به أبي من بلد بعيد! بالمناسبة، ما هو رأيك بوالدي؟

- لم يتح لي وقتٌ كافٍ حتى أكوّن عنه رأياً.

- لا تتهربي من الجواب. إنه بخيل جداً، وهو -برأيي- معتوه بعض الشيء. إنه يكرهنا جميعاً بالطبع... ربما باستثناء إيما. إنه بسبب وصية جدي...

نظرت إليه لوسي متسائلة، فقال: كان جدي رجل أعمال ذكياً وجمع ثروة من صناعة الأطعمة الخفيفة و الفطائر الجاهزة. ثم جاء وقت أعلن فيه والدي أن له روحاً وهمّة أبعد من الفطائر ورقائق البطاطا فسافر إلى إيطاليا واليونان واهتم بالفن، وقد اغتاظ جدي كثيراً فقرر أن والدي لا يصلح لا للأعمال ولا لِلحكم على الأعمال الفنية (وكان محقاً تماماً في الحالتين) ولذلك ترك كل ثروته تحت الوصاية لأحفاده. ويحصل والدي على عائدات هذه الثروة طوال حياته، لكنه لا يستطيع التصرف برأس المال. أتعرفين ما الذي فعله؟ توقف عن إنفاق النقود. جاء إلى هنا وبدأ يدّخر، وأظن أنه جمع الآن ثروة تعادل ما تركه جدي أصلاً. وفي غضون ذلك لم يحصل أي منا، هارولد وأنا وألفرد وإيما، على أي فلس من أموال جدي. أنا رسام مفلس. وهارولد ذهب ليعمل في مجال الأعمال وهو الآن شخصية مرموقة في المدينة. إنه رجل صاحب حس بارع في جمع المال، رغم أنني سمعت شائعات تقول إنه في وضع مالي صعب في الفترة الأخيرة. أما ألفرد... فهو معروف جيداً في أوساط العائلة بأنه ألفرد الشقي.

- لماذا؟

- أنت تريدين معرفة الكثير! الإجابة هي أن ألفرد هو الشخص المنحرف في العائلة. إنه لم يدخل السجن بعد، لكنه يوشك على ذلك. كان يعمل في وزارة التموين أثناء الحرب لكنه تركها فجأة في ظروف مريبة، وبعد ذلك حدثت بعض الصفقات المريبة في البيض والفواكه المعلبة. لم يكن الأمر بالغ الخطورة... فقط بعض الصفقات الجانبية المريبة.

- أليس من غير الحكمة أن تخبر الغرباء بهذه الأمور؟

- لماذا، هل أنت جاسوسة للشرطة؟

- قد أكون.

- لا أظن ذلك؛ فقد كنت تكدحين هنا قبل أن يبدأ الشرطة بالاهتمام بأمرنا. أعتقد...

قطع حديثه حين جاءت أخته إيما من باب حديقة المطبخ وقال لها: مرحباً يا إيما. تبدين قلقة من شيء ما؟

قالت لوسي بلباقة: سأعود إلى البيت.

قال سدريك: لا تذهبي؛ لقد جعلتْكِ جريمة القتل واحدة من أفراد العائلة عملياً.

قالت لوسي: لديّ الكثير من العمل؛ لقد خرجت لأقطف بعض البقدونس.

عادت لوسي إلى حديقة المطبخ مسرعةً، ونظرت إيما إلى أخيها بقلق وهي تقول: إنني منزعجة جداً يا سدريك؛ فمن الواضح أن الشرطة يعتقدون بأن المرأة القتيلة أجنبية، وربما فرنسية. سدريك، هل تعتقد أنها يمكن أن تكون مارتين؟

حدق سدريك إليها لبضع لحظات وكأنه لا يفهم ما تقول، ثم قال: مارتين؟ ولكن من هي بالله عليك... آه، تقصدين مارتين؟

- نعم، هل تعتقد...

- ولماذا عساها تكون مارتين؟

- إرسالها تلك البرقية كان غريباً... لا بد أنها أُرسلت في نفس الوقت تقريباً. أتظن أنها ربما جاءت إلى هنا و...

- هراء. ولماذا تأتي مارتين إلى هنا وتذهب إلى الحظيرة؟ لماذا؟ يبدو لي هذا أمراً بعيد الاحتمال.

- ألا تظن أن عليّ إبلاغ المفتش بيكون أو المفتش الآخر؟

-تبلغيه بماذا؟

- بخصوص مارتين... عن رسالتها.

- لا تعقّدي الأمور يا أختي بذكرك الكثير من الأشياء التي ليس لها علاقة بكل هذا. وأنا لم أقتنع أبداً بتلك الرسالة من مارتين على أية حال.

- لكني اقتنعت.

- لقد كنت دوماً بارعة في تصديق الأشياء بسرعة يا عزيزتي. نصيحتي لك هي أن تغلقي فمك وتكوني حذرة في كلامك. إن من واجب الشرطة أن يتعرفوا على الجثة التي وجدوها، وأعتقد أن هارولد له نفس الموقف أيضاً.

- آه، أعرف أن هارولد سيقول هذا، وألفرد أيضاً. لكني قلقة يا سدريك، إنني قلقة حقاً. لا أعرف ماذا أفعل؟

أجابها سدريك على الفور: لا شيء. أبقي فمك مغلقاً يا إيما. إن شعاري هو أن لا تبحثي عن المشكلات بنفسك.

تنهدت إيما و عادت متثاقلة الخطوات إلى البيت والقلقُ بادٍ عليها. وعندما وصلت إلى الممشى الخارجي خرج الدكتور كويمبر من البيت وفتح باب سيارته الأوستن البالية. وعندما رآها توقف، ثم غادر السيارة وجاء نحوها قائلاً: حسناً يا إيما. والدك في وضع صحي رائع. الجريمة تناسبه... لقد منحتْه اهتماماً بالحياة. لا بد أن أوصي بهذا لمزيدٍ من المرضى.

ابتسمت إيما لاشعورياً. كان الدكتور كويمبر سريعاً في ملاحظة ردود الفعل، وسألها: هل يوجد ما يضايقك؟

نظرت إيما إليه. كانت تعتمد كثيراً على لطف الطبيب وتعاطفه، وقد أصبح صديقاً ترجع إليه في الأمور الطبية وسواها. ولم تخدعها فظاظته المحسوبة؛ فقد كانت تعرف رقته ولطفه. قالت: نعم إنني قلقة.

- هل تصارحينني؟ لا تفعلي إن كنت لا تريدين؟

- بلى، أودّ مصارحتك... بل إنك تعرف بعض الأمور بالفعل. المشكلة أنني لا أعرف ماذا أفعل.

- أعتقد أن أحكامك كانت دوماً موثوقة يعتمد عليها. ما هي المشكلة؟

- ربما تذكر (أو لعلّك لا تذكر) ما قلته لك ذات مرة عن أخي الذي قُتل في الحرب؟

- تقصدين بخصوص زواجه بفتاة فرنسية أو رغبته بالزواج بها؟ كان شيئاً من هذا القبيل؟

- نعم. استلمتُ منه رسالة بهذا الخصوص وقُتل بعد أن استلمت تلك الرسالة فوراً، ولم نسمع شيئاً عن الفتاة بعدها أبداً. كل ما كنا نعرفه في الواقع هو اسمها الأول، وتوقعنا منها دائماً أن تكتب رسالة أو تأتي، لكنها لم تفعل. ولم نستطع أي شيء... إلا قبل شهر واحد تقريباً، قبل عيد الميلاد بقليل.

- أذكر هذا... تلقيتِ منها رسالة، أليس كذلك؟

- بلى، وقالت إنها موجودة في إنكلترا وتحب أن تأتي لرؤيتنا. وقد رتبنا كل شيء، وفي آخر لحظة أرسلت برقية تقول فيها إنها تريد العودة إلى فرنسا لأمر عاجل.

- حسناً؟

- الشرطة يعتقدون أن تلك المرأة القتيلة كانت فرنسية.

- أحقاً؟ بدت لي أقرب إلى الإنكليز، لكن لا يمكننا الجزم بذلك. إن ما يقلقك -إذن- هو مجرد احتمال أن تكون المرأة القتيلة هي صاحبة أخيك؟

- نعم.

قال الدكتور كويمبر: أظن أنه أمر مستبعد جداً، ومع ذلك أفهم شعورك.

- أنا محتارة إن كان يجب عليّ إخبار الشرطة بهذا الأمر. سدريك والآخرون يقولون إن ذلك غير ضروري أبداً. ما رأيك؟

زم الدكتور كويمبر شفتيه وصمت لحظة أو لحظتين مستغرقاً في التفكير، ثم قال كارهاً: من الأسهل طبعاً ألاّ تقولي شيئاً. أفهم شعور إخوتك حيال هذا الأمر، ومع ذلك...

- نعم؟

نظر إليها نظرات مودة ثم قال: لو كنت مكانك لأخبرتهم فوراً. إذا لم تفعلي فسوف تستمرين في قلقك. إنني أعرفك.

احمرّ وجه إيما خجلاً وقالت: ربما كنتُ حمقاء.

- افعلي ما تريدينه يا عزيزتي... وليحدث ما يحدث لبقية العائلة!

* * *

الفصل الثاني عشر

- أيتها الفتاة! أنت يا فتاة! تعالي هنا.

التفتت لوسي مدهوشة. كان السيد كراكتشورب العجوز يشير إليها من داخل الغرفة. سألت: هل تريدني يا سيد كراكتشورب؟

- لا تتحدثي كثيراً... تعالي.

دخلت لوسي طائعة. أمسك السيد كراكتشورب بذراعها وسحبها إلى الداخل وأغلق الباب وقال: أريد أن أريك شيئاً.

نظرت لوسي حولها. كانا في غرفة صغيرة صُمّمت أصلاً لاستخدامها كمكتب فيما يبدو ولكن من الواضح أنها لم تستخدم لهذا الغرض منذ زمن طويل جداً. كانت أكوام من الأوراق التي علاها الغبار متراكمة على الطاولة وبيوت العناكب تزين زوايا السقف، فيما انتشرت رائحة العفن والرطوبة.

سألته: هل تريد مني تنظيف هذه الغرفة؟

هز الرجل العجوز رأسه بقوة وقال: كلا، ليس ذلك. إنني أبقي

هذه الغرفة مقفلة. إيما تحب العبث هنا لكنني لا أسمح لها فهي غرفتي. هل ترين هذه الحجارة؟ إنها عينات جيولوجية.

نظرت لوسي إلى ما يتجاوز دستة من الحجارة، بعضها مصقول وبعضها ليس كذلك. قالت بلطف: رائعة... مثيرة جداً.

- أنت على حق؛ فهي مثيرة. إنك فتاة ذكية. أنا لا أريها لكل واحد... سأريك بعض الأشياء الأخرى.

- هذا لطفٌ منك، لكنني أريد متابعة ما كنت أعمله؛ فمع وجود ستة أشخاص في البيت...

- إنهم يأكلون من لحمي ودمي... هذا كل ما يفعلونه عندما يأتون إلى هنا! يأكلون. حتى إنهم لا يعرضون عليّ دفع ثمن ما يأكلونه. طفيليون! كلهم ينتظرون موتي. لن أموت.. لن أموت حتى لا يفرحوا بموتي. إنني أقوى بكثير حتى مما تعرفه إيما عني.

- أنا متأكدة من ذلك.

- كما أنني لست بالعجوز كثيراً. إنها تظن أنني رجل عجوز وتعاملني على هذا الأساس. هل تعتقدين أنني عجوز؟

- بالتأكيد لا.

- فتاة واعية. انظري إلى هذه.

أشار إلى رسم كبير باهت معلق على الحائط. رأت لوسي شجرة عائلة بعض أسمائها مكتوب بخط صغير جداً يكاد لا يُرى

إلا بواسطة عدسة مكبرة. أما أسماء الأسلاف القدماء فكانت مكتوبة بخط كبير واضح.

قال السيد كراكثورب: من سلالة ملوك... إنها شجرة عائلة والدتي وليس والدي. كان والدي رجلاً عادياً من عامة الناس! ولم يكن يحبني. كنت دائماً أعلى منه درجة، حيث أنني ورثت صفات أهل والدتي، وكان عندي ميلٌ طبيعي إلى الفن والمنحوتات الكلاسيكية، وكان يستخف بميولي هذه. عجوز سخيف أحمق! أنا لا أتذكّر والدتي؛ فقد ماتت عندما كنت في الثانية من عمري، وكانت آخر واحدة في عائلتها. لقد أفلست عائلتها فعرضت ممتلكاتها للبيع، وعندئذ تزوجت أمي بأبي. انظري هناك إلى أسماء أجدادي...كلهم من الملوك، وذلك كله قبل أن يحكم النورمانديون إنكلترا. قبل النورمانديين... إنه شيء عظيم، أليس كذلك؟

- إنه كذلك فعلاً.

- سأريك الآن شيئاً آخر.

أخذها إلى جهة أخرى من الغرفة حيث توجد قطعة أثاث خشبية كبيرة. كانت لوسي تشعر بالاضطراب وهي تحس قوة أصابعه التي تضغط على ذراعها. لم يبدُ ما يدل على ضعف السيد كراكثورب اليوم.

أضاف يقول: أترين هذه؟ إنها من منزل أهل والدتي، وهي من العهد الإليزابيثي. تحتاج إلى أربعة رجال لتحريكها. لا تعرفين ما الذي أحتفظ فيه بداخلها، أليس كذلك؟ هل تريدين مني أن أريك؟

قالت لوسي بأدب: أرجوك، أرني.

- أنت فضولية، أليس كذلك؟ كل النساء فضوليات.

أخرج من جيبه مفتاحاً وفتح باب الخزانة السفلية فأخرج منها علبة نقود جديدة تماماً، فتح هذه العلبة وقال: انظري إلى هذا يا عزيزتي. أتعرفين ما هذه؟

أخرج منها أسطوانة صغيرة مغلفة بالورق ومزق الورق من أحد الطرفين فسقطت في يده بعض القطع النقدية الذهبية.

- انظري إلى هذه يا فتاتي. انظري إليها، أمسكيها، تحسسيها. لتعرفين ما هذه؟ أراهنك على أنك لا تعرفين؛ فأنت صغيرة! إنها جنيهات ذهبية قديمة. كنا نستخدمها قبل أن ينتشر استخدام هذه الأوراق النقدية القذرة. إنّ قيمتها أفضل بكثير من قيمة هذه الأوراق النقدية. لقد جمعتها منذ وقت طويل، وأنا أحتفظ بأشياء أخرى في هذه العلبة. لقد وضعت فيها كثيراً من الأشياء... كلها من أجل المستقبل. إيما لا تعرف... لا أحد يعرف. هذا سرٌّ بيننا، أفهمتِ يا فتاتي؟ هل تعرفين لماذا أقول لك هذا وأريك هذه الأشياء؟

- لماذا؟

- لأنني لا أريدك أن تعتقدي بأنني رجل عجوز مريض واهن. ما زال في جسدي الكثير من الحياة. لقد تعرفت على زوجتي منذ زمن بعيد وكانت تعارض كل شيء دائماً. لم تعجبها الأسماء التي سميت أولادي بها رغم أنها أسماء سكسونية جيدة ولم تكن تهتم بشجرة عائلتي. ولم أكن ألتفتُ أبداً لما كانت تقوله، وكانت تذعن لي دائماً؛

فقد كانت امرأة ضعيفة مسكينة. أما أنت فإنك فتاة قوية نشيطة... شابة نشيطة لطيفة. سأعطيك نصيحة: لا تضيعي نفسك على شاب صغير. الشباب حمقى! لا بد أن تهتمي بمستقبلك. انتظري...

ضغطت أصابعه على يدها. قرّب فمه من أذنها وقال: لن أقول أكثر من هذا: انتظري. هؤلاء الحمقى المغفلون يظنون أنني سأموت قريباً، لكني لن أموت. لن يدهشني أن أعيش بعدهم كلهم، وعندها سنرى! آه، نعم، سنرى. هارولد ليس لديه أطفال. سدريك وألفريد غير متزوجين. إيما... لن تتزوج أبداً. إنها تميل إلى كويمبر قليلاً، لكن كويمبر لن يفكر أبداً في الزواج بإيما. ولدينا ألكساندر بالطبع. نعم، ولكن أتعلمين إنني أحب ألكساندر كثيراً؟ نعم، هذا غريب. إنني أحب ألكساندر كثيراً.

سكت قليلاً وهو يعبس ثم قال: حسناً أيتها الفتاة، ما رأيك؟ ما رأيك؟

- آنسة آيلسبارو...

كان ذلك صوت إيما الذي تناهى ضعيفاً من خلال باب المكتب الموصد. انتهزت لوسي هذه الفرصة بامتنان وقالت: الآنسة كراكنثورب تناديني... يجب أن أذهب. أشكرك كثيراً لكل ما أريتني إياه.

- لا تنسي، إنه سرنا.

قالت لوسي: "لن أنسى". ثم أسرعت وخرجت إلى الصالة وهي غير واثقة تماماً إن كان ما تلقته لتوها عرضاً للزواج أم شيئاً آخر.

* * *

جلس ديرموت كرادوك مسترخياً وراء مكتبه في مكتب سكوتلانديارد. كان يتحدث بالهاتف وهو يرفع السماعة بيد بينما كانت اليد الأخرى على الطاولة. وكان يتحدث بالفرنسية التي كان يتقنها إلى حدٍّ ما. كان يقول: إنها مجرد فكرة فقط.

رد عليه صوت على الطرف الآخر من باريس: إنها فكرة بالتأكيد. لقد قمت بتحرياتي في تلك الدوائر، وقد أبلغني المخبر بأنه قام ببعض التحريات التي تبشر بخير. إن مثل هؤلاء النسوة يختفين بسهولة تامة دون أن يقلق عليهن أحد... قد يسافرن في عروض مسرحية جوالة أو يذهبن مع عاشق جديد. ليس من شأن أحد أن يسأل عن هذا الأمر. ومن المؤسف أن الصورة التي أرسلتها إليّ يصعب على أي شخص التعرف إليها. كان الوجه مشوهاً بسبب الاختناق، ومع ذلك لا حيلة لنا في الأمر. سأذهب الآن لدراسة آخر التقارير التي توصل إليها عملائي في هذا الخصوص فقد نجد شيئاً مهماً. وداعاً يا صديقي.

وعندما كان كرادوك يضع السماعة وُضعت ورقة على الطاولة أمامه وكان مكتوباً عليها: الآنسة إيما كراكثورب تريد رؤية المفتش كرادوك بشأن قضية رذرفورد هول.

وضع السماعة وقال للشرطي: "أحضرها إليّ". وبينما كان ينتظر وصولها استند بظهره إلى الكرسي يفكر. إذن فهو لم يخطئ؛ لقد كانت إيما كراكثورب تعرف شيئاً... ربما ليس بالشيء الكثير لكنه شيء ما، وها هي تقرر إبلاغه به.

وقف لتحيتها عندما دخلت وأجلسها على كرسي وعرض عليها

قهوةً رفضتها، ثم سكت الاثنان لحظة. رأى أنها كانت تحاول البحث عن الكلمات التي تريد قولها. مال إلى الأمام وقال: لقد جئتِ لتقولي لي شيئاً يا آنسة كراكتورب. هل يمكنني مساعدتك؟ لقد كنتِ قلقة من شيء ما؟ شيء صغير ربما ظننتِ أنّ لا صلة له بالقضية، لكنه قد يكون متصلاً بها من ناحية أخرى. لقد جئت إلى هنا لتخبريني عنه، أليس كذلك؟ ربما كان له علاقة بهوية المرأة القتيلة. هل تظنين أنك تعرفين من هي؟

- لا، لا، ليس ذاك تماماً. الحق أنني أعتقد أنه أمر مستبعد جداً، ولكن...

- ولكن يوجد احتمالٌ ما يسبب لك القلق... من الأفضل أن تخبريني عنه؛ لأننا قد نستطيع إزالة قلقك.

سكتت إيما لحظات قليلة قبل أن تتكلم، ثم قالت: لقد رأيتَ ثلاثة من أخوتي، وكان لي أخ غيرهم يدعى إدموند قُتل في الحرب، وقبل مقتله بوقت قصير كتب لي رسالة من فرنسا.

فتحت حقيبتها وأخرجت منها رسالة ممزقة باهتة. قرأت منها:

أرجو ألاّ يكون ما سأقوله لك يا إيمي صدمة، ولكنني سوف أتزوج بفتاة فرنسية. حدث كل شيء فجأة، لكني أعرف أنك ستحبين مارتين وأنك ستهتمين بها إن حدث لي شيء. سأكتب لك كل التفصيلات في رسالتي التالية... حيث سأكون عندها رجلاً متزوجاً. تلطّفي في إبلاغ الرجل العجوز بهذا الأمر، فربما سيثور غاضباً.

مدّ المفتش كرادوك يده لأخذ الرسالة. ترددت إيما قليلاً ثم سلمته إياها. أكملتْ تقول بسرعة: بعد يومين من تلقي هذه الرسالة تلقينا برقية تقول إن إدموند مفقود ويُعتقد بأنه قتل. وبعد ذلك بُلّغنا بشكل قاطع بمقتله، وكان ذلك قبل انسحاب دنكيرك بقليل. وقد حدثت في ذلك الوقت فوضى عارمة، ولم يكن في سجلات الجيش -عندما بحثت- أي شيء يدل على أنه كان متزوجاً. ولكن، كما قلت، فقد كانت الفوضى تعم البلاد. لم أسمع عن الفتاة أي شيء. حاولت بعد انتهاء الحرب عمل بعض التحريات لكنني لم أكن أعرف إلا اسمها الأول، وكانت المنطقة التي تعيش فيها في فرنسا محتلة من قبل الألمان ولذلك كان من الصعب معرفة أي شيء عنها دون معرفة اسم العائلة. وفي النهاية افترضت عدم وقوع الزواج أصلاً وأن الفتاة ربما تزوجت رجلاً آخر قبل نهاية الحرب، أو ربما قُتلت هي الأخرى.

أومأ المفتش كرادوك وأكملت إيما تقول: تصور دهشتي عندما تلقيت قبل شهر فقط رسالة موقعة باسم «مارتين كراكثورب».

- هل لديك هذه الرسالة؟

أخرجتها إيما من حقيبتها وسلمتها له. قرأها كرادوك باهتمام. كانت مكتوبة بالأسلوب الفرنسي في نطق الإنكليزية، ولكنه كان أسلوباً يدل على ثقافة صاحبته. تقول الرسالة:

آنستي العزيزة

أرجو ألاّ تُصدَمي عندما تستلمين هذه الرسالة. أنا لا أعرف إن كان أخوك إدموند قد أخبرك أننا تزوجنا.

قال لي إنه سيبلغك بذلك، وقد قُتل بعد زواجنا بأيام قليلة فقط، وفي نفس ذلك الوقت احتل الألمان قريتنا. وبعد انتهاء الحرب قررت ألاّ أكتب إليك أو أتصل بك بالرغم من أن إدموند طلب مني ذلك. لكنني كنت قد شققت لي طريقاً جديداً في الحياة في ذلك الوقت ولم تكن الرسالة ضرورية. لكن الوضع الآن اختلف. إنني أكتب هذه الرسالة من أجل ابني. إنه ابن أخيك... ولم أعد أستطيع منحه المزايا التي يجب أن يحصل عليها. سآتي إلى إنكلترا في بداية الأسبوع القادم. هل لك أن تبلغيني إن كنت أستطيع القدوم لرؤيتك أم لا. عنواني البريدي هو: ١٢٦ إلفرز كريسنت رقم ١٠. أرجو مرة أخرى ألاّ يكون هذا صدمة لك.

أرجو أن تتقبلي تحياتي الحارة إليك.

مارتين كراكثورب

صمت كرادوك قليلاً. قرأ الرسالة مرة ثانية بحرص شديد ثم أعادها لها وهو يقول: ما الذي فعلتِه عندما تلقيت هذه الرسالة يا سيدتي؟

صدف أن كان زوج أختي يقيم عندنا وحدثته عن الرسالة، ثم اتصلت بأخي هارولد في لندن فاستشرته بهذا الأمر. كان هارولد متشككاً في المسألة كلها ونصحني بالحذر الشديد، وقال بأننا يجب أن نتحقق من شخصية هذه المرأة.

سكتت إيما قليلاً ثم أكملت تقول: كان ذلك بالطبع مسألة طبيعية وقد وافقته تماماً. ولكن إذا كانت هذه الفتاة... أو المرأة... هي

مارتين حقاً التي كتب لي إدموند عنها، فإنه يتوجب علينا الترحيب بها. كتبت لها رسالة على العنوان الذي ذكرته في رسالتها أدعوها إلى زيارتنا، وبعد أيام قليلة تلقيت برقية من لندن تقول: "أنا آسفة جداً. اضطررت للعودة إلى فرنسا فجأة. مارتين". ولم أتلقَّ منها بعد ذلك أي رسالة أو خبر.

- ومتى حدث كل ذلك؟

قطبت إيما جبينها وقالت: قبل عيد الميلاد بوقت قصير. أردت أن أقترح عليها قضاء العيد معنا، لكن أبي رفض ذلك تماماً فاقترحتُ عليها أن تأتي لقضاء عطلة نهاية الأسبوع الذي يليه. أظن أن البرقية التي تقول بأنها ستعود إلى فرنسا قد وصلتني قبل عيد الميلاد بأيام قليلة.

- وهل اعتقدت أن المرأة التي وُجدت جثتها في التابوت ربما كانت مارتين هذه؟

- كلا بالطبع. ولكن عندما قلتَ إنها قد تكون أجنبية... فإنني لا أستطيع إلا أن أتساءل إن كانت...

تلاشى صوتها فسارع كرادوك لتهدئتها: لقد فعلتِ الصواب بإبلاغي عن هذا وسوف نتحقق من هذه المسألة. أظن أن هذه المرأة التي كتبتْ إليك قد عادت فعلاً إلى فرنسا وأنها على قيد الحياة وبصحة جيدة. إن في التواريخ مصادفة معينة وقد أدركتِ ذلك بذكائك. ولكن كما سمعت في التحقيق فإن وفاة المرأة قد حدثت -وفق شهادة الطبيب الشرعي- قبل ثلاثة أسابيع إلى أربعة. أرجو ألاّ تقلقي يا سيدتي، اتركي الأمر لنا.

ثم أضاف يقول عرَضاً: لقد استشرتِ السيد هارولد، ولكن ماذا عن والدك وإخوتك الآخرين؟

- كان عليّ إخبار والدي بالطبع، وقد اغتاظ كثيراً.

ابتسمت إيما ابتسامة باهتة ثم أضافت: كان مقتنعاً بأنها مسألة مدبرة حتى تأخذ منا نقوداً. إن أبي يثور كثيراً عندما يتعلق الأمر بالمال، وهو يعتقد (أو يتظاهر بالاعتقاد) بأنه رجل فقير جداً وأنه لا بد أن يدّخر كل بنس إن استطاع. أعتقد أن كبار السن تنتابهم مثل هذه الهواجس أحياناً. هذا ليس صحيحاً بالطبع؛ فلديه دخل كبير جداً لا ينفق ربعه عملياً... أو اعتاد ألاّ ينفق حتى هذه الأيام التي تفرض فيها ضريبة دخل عالية. إنه يدخر مبلغاً ضخماً بالتأكيد.

سكتت قليلاً ثم أضافت تقول: ولقد أخبرت أخويّ الآخرين أيضاً. اعتبر ألفرد المسألة مزاحاً رغم أنه رأى هو أيضاً أن فيها احتيالاً، أما سدريك فلم يكن مهتماً... إنه يميل للاهتمام بنفسه فقط. كان رأينا أن تستقبل العائلة مارتين وأن نطلب من محامي العائلة السيد ويمبورن الحضور هو الآخر.

- ما الذي كان السيد ويمبورن يعتقده بخصوص الرسالة؟

- لم نبلغ مرحلة مناقشة الأمر معه. كنا على وشك ذلك عندما وصلتنا برقية مارتين.

- ألم تتخذوا أية خطوات أخرى؟

- بلى، لقد كتبت إلى العنوان في لندن لكني لم أتلق أية إجابة.

قال: "إنها مسألة غريبة..."، ثم نظر إليها نظرات حادة وقال: وما هو اعتقادك الشخصي؟

- لا أعرف شيئاً.

- وماذا كانت ردود فعلك في ذلك الوقت؟ هل اعتقدت أن الرسالة حقيقية؟ أم هل وافقت أباك وإخوتك في الرأي؟ ماذا عن زوج أختك بالمناسبة، ماذا كان يعتقد؟

- آه، كان برايان يعتقد أن الرسالة حقيقية.

- وأنت؟

- أنا... لم أكن متأكدة.

- وماذا كانت مشاعرك إزاء ذلك... إذا افترضنا أن تلك الفتاة كانت حقاً زوجة أخيك؟

انفرجت أسارير إيما وقالت: كنت أحب إدموند كثيراً وكان أخي الأقرب إلى قلبي... وقد أحسست أن هذه الرسالة حقيقية. كانت الأحداث التي وصفتْها لي طبيعية تماماً، وقد افترضتُ أنها تزوجت مرة أخرى عند نهاية الحرب وأنه ربما مات زوجها هذا أيضاً وتركها فبدا لها أن من الصواب أن تطلب مساعدة عائلة إدموند (كما طلب منها إدموند نفسه أن تفعل). نعم، بدت لي الرسالة صادقة وطبيعية. وقد أشار هارولد إلى أنه إن كانت كاتبتها تنتحل شخصية مارتين فإنها ستكون امرأة تعرف كل الحقائق عنها، وبالتالي ستكتب رسالة مقبولة ظاهراً. كان عليّ الاعتراف بوجاهة هذا الرأي، ومع ذلك...

سكتت، فسألها كرادوك بهدوء: لقد أردت أن يكون الموضوع حقيقياً، أليس كذلك؟

نظرت إليه وقالت: بلى، أردته حقيقياً. كنت سأسعد كثيراً لو أن إدموند قد خلف ولداً.

أومأ كرادوك برأسه وقال: كما تقولين، فإن الرسالة تبدو في ظاهرها حقيقية صادقة. إن ما يثير دهشتي هو النتيجة، وهي مغادرة مارتين المفاجئة إلى باريس وحقيقة أنك لم تسمعي منها أي خبر بعد ذلك. لقد رددتِ على رسالتها رداً لطيفاً وكنتِ على استعداد للترحيب بها ولقائها. حتى لو توجب عليها أن تعود إلى فرنسا، لماذا لم تكتب لكم مرة أخرى؟ هذا إذا افترضنا أنها امرأة صادقة. وإذا كانت امرأة محتالة فإنه أمر يسهل توضيحه بالطبع. كنت أظن أنك ربما استشرت ويمبورن ولذلك قام بتحرياته مما نبه المرأة إلى ذلك، ولكنك تقولين إنك لم تبلّغيه. هل قام أحد إخوتك بمثل هذا التحقيق يا ترى؟ من المحتمل أن لمارتين هذه خلفيةً لا تتحمل معها التحقيق. ربما افترضتْ أنها ستتعامل فقط مع أخت إدموند المحبة وليس مع رجال أعمال واقعيين شكاكين. ربما كانت تأمل أن تحصل منك على أموال من أجل الطفل (ولكنه لم يعد الآن طفلاً... لقد أصبح صبياً في الخامسة عشرة أو السادسة عشرة) ودون أن تسأليها كثيراً من الأسئلة. ولكن -بدلاً من ذلك- وجدت أنها ستواجه أمراً مختلفاً. أظن أن الجوانب القانونية المهمة ستظهر، فلو ترك إدموند كراكثورب ابناً من زواج شرعي، فإنه سيكون أحد ورثة عقارات وأموال جدك، أليس كذلك؟

أومأت إيما برأسها موافِقة. وأضاف المفتش كرادوك: كما أنه -كما علمت- يمكن أن يرث منزل رذرفورد هول عند وفاة جده، إضافة إلى الأرض المحيطة به، وهي أرض سكنية ثمينة جداً في الوقت الحالي.

بدا أن إيما قد جفلت بعض الشيء. قالت: نعم، أنا لم أفكر في هذا الأمر.

- حسناً، لا تقلقي. لقد فعلتِ الصواب بمجيئك وإبلاغي بالأمر. سأقوم ببعض التحريات، ولكن يبدو لي أنه من المحتمل جداً أن لا توجد أي صلة بين المرأة التي كتبت الرسالة (والتي ربما كانت تحاول الحصول على نقود بطريق الاحتيال) وبين المرأة التي عثرنا على جثتها في التابوت.

نهضت إيما وهي تتنهد بارتياح وقالت: أنا سعيدة جداً لإبلاغك بالأمر؛ لقد كنت لطيفاً جداً معي.

رافقها كرادوك حتى الباب. ثم اتصل برقيب التحري ويذرال قائلاً: بوب، لديّ عمل لك. اذهب إلى العنوان ١٢٦ إلفرز كريسنت، منزل رقم ١٠، وخذ صوراً معك للمرأة القتيلة في رذرفورد هول. انظر ماذا يمكن أن تجد بخصوص امرأة تسمي نفسها السيدة مارتين كراكنثورب، وهي إما كانت تعيش هناك، أو كانت تذهب إلى هناك لاستلام الرسائل بين الخامس عشر من كانون الأول ونهاية الشهر.

- حسناً يا سيدي.

شغل كرادوك نفسه ببعض المسائل الأخرى المختلفة. وبعد

الظهر ذهب لرؤية وكيل أحد المسارح وكان صديقاً له. ولم تثمر تحقيقاته عن نتيجة.

وبعد ذلك، عندما عاد إلى مكتبه في ذلك النهار، وجد برقية من باريس موضوعة على مكتبه.

الأوصاف التي أعطيتها لنا قد تنطبق على آنا سترافنسكا من باليه مارتسكي. أقترح عليك أن تأتي إلينا. التوقيع: ديسان، شرطة باريس.

تنهد كرادوك بعمق وقد زال عنه الغم، وفكّر في نفسه قائلاً: أخيراً. هذا كثير على الطريدة مارتين كراكثورب!

وقرر أن يركب السفينة المتجهة إلى باريس ليلاً.

* * *

الفصل الثالث عشر

قالت الآنسة ماربل تخاطب إيما كراكثورب: إنه للطف بالغ منك أن دعوتني لتناول الشاي معكم.

بدت الآنسة ماربل وهي مرتبكة ومضطربة صورة للسيدة العجوز الرقيقة. ابتسمت وهي تنظر حولها.. إلى هارولد ببذلته الجميلة الداكنة، وألفرد وهو يقدم لها الفطائر بابتسامة ساحرة، وسدريك وهو يقف قرب المدفأة بسترة صوفية بالية ويعبس في وجوه أفراد عائلته.

قالت إيما بأدب: إننا مسرورون جداً لمجيئك.

لم يحدث أي تلميح إلى المشهد الذي حدث بعد الغداء في ذلك اليوم عندما صاحت إيما: يا إلهي! لقد نسيت تماماً. لقد قلت للآنسة آيلسبارو أنها تستطيع إحضار عمتها العجوز لتناول الشاي معنا اليوم.

وقد قال هارولد بفظاظة: أجّلي دعوتها؛ فما زال عندنا الكثير مما ينبغي الحديث عنه، ولا نريد غرباء هنا.

وقال ألفرد: دعيها تشرب الشاي في المطبخ أو في أي مكان آخر مع الفتاة.

ولكن إيما قالت حازمة: كلا، لا أستطيع عمل ذلك؛ إنه عمل وقح جداً.

قال سدريك: آه، فلتأتِ. يمكننا إغراؤها قليلاً لتتحدث عن لوسي الرائعة. أريد معرفة المزيد عن تلك الفتاة، فلست متأكداً من أنني أثق بها... إنها ذكية جداً.

قال هارولد: الذين زكّوها أشخاص مرموقون، وشخصيتها صحيحة لا غبار عليها. لقد بذلت جهداً لاكتشاف هذا الأمر، فلا بد للمرء أن يتأكد بعد الذي رآه من تطفلها وكشفها الجثة بتلك الطريقة.

قال ألفرد: لو استطعنا أن نعرف صاحبة الجثة المشؤومة تلك!

أضاف هارولد غاضباً: أظن -يا إيما- أنك كنت مجنونة عندما ذهبت إلى الشرطة وألمحت إلى أن هذه المرأة القتيلة ربما تكون صديقة إدموند الفرنسية. سيجعلهم هذا مقتنعين بأنها جاءت إلى هنا وأن واحداً منا هو الذي قتلها.

- آه، لا... لا تبالغ يا هارولد.

قال ألفرد: هارولد على حق. لا أدري ما الذي جعلك تفعلين هذا. بتّ أشعر أن رجال مخابرات سرية يتبعونني أينما ذهبت.

قال سدريك: قلت لها ألاّ تفعل ذلك، لكن كويمبر شجعها وساندها.

رد هارولد غاضباً: ليس هذا من شأنه. لماذا لا يلزم أدويته ووصفاته وعمله.

قالت إيما بضيق: أوقفوا هذا الشجار. إنني سعيدة لأن هذه السيدة العجوز قادمة لشرب الشاي معنا. نحن بحاجة لقدوم شخص غريب حتى نتوقف عن الخوض في هذه الأشياء مرة تلو الأخرى. يجب أن أذهب لأرتب نفسي قليلاً.

ثم غادرت الغرفة، فقال هارولد: "إن لوسي آيلسبارو هذه...". سكت قليلاً ثم قال: كما يقول سدريك، غريب أن تحشر أنفها في الحظيرة وتذهب لتفتح تابوتاً بهذا الحجم... إنها حقاً مهمة هرقلية. ربما كان علينا اتخاذ إجراءات معينة. لقد رأيت أن موقفها على الغداء كان عدائياً.

قال ألفرد: اتركوا لي أمرها؛ سأعرف على الفور إن كان يدور في خلدها شيء.

- الذي يحيرني هو: لماذا فتحت ذلك التابوت؟

قال سدريك: ربما لم تكن هذه الفتاة لوسي آيلسبارو أبداً.

بدا هارولد متضايقاً تماماً وهو يقول: ولكن ما هو غرضها؟ آه... تباً!

نظروا بعضهم إلى بعض بوجوه قلقة.

- وفوق ذلك تأتي تلك المرأة العجوز المزعجة لشرب الشاي، في الوقت الذي نريد فيه أن نفكر.

قال ألفرد: ستتحدث في هذه الأمور مساء اليوم. وفي غضون ذلك، سوف ننتزع من العجوز معلومات عن لوسي.

* * *

وهكذا جاءت لوسي بالآنسة ماريل في الوقت المحدد لتستقر قرب الموقد، وها هي الآن تبتسم في وجه ألفرد وهو يقدم لها الفطائر. قالت: شكراً لك كثيراً... هل يمكنني سؤالك...؟ آه، بيض وسردين ، نعم، هذا جميل. أنا عادة ما أكون شرهة قليلاً عند شرب الشاي. كما تعرفون فإن للعمر أحكامه... ووجبة الليل تكون خفيفة بالطبع... يجب أن أكون حريصة.

ثم التفتت إلى مضيفتها مرة أخرى وقالت: بيتكم جميل وفيه أشياء جميلة جداً. هذه الأواني البرونزية تذكّرني ببعض الأشياء التي اشتراها والدي... من معرض باريس. الحق أن جدك كان رائعاً. أليست تحفاً كلاسيكية؟ أنيقة جداً. كم هو مفرح أن يكون إخوتك معك! لقد غدت العائلات مشتتة في الغالب؛ ترينهم في أفريقيا والهند وفي الساحل الغربي ذي المناخ السيء.

- اثنان من إخوتي يعيشان في لندن.

- هذا رائع بالنسبة لك.

- لكن أخي سدريك رسام ويعيش في إيبيزا؛ وهي واحدة من جزر باليريك قرب إسبانيا.

- الرسامون مولعون كثيراً بالجزر، أليس كذلك؟ شوبان مثلاً؟ ولكنه كان في مايوركا، أليس كذلك؟ وكان موسيقياً! إن من أعنيه هو غوغان. كانت حياته محزنة... يشعر المرء أنها ضائعة. أنا شخصياً لا أهتم أبداً بلوحات نساء الجزر المحليات، ورغم أنني أعرف أنه رسام يحظى بإعجاب واسع، إلا أنني لم آبه أبداً لذلك اللون الوردي الذي يميز رسومه... إن النظر إلى لوحاته يعكر حقاً مزاج المرء!

نظرت إلى سدريك نظرات تخلو من الاستحسان، فقال: أخبرينا عن طفولة لوسي يا آنسة ماربل.

ابتسمت له بفرح وقالت: كانت لوسي دائماً ذكية جداً. نعم، كنتِ كذلك يا عزيزتي، لا تقاطعيني. وكانت ملفتة للنظر جداً في الحساب. أذكر عندما أخذ الجزار مني مبلغاً زائداً عن قطعة اللحم التي اشتريتها...

ومضت الآنسة ماربل -بكل حماسة- في سرد ذكريات عن طفولة لوسي، ثم انتقلت إلى خبرتها وحياتها الخاصة في حياة القرية. وأثناء سرد ذكرياتها هذه دخل برايان والولدان وهما مبتلان ومتسخان نتيجةً لحماستهما في البحث عن أية خيوط تفك لغز الجريمة.

ثم أُحضر الشاي، وجاء معه الدكتور كويمبر الذي رفع حاجبيه دهشة عندما نظر حوله ورأى السيدة العجوز. وقال يخاطب إيما: أرجو ألاّ يكون والدك متوعكاً يا إيما؟

- آه، لا، لكنه متعب قليلاً الآن.

قالت الآنسة ماربل بابتسامة خبيثة: أظنه يريد تجنب استقبال الزوار. إنني أتذكر والدي العجوز تماماً. كان يقول لوالدتي: "هل دعوت العديد من الشمطاوات؟ أرسلي لي الشاي إلى المكتب إذن". وكان فظاً جداً في هذه الأمور.

قالت إيما: أرجو ألاّ تعتقدي...

لكن سدريك قاطعها قائلاً: إنه يشرب الشاي في مكتبه دائماً عندما يأتي أولاده الأعزاء من المدينة. وهو أمر طبيعي من الناحية السيكولوجية، أليس كذلك يا دكتور؟

كان الدكتور كويمبر يلتهم الشطائر والكعك بكل النهم والإقبال الواضح لرجل لا يملك عادة وقتاً يقضيه على وجبات الطعام. أجاب قائلاً: السيكولوجية بخير طالما تُركت لأهلها من السيكولوجيين. المشكلة الآن أن كل امرئ أصبح عالماً نفسياً هاوياً، حتى إن مرضاي يحدثونني عن العقد والمشكلات النفسية التي يعانون منها دون أن يعطوني فرصة للتعليق. شكراً يا إيما سأشرب فنجاناً آخر؛ فلم يكن لديّ وقت للغداء اليوم.

قالت الآنسة ماربل: لقد اعتقدت دائماً أن حياة الطبيب سامية جداً وكلها نكران الذات.

قال الدكتور كويمبر: هذا يعني أنك لا تعرفين الكثير من الأطباء. كانوا يسمونهم سابقاً طفيليين وهم كذلك في الغالب! على أية حال فإننا نحصل على رواتب هذه الأيام؛ فالدولة تتولى

هذا الأمر. لم نعد نرسل فواتير علاج نعرف تماماً أنها لن تُدفع. المشكلة هي أن كل المرضى مصممون على أخذ كل ما يمكنهم من «الحكومة»؛ ونتيجة لذلك فإن طفلاً يسعل في الليل مرتين فيُستدعى الطبيب المسكين لعلاجه في منتصف الليل. آه، جيد! كعك رائع يا إيما. يا لك من طباخة ماهرة!

- ليس ذلك من صنعي، بل من صنع الآنسة آيلسبارو.

قال الطبيب من باب الولاء: ولكن الكعك الذي تصنعينه لا يقل عن هذا جودة.

- هلا جئت لرؤية والدي؟

نهضتْ وتبعها الطبيب، فقالت الآنسة ماربل: أرى أن الآنسة كراكثورب ابنة مخلصة جداً.

قال سدريك الجريء: لا أتخيل كيف تتحمل هذا العجوز.

أسرع هارولد يقول: إن لديها هنا بيتاً مريحاً جداً، كما أن والدي متعلق بها كثيراً.

قال سدريك: إيما جيدة... وُلدت لتكون خادمة عجوزاً.

طرفت عينا الآنسة ماربل قليلاً وهي تقول: آه، هل تعتقد هذا؟

رد هارولد بسرعة: إن أخي لم يستخدم هذا التعبير بقصد الازدراء يا سيدتي.

قالت الآنسة ماربل: آه، هذا لم يحرجني أبداً، بل تساءلت فقط إن كان محقاً في قوله. أنا -شخصياً- لا أظن أن الآنسة كراكثورب ستكون خادمة عجوزاً. أعتقد أنها من النوع الذي يتزوج في وقت متأخر من حياته... وينجح في هذا الزواج.

قال سدريك: ليس هذا محتملاً ما دامت تعيش هنا؛ حيث لا يمكنها مقابلة رجلٍ ترتبط به.

طرفت عينا الآنسة ماربل بشكل ظاهر أكثر، قالت: يوجد هنا -كأي مكان آخر- مدرسون وأطباء.

قلبت نظرها بين الحاضرين... كانت نظرات شقية لعوبة. وبدا واضحاً أنها أوحت لهم بشيء لم يفكروا فيه أبداً، ولم يجدوه أمراً ساراً.

وقفت الآنسة ماربل وأسقطت -وهي تقف- حقيبتها وعدداً من الأوشحة الصوفية التي كانت بيدها، فقام الإخوة الثلاثة بالتقاط هذه الأغراض عن الأرض.

قالت الآنسة ماربل: إنه لطف منكم. آه، نعم، لفاعي الأزرق الصغير. نعم... كما قلت، أشكركم كثيراً على دعوتي إلى هنا. كنت أتصور كيف يكون بيتكم حتى أتخيل لوسي العزيزة وهي تعمل هنا.

قال سدريك: في ظروف منزلية مثالية... مع جريمة قتل!

قال هارولد غاضباً: سدريك!

ابتسمت الآنسة ماربل في وجه سدريك وقالت: أتعرف بمن

تذكّرني؟ بالشاب توماس إيد، ابن مدير البنك عندنا. كان يجد متعة كبرى في صدم الناس وإزعاجهم. ولم يكن هذا ينفع في العمل المصرفي بالطبع، ولذلك رحل إلى جزر الهند الغربية. وبعد وفاة والده عاد إلى بيته وقد ورث كثيراً من الأموال، وكان ذلك شيئاً رائعاً بالنسبة له؛ إذ كان دوماً أفضل كثيراً في إنفاق المال منه في جمعه.

* * *

أوصلت لوسي الآنسة ماريل إلى بيتها. وفي طريق عودتها خرج شبح من الظلام ووقف في الطريق تحت أضواء السيارة بينما كانت تريد الالتفاف لدخول الطريق الخلفي. أشار بيده عالياً فعرفت أنه ألفرد، وعندما ركب السيارة معها قال: هذا أفضل... بررر... الجو بارد! كنت أظن أن المشي والركض في مثل هذا الوقت جميل، لكنه ليس كذلك. هل أعدت السيدة العجوز إلى بيتها؟

- نعم، لقد رفهت عن نفسها كثيراً.

- رأيت ذلك. غريبٌ ذوق العجائز وحبهن لأي لقاء أو تجمع، مهما كان مملاً مضجراً. والواقع أنه لا يوجد ما يبعث على الملل أكثر من بيتنا... أنا لا أطيق العيش هنا يومين. كيف تحملتِ العيش هنا يا لوسي؟ هل تمانعين لو ناديتك بلوسي؟

- أبداً. إنني لا أجد الحياة هنا مملة ولكنني -بالطبع- لا أعمل هنا بصفة دائمة.

- كنت أراقبك... إنك فتاة ذكية يا لوسي. أذكى بكثير من أن تضيعي عمرك في الطبخ والتنظيف.

- أشكرك، لكني أفضل الطبخ والتنظيف على عمل المكتب.

- وكذلك أنا. ولكن للعيش طرقاً أخرى... يمكنك أن تكوني مستقلة.

- أنا كذلك.

- ليس بهذه الطريقة. أقصد أن تعملي لصالحك وتستخدمي ذكاءك ضد...

- ضد ماذا؟

- القوى السائدة! كل القوانين والتعليمات السخيفة التافهة التي تقف عائقاً أمامنا هذه الأيام. الشيء المثير هو وجود طريقة للالتفاف عليها دائماً إن كان المرء من الذكاء بحيث يجدها... وأنت ذكية. هيا، هل راقت لك هذه الفكرة؟

- محتمل.

أدخلت لوسي السيارة في ساحة الإسطبل.

- ألا تريدين الالتزام بشيء؟

- أحب أن أسمع المزيد.

- بصراحة يا عزيزتي، أستطيع استخدامك. إن لديك أسلوباً لا يقدر بثمن... أسلوباً يبعث الثقة.

- هل تريد مني مساعدتك في بيع سبائك ذهب؟

- ليس الأمر بهذه الخطورة. إنما قليل من الالتفاف حول القانون... لا أكثر. أنت ذكية جداً يا لوسي؛ أريدك شريكة لي

- يا له من إطراء!

- أيعني هذا أنك لن تفعلي شيئاً؟ فكّري في الموضوع. فكري في المتعة... المتعة التي تحصلين عليها من التفوق على كل أولئك السادة المدّعين المحترمين. المشكلة هي أن المرء بحاجة إلى رأس مال.

- أخشى أنه لا يوجد عندي شيء من ذلك.

- آه، أنا لا أطلب منك مالاً! لن يمضي وقت طويل حتى أضع يدي على مال. لا يمكن لأبي أن يعيش إلى الأبد... هذا البخيل القاسي! وعندما يموت سأحصل على مال كثير. ما رأيك بهذا يا لوسي؟

- ما هي الشروط؟

- الزواج إن أعجبك. ويبدو أن النساء تعجبهن فكرة الزواج مهما بلغت إمكانياتهن واستقلاليتهن المالية. كما أن المتزوجات لا يمكن إجبارهن على الإدلاء بشهادتهن ضد أزواجهن.

- ليس في هذا ما يبشر بخير!

- هيا اخرجي من هذه المماحكة يا لوسي. ألا تدركين أنني وقعت في حبك؟

فوجئت لوسي عندما أدركت السحر الغريب الذي يتمتع به

ألفرد؛ فلقد كان ذا سحر خاص. ضحكت وهي تقول: ليس الوقت وقت عبث... عندي عشاء أريد إعداده.

- هذا صحيح يا لوسي، وأنت طاهية بارعة. ماذا ستقدمين لنا على العشاء؟

- انتظر وسترى! إنك شقيٌّ كذينك الصبيين!

دخلا البيت وأسرعت لوسي إلى المطبخ، ولم تلبث أن فوجئت عندما رأت هارولد كراكثورب يدخل عليها ويقطع عليها عملها.

- هل يمكنني الحديث معك في أمر معين آنسة آيلسبارو؟

- ألا يمكنك تأخير ذلك يا سيد كراكثورب؟ لقد تأخرت في إعداد العشاء.

- بالتأكيد... بالتأكيد. بعد العشاء؟

- نعم، سيكون ذلك جيداً.

قُدم الطعام في وقته المحدد ونال إعجاب الحاضرين. وبعدما أنهت لوسي غسل الأطباق وخرجت إلى الصالة وجدت هارولد في انتظارها. قالت: نعم يا سيد كراكثورب؟

- هل ندخل هنا؟

فتح باب غرفة الاستقبال ودخل قبلها، ثم أغلق الباب وراءها وقال: سوف أغادر في وقت مبكر من صباح الغد، لكني أريد أن أقول لك بأن قدرتك وكفاءتك قد أثارا إعجابي.

قالت لوسي وقد فوجئت قليلاً: أشكرك.

- أشعر بأن قدراتك ضائعة هنا... ضائعة هباء.

- أحقاً؟ لكنني لا أرى ذلك؟

فكرت لوسي في نفسها: "إنه -على أية حال- لا يستطيع طلب يدي للزواج؛ فلديه زوجة".

- بعد أن قمتِ على خدمتنا هنا بهذه الطريقة الرائعة خلال هذه المحنة القاسية فإنني أدعوك لزيارتي في لندن. اتصلي بي لتحديد موعد وسوف أترك عند سكرتيرتي بعض التعليمات. الحقيقة هي أننا نستطيع توظيف واحدة في مثل قدراتك الفائقة في الشركة. يمكننا أن نناقش بالتفصيل أفضل مجال يمكننا فيه استخدام مواهبك هذه. يمكنني أن أقدم لك -يا آنسة آيلسبارو- راتباً ممتازاً مع مستقبل واعد، وأعتقد أنك ستسرّين من ذلك كثيراً.

كان يبتسم ملء فمه، فقالت لوسي بوقار: أشكرك يا سيد كراكثورب... سأفكر في الأمر.

قال: "لا تنتظري طويلاً. يجب ألاّ تفوّت مثلَ هذه الفرصة فتاةٌ تتلهف لشق طريقها في هذه الحياة". ثم ابتسم مرة أخرى وقال: تصبحين على خير يا آنسة آيلسبارو. أرجو لك نوماً هادئاً.

قالت لوسي تخاطب نفسها: "حسناً... حسناً... هذا كله مثير تماماً!". وفي طريقها إلى غرفة النوم صادفت سدريك على الدرج. قال: اسمعيني يا لوسي، عندي شيء أريد أن أقوله لك.

- هل تريد الزواج بي كي آتي إلى إيبيزا وأعتني بك؟

بدا سدريك ذاهلاً تماماً، بل ومذعوراً بعض الشيء. قال: لم أفكر أبداً في مثل هذا الأمر.

-آسفة... إنها غلطتي.

- كنت أريد -فقط- معرفة إن كان يوجد في البيت جدولٌ بمواعيد القطارات.

- أهذا كل شيء؟ يوجد واحد على طاولة الصالة.

قال سدريك موبخاً: يجب ألاّ تفكري أنّ كل واحد يريد الزواج بك. صحيحٌ أنك فتاة جميلة، ولكنك لست جميلة لتلك الدرجة. يوجد اسم لمثل هذا السلوك... إنه ينمو في داخلك فتزدادين سوءاً. والواقع أنك آخر فتاة في هذا العالم يمكن أن أهتم بالزواج بها... آخر فتاة.

- حقاً؟ لا حاجة بك لأن تردد مثل هذا الكلام. ربما كنت تفضلني زوجة لأبيك؟

حملق سدريك فيها مصعوقاً وقال: ما هذا؟

قالت لوسي: "لقد سمعتني جيداً". ثم دخلت غرفتها وأغلقت الباب وراءها.

* * *

الفصل الرابع عشر

كانت العلاقة بين ديرموت كرادوك وآرمون ديسان (من شرطة باريس) تزداد رسوخاً. وكان الرجلان قد التقيا في بعض المناسبات وتعمقت بينهما الصداقة، وحيث أن كرادوك كان يتكلم الفرنسية بطلاقة فإن معظم حديثهما كان يتم بها.

نبهه ديسان قائلاً: إنها مجرد فكرة. لديّ صورة لفرقة الباليه... وهي الرابعة من اليسار . هل تعني لك أي شيء؟

رد عليه المفتش كرادوك بأنها لا تعني أي شيء في الواقع؛ فليس من السهل التعرف على الشكل الحقيقي لامرأة مخنوقة، وفي هذه الصورة كانت الفتيات قد وضعن الكثير من مساحيق التجميل.

قال: يمكن ذلك... لن أزيد على هذا. من تكون هذه؟ ما الذي تعرفه عنها؟

قال ديسان: لاشيء تقريباً؛ فلم تكن فتاة مهمة، كما أن فرقة ميريتسكي للباليه غير مشهورة أيضاً. وهي تؤدي عروضها في مسارح الضواحي وتنتقل من مكان إلى آخر. وعلى كل حال، سآخذك لرؤية مديرة الفرقة مدام جولييت.

كانت مدام جولييت امرأة فرنسية عملية ذات نظرات حادة وشارب صغير وجسم مكتنز. صاحت بهما دون أن تخفي كراهيتها للزيارة: أنا لا أحب الشرطة؛ إنهم يسببون لي إحراجات كلما استطاعوا ذلك!

قال ديسان (الذي كان رفيعاً طويل القامة كئيب المظهر): لا، لا يا مدام، يجب ألاّ تقولي هذا. متى سببت لك إحراجاً؟

ردت عليه فوراً: بخصوص تلك الصغيرة الحمقاء التي شربت الفينول لأنها وقعت في حب رئيس الأوركسترا الذي لا يهتم بالنساء. لقد عملت لي فضيحة كبيرة وقتها، وهو ما يسيء لفرقتي الجميلة.

قال ديسان: على العكس؛ فهذا قد جلب لك شهرة وإقبالاً من الجماهير. وهو كان قبل ثلاث سنوات... يجب ألاّ تحملي الحقد. والآن، بخصوص هذه الفتاة التي تُدعى آنا سترافنسكا.

قالت بحذر: حسناً، ماذا بشأنها؟

سألها المفتش كرادوك: أهي روسية؟

- كلا. تحسب هذا بسبب اسمها؟ إن الفتيات جميعهن يسمين أنفسهن بهذه الأسماء. لم تكن راقصة جيدة أو مهمة، كما لم تكن جميلة المظهر.

- هل كانت فرنسية؟

- ربما... كانت تحمل جواز سفر فرنسياً، لكنها أخبرتني -ذات مرة- بأنها متزوجة برجل إنكليزي.

- هل أخبرتك بأن لها زوجاً إنكليزياً؟ أهو حي أم ميت؟

هزت مدام جولييت كتفيها وقالت: ميت أو أنه تركها، كيف لي أن أعرف؟ هؤلاء الفتيات... يقعن في مشكلات مع الرجال دائماً.

- متى... رأيتِها آخر مرة؟

- أخذتُ فرقتي إلى لندن مدة ستة أسابيع. قدمنا عروضنا في توركي وفي بورنماوث وإيستبورن وفي مكان آخر نسيته وفي هامرسمث. ثم عدنا إلى فرنسا، لكن آنا لم تعد معنا. وقد أرسلت رسالة تقول فيها بأنها تريد ترك الفرقة لتعيش مع عائلة زوجها... وهوكلام لم أحسب -شخصياً- أنه كان صحيحاً.

أومأ المفتش كرادوك برأسه. أدرك أن ذلك ما كانت مدام جولييت ستظنه دوماً.

- ولا أعتبر هذا خسارة لي؛ فأنا أستطيع إحضار فتيات أفضل منها. لذلك لم أكترث لرسالتها ولم أفكر بها... ولماذا أفعل؟ إن هؤلاء الفتيات كلهن سواء؛ متيمات بالرجال.

- متى كان ذلك؟

- تقصد متى عدنا إلى فرنسا؟ كان ذلك... نعم... يوم الأحد الذي سبق عيد الميلاد. وقد تركتنا آنا قبل ذلك بيومين أو ثلاثة أيام... لا أتذكر بالضبط، ولكن أذكر أننا قدمنا عرضنا في هامرسمث في نهاية الأسبوع دونها... وهذا استدعى إعادة ترتيب الأدوار. كان تصرفاً سيئاً جداً منها، لكن هؤلاء الفتيات... في اللحظة التي يلتقين

فيها برجل فإنهن ينسين كل شيء. وقد قلت للجميع بأنني لن أعيدها إلى الفرقة!

- كان تصرفاً مزعجاً لك؟

- آه! أنا... إنني لا أهتم. لا شك بأنها أمضت عطلة عيد الميلاد مع رجل صادفته. هذا ليس من شأني... أستطيع إحضار فتيات غيرها.

سكتت مدام جولييت وسألت باهتمام مفاجئ: لماذا تريدان العثور عليها؟ هل حصلت على ثروة؟

قال المفتش كرادوك بأدب: على العكس. بل نخشى أنها ربما تكون قد قُتلت.

عادت مدام جولييت إلى عدم اكتراثها وقالت: هذا ممكن... لا بد أنها تورطت في أمر ما! لقد كانت كاثوليكية، وكانت تذهب إلى الكنيسة أيام الأحد... ولا شك أنها كانت تذهب للاعتراف وطلب المغفرة.

- هل تحدثت معك يا سيدتي عن ولد لها؟

- ولد؟ هل تقصد أنه كان لها طفل؟ هذا ما أعتبره بعيد الاحتمال.

- ربما كان لها طفل قبل أن تعمل على المسارح... أثناء الحرب على سبيل المثال.

- آه! الحرب؟ هذا ممكن، ولكن إن كان ذلك صحيحاً فإنني لا أعرف عنه شيئاً.

- من هي أقرب الصديقات إليها من الفتيات؟

- يمكنني إعطاؤك اسمين أو ثلاثة أسماء... لكنها لم تكن على علاقة حميمة مع أي منهن.

لم يحصلا على أي شيء مفيد من مدام جولييت غير هذا. وعندما عرضا عليها علبة التجميل قالت إن آنا كانت تملك واحدة من ذلك النوع ولكن معظم الفتيات كن يحملن مثلها أيضاً، وقالت إن آنا ربما اشترت معطف فراء من لندن، لكنها لم تكن تعرف... "أنا أشغل نفسي بالتمرينات والصعوبات التي تواجه عملنا. ليس عندي وقت لملاحظة ما تلبسه راقصاتي".

وبعد مقابلتهما لمدام جولييت قابلا الفتيات اللاتي رشحتهن. اثنتان منهن كانتا تعرفان آنا جيداً، لكنهن جميعاً قلن إنها لم تكن من النوع الذي يتحدث عن نفسه كثيراً وإنها عندما كانت تفعل ذلك كان معظم كلامها كذباً... كما قالت واحدة من الفتيات.

- كانت تحب التظاهر... تقص حكايات عن كونها صديقة لدوق كبير أو رجل مال إنكليزي عظيم... وكيف عملت مع المقاومة في الحرب. بل إنها حكت قصة عن كونها نجمة سابقة في هوليود.

وقالت فتاة أخرى: أظن -فعلاً- أنها كانت تعيش الحياة البسيطة المحبطة للطبقة الوسطى. كانت تحب الباليه لأنها رأته عملاً رومانسياً مثيراً، لكنها لم تكن بارعة في الرقص. كانت تعرف أنها لو قالت

إن أباها كان بائع أقمشة مثلاً فإن ذلك لن يكون رومانسياً! ولذلك كانت تختلق الأكاذيب والقصص.

قالت الفتاة الأولى: حتى في لندن كانت تلقي بالتلميحات عن رجل غني جداً كان سيأخذها في رحلة حول العالم لأنها تذكّره بابنته التي قتلت في حادث سيارة. يا له من كذب!

قالت الفتاة الثانية: أخبرتني بأنها ستقيم مع لورد ثري في اسكوتلاندا، وقالت بأنها قد تصيد غزالاً هناك.

لم يكن في كل هذا الكلام فائدة للتحقيق. كل ما ظهر منه هو أن آنا كانت كاذبة بارعة. من المؤكد أنها لم تكن تصيد الغزلان في اسكوتلاندا مع أحد النبلاء، ولا كانت أيضاً على متن باخرة تجوب أنحاء العالم. ولكن لم يبدُ -أيضاً- أي سبب يدعو للتصديق بأن جثتها قد وجدت داخل تابوت في رذرفورد هول.

لم يكن تعرّفُ الفتيات ولا مدام جولييت على صورة القتيلة جازماً؛ فقد كن مترددات غير متأكدات. اتفقن جميعاً على أنها تشبه آنا، لكنهن أضفن أنها -بشكلها المنفوخ في الصورة- قد تكون أي واحدة أخرى.

الحقيقة الوحيدة التي تأكدت هي أن آنا سترافنسكا قد قررت يوم التاسع عشر من كانون الأول عدم العودة إلى فرنسا، وأنه في يوم العشرين من نفس الشهر سافرت امرأة تشبهها إلى براكهامبتن في قطار الساعة الرابعة وثلاث وثلاثين دقيقة وقد قُتلت فيه خنقاً.

إذا لم تكن المرأة التي في التابوت هي آنا سترافنسكا، فأين آنا الآن؟

كان جواب مدام جولييت عن هذا السؤال بسيطاً وأكيداً: "مع رجل!". وفكر كرادوك بأن ذلك قد يكون الجواب الصحيح، ولكن كان يجب التفكير باحتمال آخر... وقد ألحّت في ذهنه الملاحظة العابرة بأن آنا ذكرت مرة أن لها زوجاً إنكليزياً.

هل كان ذلك الزوج هو إدموند كراكثورب؟ بدا ذلك بعيد الاحتمال إذا فكر بصورة آنا التي كوّنها عنها من الفتيات اللاتي عرفنها... كان الاحتمال الأرجح هو أن آنا كانت تعرف -في وقت من الأوقات- الفتاة مارتين معرفة حميمة بحيث تعرف عنها التفصيلات الضرورية. وربما كانت هي التي كتبت تلك الرسالة لإيما كراكثورب، وقد كان من شأنها -في هذه الحالة- أن تشعر بالخوف من أية إثارة لإمكانية إجراء تحقيق، وربما رأت أنه من الحكمة لها أن تقطع علاقتها بفرقة الباليه. ولكن، مرة أخرى: أين هي الآن؟

ومرة أخرى، بدا له أن إجابة مدام جولييت هي الأرجح احتمالاً: مع رجل!

* * *

قبل أن يغادر كرادوك باريس ناقش مع ديسان مسألة المرأة التي تدعى مارتين. كان ديسان يميل إلى موافقة زميله الإنكليزي بأن الأمر قد لا تكون له أي صلة بالمرأة التي وُجدت جثتها في التابوت، لكنه وافقه على ضرورة التحقق من المسألة، وطمأنه بأنه سيبذل جهده

للتحقق من احتمال وجود سجلٍ لزواجٍ جمع بين الملازم إدموند كراكتشورب (من فوج ساوتشير الرابع) وفتاةٍ فرنسية اسمها الأول هو مارتين، وذلك قبل سقوط دنكيرك بقليل.

ومع ذلك فقد حذر ديسان زميله كرادوك بأن الحصول على إجابة قطعية مسألة مشكوك فيها؛ فالمنطقة هذه عانت في تلك الفترة من الاحتلال الألماني ومن الدمار والخراب الشديدين بحيث دُمرت الكثير من المباني والسجلات.

"ولكن اطمئن يا زميلي العزيز، سنبذل جهدنا"... كانت تلك آخر عبارة يقولها قبل أن يفارق كرادوك.

* * *

عندما عاد كرادوك كان الرقيب ويترال في انتظاره ليقول له عابساً: عنوان شقق مفروشة... هذا هو العنوان ١٢٦ إلفرز كريسنت؛ مكان محترم لا شبهة عليه.

- هل تعرّف إليها أحد؟

- لا، لم يستطع أحدٌ التعرف إلى الصورة على أنها المرأة التي كانت تأتي لأخذ الرسائل، لكن لا أظن أن بإمكانهم هذا على أية حال؛ فقد مضى على ذلك شهر كامل تقريباً، وكثير من الناس يستخدمون هذا المكان... إنه قسم داخلي للطلبة.

- *ربما أقامت هناك تحت اسم آخر.*

- لقد عمّمنا على الفنادق، ولكن لم تسجل فيها أية زبونة باسم

مارتين كراكتشورب. وعندما تلقينا مكالمتك من باريس تحرينا عن آنا سترافنسكا. لقد أقامت مع أعضاء فرقتها في فندق رخيص في أحد فروع شارع بروك غرين، وقد غادرت الفندق ليلة الخميس التاسع عشر من كانون الأول بعد العرض. لا توجد أية سجلات أخرى.

أومأ كرادوك بالموافقة واقترح القيام بمزيد من التحريات (بالرغم من شكه في نجاح هذه التحريات)، وبعد قليل من التفكير اتصل بالسيد ويمبورن وطلب موعداً للقائه.

وفي الوقت المحدد دخل على السيد ويمبورن في غرفته الخالية من الهواء الطلق حيث كان يجلس وراء مكتب كبير قديم مغطى بأكوام من الأوراق المغبرة.

نظر السيد ويمبورن إلى زائره نظرات احتراس كتلك التي ينظر بها محامي العائلة إلى الشرطة. قال: ما الذي يمكنني عمله لك حضرة المفتش؟

- هذه الرسالة...

دفع كرادوك برسالة مارتين إليه، فلمسها باستياء واضح لكنه لم يرفعها. احمرّ وجهه قليلاً وزم شفتيه وقال: جيد، جيد! لقد تلقيت رسالة من الآنسة إيما كراكتشورب صباح الأمس تبلغني فيها عن زيارتها لسكوتلانديارد. بوسعي *القول إنني في حيرة من أمري* ولا أفهم تماماً... لماذا لم تخبرني عن تلك الرسالة عندما وصلتها؟ أمر غريب جداً، كان ينبغي إبلاغي على الفور!

كرر المفتش كرادوك عبارات التهدئة على مسامع السيد

ويمبورن الذي قال بصوت مجروح: لم أكن أعرف شيئاً عن مسألة زواج إدموند.

قال المفتش كرادوك: "إن الأمور في أوقات الحرب..."، ثم ترك جملته مبتورة غامضة.

قال السيد ويمبورن بفظاظة وغضب: وقت الحرب! نعم، لقد أصابت قنبلةٌ البيتَ الذي يلينا مباشرة، وقد أتلفت الكثير من السجلات. لم تتلف المستندات المهمة في الحقيقة؛ فقد نقلناها إلى الريف حفاظاً عليها، لكنها سببت فوضى عارمة. وكانت معاملات كراكثورب في يد والدي في ذلك الوقت، وقد توفي قبل ست سنوات. أعتقد أنه ربما علم بزواج إدموند المزعوم هذا... ولكن يبدو من ظاهر الأمر أن ذلك الزواج لم يحدث، حتى وإن جرى التفكير فيه، ولذلك لم يعره والدي أي اهتمام. ولا يسعني إلا القول إن الأمر يبدو غريباً جداً بالنسبة لي: تأتي امرأة بعد كل هذه السنين وتزعم أنه تزوجها وأن لها ابناً شرعياً منه... أمرٌ مريبٌ جداً في الواقع. قل لي -برتك- ما هو الدليل الذي تملكه؟

- ماذا سيكون وضعها أو وضع ابنها في هذه الحالة؟

- أظن أن الفكرة من ذلك هي حمل عائلة كراكثورب على إعالتها وإعالة ابنها.

- نعم، لكن ما قصدته هو: ما هي الحقوق التي ستترتب لها ولابنها من الناحية القانونية... إذا ما أثبتت دعواها؟

- آه، فهمت.

رفع السيد ويمبورن نظارته التي كان قد وضعها جانباً على الطاولة بسبب غضبه ولبسها وهو يحملق في المفتش كرادوك باهتمام شديد. قال: في الوقت الحالي، لا شيء. ولكن إذا استطاعت إثبات أن الولد هو ابن إدموند كراكثورب وأنه ولد من زواج شرعي فسوف يأخذ الولد حصته من ثروة جوسيا كراكثورب عند وفاة جده لوثر كراكثورب. وأكثر من هذا، سيرث منزل رذرفورد هول، حيث أنه ابن أكبر الأبناء.

- وهل يرغب أحد بوراثة البيت؟

- بقصد العيش فيه؟ كلا بالتأكيد. لكن هذا المنزل ذو قيمة مرتفعة جداً يا عزيزي المفتش؛ فهو يقع -عملياً- في وسط براكهامبتن. آه، نعم، إنه إرث كبير جداً.

- أظنك قلت لي إن سدريك هو الذي سيحصل عليه إذا مات والده؟

- إنه سيرث الأراضي... نعم، كونه أكبر الأبناء الذين على قيد الحياة.

- ولكن سدريك -كما فهمت- غير مهتم بالمال؟

حدق السيد ويمبورن إلى كرادوك بنظرات باردة. قال: حقاً؟ أنا -شخصياً- أميل إلى اعتباره كلاماً مبالغاً فيه. قد يوجد أناس معيّنون لا تهمهم الدنيا ولا يكترثون بالمال، ولكنني لم ألتقِ بواحد منهم أبداً.

بدا واضحاً أن السيد ويمبورن قد أعجبته عبارته هذه.

أسرع المفتش كرادوك للاستفادة من هذه الفرصة. قال مجازفاً: يبدو أن هارولد وألفرد كانا منزعجين كثيراً من وصول تلك الرسالة؟

- ممكن... هذا ممكن فعلاً.

- هل ستقلل المبلغ الذي سيرثاه؟

- بالتأكيد. سيحصل ابن إدموند (مع تأكيد شكي بوجوده) على نصيب الخمس من الدخل المالي للأموال الموضوعة تحت الوصاية.

- ولكن هذا لا يبدو -حقاً- خسارة فادحة؟

نظر إليه السيد ويمبورن نظرات حادة وقال: إنه دافع غير كاف أبداً للقتل... إن كان هذا ما تعنيه.

- لكني أظن أنهما معدمان مادياً.

تحمل كرادوك نظرات السيد ويمبورن الحادة إليه دون اكتراث. قال المحامي: آه! إذن فقد كان الشرطة يقومون بتحرياتهم في هذا المجال؟ نعم، إن ألفرد في ضائقة مالية بشكل دائم. يحصل على أموال كثيرة من وقت لآخر ولمدة قصيرة، لكنها سرعان ما تضيع. أما هارولد فيبدو أنه (كما عرفتم ولا بد) في وضع حرج نوعاً ما.

- على الرغم من مظهره الذي يدل على غناه؟

- مجرد مظاهر... كلها مظاهر! إن نصف تجار المدينة لا يعرفون إن كانوا يستطيعون الوفاء بديونهم أم لا. يمكن عمل

موازين المدفوعات بحيث تبدو مطمئنة في عين غير الخبير، ولكن عندما لا تكون الأصول المدرجة في الميزانيات حقيقية، وعندما تكون هذه المؤسسات على شفا الانهيار... فماذا يحدث؟

- عندها سيكون هارولد في أمس الحاجة للمال.

- حسناً، ولكنه ما كان ليحصل على هذه الأموال بخنق أرملة أخيه. كما أن أحداً لم يقتل الأب العجوز... وهي جريمة القتل الوحيدة التي تنفع العائلة. ولذلك لا أدري -أيها المفتش- إلى أين تؤدي بك أفكارك هذه؟

رأى المفتش كرادوك أن أسوأ ما في الأمر هو أنه نفسه لم يكن يعرف جواباً لذلك.

* * *

الفصل الخامس عشر

كان المفتش كرادوك قد تواعد مع هارولد كراكثورب في مكتبه، وقد وصل مع الرقيب ويذرال في الوقت المحدد. كان المكتب في الطابق الرابع من مجمع كبير للمكاتب، وبدا من الداخل فخماً ويدلّ على ذوق حديث ونجاح وازدهار.

استقبلتهما فتاة أنيقة وقادتهما إلى مكتب هارولد الخاص. كان هارولد جالساً خلف مكتب ضخم مكسو أعلاه بالجلد وكان يبدو واثقاً من نفسه كالعادة، ولئن كانت معلومات المفتش الخاصة قد قادته إلى الاستنتاج بأن هارولد على شفا ضائقة مالية فإنه لا أثر يدل على ذلك.

رفع بصره مرحِّباً وقال: صباح الخير أيها المفتش. أرجو أن يعني هذا أنك أحضرت إلينا أخباراً محددة أخيراً؟

- أخشى أن ذلك لم يحدث يا سيدي. كنت أرغب فقط في توجيه بعض الأسئلة الأخرى إليك.

- مزيد من الأسئلة؟ لقد أجبناك حتى الآن عن كل شيء يمكن تصوره.

- لا شك أنك تشعر على هذا النحو يا سيد كراكثورب، لكنها مسألة روتين عادي بالنسبة لنا.

رد عليه هارولد وقد نفد صبره: حسناً، وما الأمر هذه المرة؟

- سأكون مسروراً إن أخبرتني -بالضبط- بما كنت تفعله يوم العشرين من كانون الأول الماضي... ولنقل: من الثالثة بعد الظهر وحتى منتصف الليل.

احمر وجه هارولد وبدا عليه شيء من الغضب وقال: يبدو لي أن هذا سؤال غريب جداً... أريد أن أعرف ما يعنيه؟

ابتسم كرادوك بلطف وقال: إنه يعني أنني أريد أن أعرف أين كنت بين الساعة الثالثة بعد الظهر وحتى منتصف ليلة الجمعة العشرين من كانون الأول.

- لماذا؟

- هذا سيساعدنا في تضييق دائرة التحري.

- تضييق دائرة التحري؟ إذن فلديك معلومات إضافية؟

- نأمل أن نكون قد اقتربنا قليلاً يا سيدي.

- لست متأكداً أبداً إن كان عليّ الإجابة عن سؤالك... أقصد دون حضور محاميّ الخاص.

- هذه المسألة تعود لك بالطبع. أنت غير ملزم بالإجابة عن أي سؤال ولك الحق الكامل بإحضار محاميك قبل ذلك.

- دعني أفهم الأمر، هل يعني ذلك أنك... أنك تحذّرني؟

أظهر كرادوك أنه فوجئ بهذا السؤال: آه، كلا يا سيدي. ليس الأمر هكذا؛ فالأسئلة التي أسألك إياها أطرحها على الكثير من الناس أيضاً، وليس فيها أي شيء شخصي. إنها مسألة حذف أسماء من دائرة الشك فحسب.

- بالطبع... أنا أريد مساعدتكم بأي شيء أستطيعه. دعني أتذكر الآن؛ فسؤال كهذا لا تكون إجابته جاهزة فوراً، ولكننا منظمون جداً هنا. أظن أن الآنسة إيلس تستطيع المساعدة.

تكلم بأحد الهواتف الموجودة على مكتبه كلمات مختصرة وسرعان ما دخلت المكتب فتاة شابة ترتدي بذلة سوداء أنيقة حاملة معها دفتر ملاحظاتها.

- سكرتيرتي الآنسة إيلس... المفتش كرادوك. والآن يا آنسة إيلس، يريد المفتش معرفة ما كنتُ أفعله بعد ظهر ومساء يوم... ما هو اليوم؟

- الجمعة، العشرون من كانون الأول.

غادرت الآنسة إيلس الغرفة ثم عادت وهي تحمل مذكرة المكتب وتقلب صفحاتها. قالت: كنتَ في المكتب صباح العشرين من كانون الأول وكان لديك اجتماع مع السيد غولدي بخصوص

اندماج مؤسسة كرومارتي، ثم تناولت الغداء مع اللورد فوتفيل في مطعم بيركلي.

- آه، كان ذلك اليوم... نعم.

- وعدتَ إلى المكتب بحدود الساعة الثالثة وأمليت علي بضع رسائل، ثم غادرت لحضور مزاد سوذبي (حيث كنت مهتماً ببعض المخطوطات النادرة التي كانت ستباع في المزاد في ذلك اليوم). ولم تعد إلى المكتب بعدها، ولكني كتبتُ ملاحظة أذكّرك فيها بحضور عشاء في نادي كاترنغ ذلك المساء.

ثم رفعت بصرها متسائلة، فقال هارولد: شكراً لك آنسة.

خرجت الآنسة إيلس من الغرفة. قال هارولد: لقد تذكرتُ كل شيء الآن. ذهبت إلى سوذبي بعد ظهر ذلك اليوم، لكن الأشياء التي بيعت هناك كانت مرتفعة الأسعار. ثم تناولت الشاي في مقهى صغير في شارع جيرمين... أظنه يُدعى مقهى راسلز. ثم ذهبت إلى مسرح الأخبار مدة نصف ساعة أو نحو ذلك، ثم عدت إلى البيت... إنني أسكن في المنزل رقم ٤٣ في كاريغان غاردنز. كان عشاء نادي كارنغ في الساعة السابعة والنصف في قاعة كاتر، وبعده عدت إلى البيت للنوم. أظن أن ذلك يجيب عن أسئلتك.

- هذا واضح يا سيد كراكثورب. كم كانت الساعة عندما عدت إلى البيت لتبدل ثيابك؟

- أظن أن ذلك كان بعد السادسة بقليل.

- وبعد تناولك العشاء؟

- أظن أنها كانت الحادية عشرة والنصف عندما وصلت إلى البيت.

- هل فتح خادمك لك الباب؟ أم أن الليدي كراكثورب هي التي...

- لقد سافرت زوجتي، الليدي كراكثورب، إلى جنوب فرنسا، وهي هناك منذ بداية شهر كانون الأول... لقد دخلت البيت وحدي.

- إذن لا يوجد أحد يشهد على عودتك إلى البيت في الساعة التي تقولها؟

نظر إليه هارولد نظرة باردة وقال: أظن أن الخدم سمعوني عندما دخلت... الخادم وزوجته ولكن، أيها المفتش...

- أرجوك يا سيد كراكثورب... أعرف أن هذه الأسئلة مزعجة، لكني انتهيت تقريباً. هل لديك سيارة خاصة؟

- نعم، من نوع هامبر هوك.

- هل تقودها بنفسك؟

- نعم. لا أستخدمها كثيراً إلا في العطل الأسبوعية. إن قيادة السيارة في لندن مسألة مستحيلة هذه الأيام.

- أظن أنك تستخدمها عندما تذهب لزيارة والدك وأختك في براكهامبتن؟

- كلا، إلا إذا كنت سأبقى هناك فترة طويلة من الزمن. إذا

كنت أريد قضاء ليلة واحدة فقط هناك (كما حدث ذلك اليوم لحضور التحقيق) فإنني أذهب بالقطار. القطارات ممتازة، وهي أسرع من ذهابي في سيارة بكثير. وهناك، في المحطة، تكون في انتظاري السيارة التي تستأجرها شقيقتي.

- أين تضع سيارتك؟

- إنني أستأجر موقفاً في الشارع الخلفي من كارديغان غاردنز. هل بقيت أسئلة أخرى؟

قال المفتش كرادوك مبتسماً وهو يقف على قدميه: أظن أن هذا يكفي الآن. أنا آسف جداً على إزعاجك.

عندما خرجا من المكتب قال الرقيب ويذرال (وهو رجل يعيش في حالة من الشك في كل شيء بلا استثناء): لم تعجبه هذه الأسئلة... لم تعجبه أبداً؛ كان متضايقاً.

أجابه المفتش بهدوء: إذا لم ترتكب جريمة قتل ثم جاء شخصٌ ما ليظن أنك ارتكبتها فإنه أمر طبيعي أن تشعر بالضيق. وهذا يزعج رجلاً ذا مكانة محترمة مثل هارولد كراكثورب على وجه الخصوص... ليس في ذلك شيء. إن ما علينا معرفته هو إن كان أحدٌ قد رأى هارولد في المزاد العلني بعد ظهر ذلك اليوم، ونفس الأمر ينطبق على المقهى. كان يستطيع السفر في قطار الرابعة وثلاث وثلاثين دقيقة بسهولة ليلقي بالمرأة خارج القطار ثم يعود في قطار آخر إلى لندن في الوقت المناسب لحضور العشاء. وبنفس الطريقة كان يستطيع الذهاب بسيارته في تلك الليلة ليعثر على الجثة ويضعها

في التابوت ثم يعود إلى لندن بسيارته مرة أخرى. قم بالتحريات في الشارع الخلفي لمنزله.

- حاضر يا سيدي. هل تعتقد أن هذا ما فعله؟

- وكيف لي أن أعرف؟ إنه رجل طويل أسمر. ربما كان في ذلك القطار، كما أن له علاقة براذرفورد هول. إنه مشتبَهٌ به محتملٌ في هذه القضية. والآن إلى أخيه ألفرد.

* * *

كانت لألفرد كراكثورب شقة في وست هامبستد في مبنى كبير حديث له ساحة كبيرة يوقف فيها أصحاب الشقق سياراتهم آمنين.

كانت الشقة من النوع الحديث، وواضح أنه استأجرها مفروشة. وكان فيها سريرٌ يمكن طيّهُ ليصبح أريكة وطاولة وعدة كراسي بأحجام غير متناسقة.

استقبلهما ألفرد كراكثورب ببشاشة وترحاب، ولكن المفتش أحس ببعض الارتباك لديه وهو يقول: لقد أثارت زيارتك فضولي. هل تريد فنجاناً من الشاي أيها المفتش؟

- لا، أشكرك يا سيد كراكثورب.

- هل الأمر سيء إلى هذه الحد؟!

كرر المفتش كرادوك سؤاله الصغير الذي سأله لأخيه من قبل، فردّ قائلاً: ماذا كنت أفعل عصر ومساء يوم العشرين من كانون الأول. كيف لي أن أعرف؟ لقد مضى على ذلك أكثر من ثلاثة أسابيع.

- استطاع أخوك هارولد أن يخبرنا عن ذلك بالضبط.

قال ألفرد: "يمكن لهارولد أنْ يفعل ذلك، أما أنا فلا". ثم أضاف بنبرة فيها مسحة من الخبث الحسود: هارولد هو الناجح في هذه العائلة... دائماً مشغول، ولديه موعد لكل شيء، وكل شيء يسير حسب جدول زمني. حتى لو أراد ارتكاب جريمة قتل -مثلاً- فإنه سيوقت لها توقيتاً دقيقاً محكماً.

- هل لديك أي سبب لاستخدامك هذا المثل؟

- آه، لا. هذا ما تبادر إلى ذهني. إنها حماقة تامة!

- والآن، ماذا عنك؟

بسط ألفرد ذراعيه وقال: كما قلت لك... ليس عندي ذاكرة فيما يخص الأوقات والأماكن. لو سألتني عن يوم عيد الميلاد لاستطعت أن أجيب عن سؤالك؛ فقد أمضينا ذلك اليوم مع أبي في براكهامبتن. لا أعرف حقاً لماذا؛ فهو يشكو ويتذمر من نفقات استضافتنا... وكان سيتذمر ويشكو لو لم نذهب إليه ذلك اليوم. الحقيقة أننا نذهب هناك من أجل أختي.

- ولكن كان والدك مريضاً لسوء الحظ، أليس كذلك؟

كان كرادوك يتبع -عامداً- منحى جانبياً في حديثه مدفوعاً بنوع من الغريزة التي اكتسبها خلال حياته المهنية.

- كان مريضاً. إنه يعيش كعصفور الدوري من أجل قضية الاقتصاد المجيدة، وقد كان للتخمة المفاجئة تأثيرها عليه.

- أكان الأمر بسبب ذلك فقط؟

- بالطبع، وماذا غيره؟

- فهمت أن طبيبه كان... قلقاً.

تحدث ألفرد بسرعة وازدراء: آه، ذلك الأحمق كويمبر. لا فائدة من الإصغاء إليه أيها المفتش... إنه من أسوأ المنذرين بالسوء.

- حقاً؟ يبدو لي أنه رجلٌ واعٍ مدرك.

- إنه أحمق تماماً. والدي ليس مريضاً حقيقة، ليس في قلبه أي شيء غير عادي، لكنه يفهم كويمبر فهماً تاماً. ومن الطبيعي أن والدي أحدث ضجة كبرى عندما شعر -حقيقةً- بالمرض، وجعل كويمبر يأتي ويذهب ويسأل أسئلة عن كل شيء أكله وشربه... كان كل شيء سخيفاً!

كان ألفرد يتكلم بحماسة غير عادية. وصمت كرادوك لبعض الوقت صمتاً ذا تأثير معين. تململ ألفرد ورماه بنظرة سريعة ثم قال بفظاظة: حسناً، ما هذا كله؟ لماذا تريد أن تعرف أين كنت في يوم جمعة معين قبل ثلاثة أسابيع أو أربعة؟

- إذن فأنت تذكر أنه كان يوم جمعة؟

- أظن أنك قلت هذا؟

- ربما قلت. على أية حال فإن يوم الجمعة العشرين من كانون الأول هو ما أسألك عنه.

- لماذا؟

- استفسار روتيني.

- هذا هراء. هل كشفتم المزيد عن هذه المرأة؟ من أين جاءت؟

- معلوماتنا لم تكتمل بعد.

نظر إليه ألفرد بحدة وقال: أرجو ألاّ تكون قد سمحت لنظرية إيما المستهجنة تلك أن تضللك... أعني احتمال كون تلك المرأة أرملة أخي إدموند. هذا هراء تام.

- تلك المرأة، مارتين ، هل لجأتْ إليك قط؟

- يا إلهي! كلا. كان من شأن ذلك أن يشكل طرفة.

- هل ترى من الأرجح أن تلجأ إلى أخيك هارولد؟

- هذا مزعج أكثر؛ فاسمه يتردد في الصحف كثيراً، وهو غني. لن أدهش إذا ما حاولت الاتصال به. وهذا لا يعني أنها ستحصل على ما تريد؛ فهارولد بخيل مثل والده العجوز. إن إيما هي صاحبة القلب الرقيق في العائلة، وهي الأخت المفضلة عند إدموند. ومع ذلك فهي ليست بالساذجة. كانت تدرك احتمال أن تكون هذه المرأة محتالة، وقد عملت على أن تكون العائلة بأكملها هناك... وكذلك المحامي المخضرم.

قال كرادوك: عمل حكيم. هل تحدد موعد معين لذلك اللقاء؟

- كان مقرراً بعد عيد الميلاد مباشرة... في عطلة نهاية الأسبوع يوم السابع والعشرين من كانون الأول.

- آه، أرى أن بعض التواريخ تعني لك شيئاً.

- قلت لك... لم يتحدد موعد ثابت.

- لكنكم تحدثتم عنه. متى؟

- لا أستطيع حقاً أن أتذكر.

- ألا تستطيع إخباري بالذي كنت تفعله، أنت شخصياً، يوم الجمعة العشرين من ذلك الشهر؟

- آسف... لا أذكر شيئاً.

- ألا تحتفظ بدفترٍ للمواعيد؟

- لا أستطيع تحمل هذه الأشياء.

- الجمعة التي سبقت عيد الميلاد... لا ينبغي أن يكون تذكّر ذلك صعباً.

- لعبتُ الغولف في أحد الأيام مع زبون محتمل... لا، كان ذلك في الأسبوع الذي قبله. إذن ربما كنت أتسكع. إنني أقضي الكثير من وقتي في التسكع.

- ربما استطاع بعض أصدقائك المساعدة في هذا؟

- ممكن، سأسألهم... سأبذل ما بوسعي.

بدا ألفرد -في تلك اللحظة- واثقاً من نفسه أكثر من قبل وقال: لا أستطيع إخبارك عما كنت أفعله في ذلك اليوم، لكني أستطيع أن أخبرك بما لم أفعله. لم أكن أقتل أي امرأة في حظيرة منزلنا.

- ولماذا تقول هذا يا سيد كراكثورب؟

- هيا يا عزيزي المفتش... أنت تحقق في هذه الجريمة، أليس كذلك؟ وعندما تبدأ تسألني: "أين كنت في اليوم الفلاني في الوقت الفلاني؟" فإنك تريد تقريب وتحديد الأمور. أودّ معرفة سبب اختيارك يوم الجمعة العشرين من الشهر بين.. ماذا؟ وقت الغداء ومنتصف الليل؟ لا يمكن أن يكون ذلك نتيجةَ دليلٍ طبي عن موعد الوفاة، بعد كل هذا الوقت. هل رأى أحدٌ القتيلة وهي تتسلل إلى الحظيرة بعد الظهر؟ دخلتْ ولم تخرج أبداً... أهذا هو السبب؟

كان يراقب المفتش كرادوك بعينيه السوداوين الحادتين، لكن المفتش كان أكثر خبرة وتمرساً من أن ينفعل من أسئلته تلك. قال بشيء من السرور: أخشى أن علينا تركك تخمن هذا الأمر بنفسك؟

- الشرطة يتكتمون كثيراً.

- ليس الشرطة فقط. أعتقد -يا سيد كراكثورب- أنك تستطيع أن تتذكر ما كنت تفعله في تلك الجمعة لو حاولت. وربما كانت لديك -بالطبع- أسبابك لعدم الرغبة في التذكر...

- لن تصيدني بهذه الطريقة أيها المفتش. إن عدم قدرتي على التذكر تثير الريبة، تثير الريبة فعلاً. لكن هذه هي الحقيقة! انتظر

قليلاً! لقد ذهبت إلى ليدز ذلك الأسبوع وبقيت في فندق قريب من قاعة المدينة... لا أذكر اسمه، لكنك ستجده بسهولة. ربما كان ذلك يوم الجمعة.

قال المفتش بلهجة جافة: "ستتحقق من ذلك". ثم نهض وقال: أنا آسف لأنك لم تكن متعاوناً معنا أكثر من ذلك يا سيد كراكثورب.

- إنه أمر مؤسف جداً بالنسبة لي! سدريك يملك دفعاً بالغيبة عن مكان الجريمة، في إيبيزا، وهارولد بالطبع، المرتبط بمواعيد عمل ودعوات عشاء عامة كل ساعة... وها أنا ذا هنا دون دليل يثبت مكاني وقت الجريمة. أمر محزن جداً، وسخيف جداً أيضاً. لقد أخبرتك -من قبل- بأنني لا أقتل الناس. وعلى أية حال، لماذا عساني أقتل امرأة مجهولة؟ لماذا؟ حتى لو كانت الجثة هي جثة أرملة إدموند، لماذا يريد واحدٌ منّا قتلها؟ لا، بل كنا سنستمتع جميعاً بجعل والدنا يتأفف ويتذمر قبل أن يعطيها معاشاً ويرسل الصبي إلى مدرسة محترمة. كان من شأن أبي أن يفقد صوابه، لكنه ما كان ليرفض فعل هذا الأمر... إنني آسف جداً لعدم استطاعتي مساعدتكم.

* * *

- اسمع يا سيدي، أتعرف ماذا حدث؟

نظر المفتش إلى رقيبه المنفعل وقال: نعم يا ويذرال، ماذا هناك؟

- لقد ضبطته يا سيدي؛ ذلك الرجل. كنت أحاول طوال الوقت حل اللغز وفجأة وجدته. كان متورطاً في حادث الأغذية المعلبة مع دكي روجرز. لم أمسك عليه أي ممسك؛ فقد كان أحرص من أن يترك عليه ممسكاً. كما كان متورطاً مع واحد أو أكثر من جماعة سوهو... قضية الساعات والهدايا الإيطالية.

بالطبع... أدرك كرادوك الآن لماذا بدا وجه ألفرد مألوفاً له منذ البداية. كان ألفرد يقف دائماً على هامش مواطن الشبهة ومعه دوماً سبب بريء مقنع لعلاقاته مع المشبوهين. لكن الشرطة كانوا واثقين تماماً من أنه كان يتلقى أرباحاً ثابتة صغيرة بشكل مستمر.

قال كرادوك: هذا يلقي بعض الضوء على الأمور.

- أتعتقد أنه فعلها؟

- لا أظن أنه من النوع الذي يرتكب جريمة قتل، لكنه يوضح أموراً أخرى... سبب عدم استطاعته إثبات مكان وجوده وقت الحادث.

- نعم، إنه أمر سيء بالنسبة له.

- ليس سيئاً إلى ذلك الحد. لقد اتبع خطاً ذكياً تماماً... إذ اكتفى بالقول جازماً إنه لا يتذكر. كثير من الناس لا يمكنهم أن يتذكروا ما فعلوه وأين كانوا حتى قبل أسبوع واحد فقط. إنه عمل مفيد إذا كنت لا تريد لفت انتباه أحد إلى الطريقة التي تقضي بها وقتك... لقاءات مثيرة مع جماعة دكي روجرز على سبيل المثال.

- إذن فأنت تعتقد أنه غير مذنب؟

- لست على استعداد -حتى هذه اللحظة- للاعتقاد ببراءة أحد. يجب أن نتحقق من هذه المسألة يا ويذرال.

عاد كرادوك فجلس عابساً على مكتبه وبدأ يسجل بعض الملاحظات على الدفتر الموضوع أمامه. كتب:

القاتل... رجل أسمر طويل القامة!

الضحية؟... قد تكون مارتين صديقة إدموند أو أرملته.

أو: قد تكون آنا سترافنسكا. تركت العمل في فرقتها في وقت يناسب توقيت الجريمة، كما أن عمرها وشكلها وملابسها تناسب الضحية أيضاً. لا علاقة لها براذرفورد هول (حسبما هو معروف). هل تكون زوجةً ثانية لهارولد؟ (تهمة تعدد الزوجات!)...

إذا كانت علاقتها مع ألفرد فقد تكون علاقة ابتزاز. أكانت تملك معلومات قد تقوده إلى السجن؟

وإذا كان سدريك... فقد تكون لها علاقة به في الخارج. بلاريس؟ أو تلك الجزر في الأطلسي؟

أو: قد تكون الضحية آنا سترافنسكا وهي تنتحل شخصية مارتين.

أو: الضحية امرأة مجهولة قتلها مجرم مجهول!

ثم قال كرادوك بصوت مرتفع: "والأرجح هو الاحتمال الأخير".

فكّر في الوضع مكتئباً. لا يمكنك أن تتقدم في قضية ما ما لم تعرف الدافع، وكل الدوافع المقترَحة حتى الآن إما أن تكون غير كافية أو بعيدة مستهجنة. لو كان الضحية هو العجوز كراكتشورب لتوفر العديد من الدوافع...

تحرك في ذاكرته شيء... كتب مزيداً من الملاحظات في دفتره:

اسأل الدكتور كويمبر عن مرض ليلة عيد الميلاد.

سدريك... مكان وجوده ساعة الجريمة.

مراجعة الآنسة ماربل لسماع آخر الأقاويل.

* * *

الفصل السادس عشر

عندما وصل كرادوك إلى المنزل رقم ٤ في شارع مادِسون وجد لوسي آيلسبارو مع الآنسة ماربل. تردد لحظة في الشروع في خطته ثم قرر أن لوسي قد تكون حليفاً ذا قيمة.

بعد تبادل التحيات أخرج دفتر ملاحظاته بهدوء وأخرج ثلاثة جنيهات دفعها على الطاولة تجاه الآنسة ماربل.

- ما هذا أيها المفتش؟

- رسوم استشارة. أنت مستشارة... في جريمة قتل! والموضوع هو ردود الفعل المحلية، والأسباب العميقة الممكنة لتلك الجريمة. أما أنا فلست إلا مفتشاً مسكيناً مرهقاً.

نظرت إليه الآنسة ماربل وطرفت عينها فابتسم لها، أما لوسي فقد دهشت أولاً ثم ضحكت وهي تقول: ما أنت -في نهاية الأمر- إلاّ بشر أيها المفتش كرادوك.

- آه، لست الآن في عمل رسمي.

قالت الآنسة ماربل تخاطب لوسي: قلت لك بأننا التقينا من

قبل. السير هنري كليذرنغ هو عرّابه، وهو صديق قديم لي.

- هل تريدين -يا آنسة آيلسبارو- سماع ما قاله السير هنري عنها... في أول مرة التقينا فيها؟ لقد وصفها بأنها أفضل «امرأة تحر» خلقها الله على وجه الأرض... عبقرية طبيعية نَمَتْ في بيئة مناسبة. وقد أوصاني بألاّ أستخفّ أبداً بالسيدات المسنات وقال بأنهن يستطعن -في العادة- أن يقلن لك ماذا يمكن أن يحدث، وماذا يجب أن يحدث، وماذا حدث فعلاً، كما أنهن يستطعن معرفة أسباب حدوث الأمور. وأضاف بأن هذه السيدة -بالذات- هي القمة في ذلك.

قالت لوسي: يبدو أنها شهادة جيدة.

كانت الآنسة ماربل قد احمر وجهها وارتبكت وبدت في غاية الحرج. قالت هامسة: يا له من شخص أثير، السير هنري هذا! كان رقيق القلب دائماً. أنا لست حقاً ذكية أبداً، وإنما قد يكون عندي شيء من المعرفة بالطبيعة البشرية... نتيجةً للعيش في القرية.

ثم أضافت بهدوء أكثر: إنني عاجزة بالطبع إلى حد ما، بسبب عدم وجودي في مكان الجريمة. أشعر دائماً -عندما يذكّرني الناسُ بأناسٍ آخرين- بأن ذلك أمر مفيد جداً؛ لأن النماذج متشابهة في كل مكان، وهذا دليل قيم.

بدت لوسي محتارة بعض الشيء، لكن كرادوك أومأ برأسه وكأنه يفهم ما تقوله. قال: لكنك ذهبت وشربت الشاي هناك، أليس كذلك؟

- بلى، كانت زيارة رائعة بالفعل. لقد خاب أملي بعض الشيء عندما لم أتمكن من رؤية والدهم السيد كراكثورب، لكن المرء لا يمكنه الحصول على كل ما يريد.

سألتها لوسي: أتظنين أنك ستعرفين القاتل لو رأيته؟

- آه، ما كنت لأذهب إلى هذا الحد يا عزيزتي. إن المرء يميل دائماً إلى التخمين، والتخمين أمر خاطئ تماماً إذا ما تعلق الأمر بشيء خطير كجريمة القتل. كل ما أستطيع فعله هو ملاحظة الأشخاص المعنيين... أو الذين قد يكونون معنيين... لأرى بمن يذكرونني.

- أمثال سدريك ومدير البنك.

صححت لها الآنسة ماربل: ابن مدير البنك يا عزيزتي. فالسيد إيد نفسه كان أشبه بالسيد هارولد، فهو رجل محافظ جداً، لكن ربما كان مولعاً بعض الشيء بالمال. وهو مستعد لفعل أي شيء لتجنب الفضائح.

ابتسم كرادوك وقال: وألفرد؟

أجابته الآنسة ماربل على الفور: يذكّرني بعامل ورشة السيارات جنكز، وهو لم يكن يسرق الأدوات بمعنى الكلمة، ولكنه اعتاد أن يستبدل أحياناً بقطعة جديدة من السيارة أخرى معطلة أو مستهلكة، وأظنه لم يكن أميناً أيضاً في مسألة بطاريات السيارات، رغم أنني لا أفهم هذه الأمور جيداً. ولكني أعرف أن ريموند تركه ولجأ إلى ورشة أخرى. وبالنسبة لإيما فإنها تذكرني كثيراً بجيرالدين وِب؛

هادئة دائماً، لا تهتم بملابسها... وكانت أمها العجوز تتحكم فيها كثيراً. كانت مفاجأة كبيرة عندما توفيت فجأة وحصلت جيرالدين على مبلغ كبير من المال وذهبت وقصت شعرها وسافرت في رحلة، ثم عادت وتزوجت بمحام لطيف، وقد رزقا بطفلين.

كانت المقارنة واضحة بما فيه الكفاية. قالت لوسي بشيء من التململ: أتظنينه كان مناسباً أن تقولي ما قلتِه بخصوص زواج إيما؟ لقد بدا أن ذلك قد ضايق الأخوة.

أومأت الآنسة ماربل وقالت: نعم، هكذا الرجال... لا يستطيعون رؤية ما يجري تحت أعينهم. لا أعتقد أنك لاحظت ذلك بنفسك.

اعترفت لوسي قائلة: لا، لم أفكر بهذا الأمر أبداً؛ فكلاهما كان يبدو لي...

قاطعتها الآنسة ماربل وهي تبتسم: كبيراً في السن؟ لكن الدكتور كويمبر لم يتجاوز الأربعين بكثير، رغم أن الشيب قد غزا صدغيه، وواضح أنه مشتاق لحياة الاستقرار. أما إيما فدون الأربعين وليست كبيرة على الزواج وتكوين عائلة. زوجة الطبيب ماتت صغيرة عندما كانت تضع مولوداً... هذا ما سمعته.

- أظن ذلك. قالت إيما شيئاً من هذا في أحد الأيام.

قالت الآنسة ماربل: لا بد أنه يشعر بالوحدة. إن طبيباً كثير الانشغال يكون بحاجة إلى زوجة؛ امرأة تتعاطف معه وترعاه، ولا تكون صغيرة السن.

قالت لوسي: ما بالك يا عزيزتي؟ هل نحن نحقق في جريمة أم أننا نؤدي دور الخاطبة؟

طرفت عينا الآنسة ماربل وقالت: أخشى أنني رومانسية بعض الشيء. ربما لأنني امرأة مسنة. بالنسبة لك يا لوسي فقد أوفيت بالعقد. إن كنت تريدين إجازة تقضينها في الخارج قبل مباشرة عملك التالي فما زال لديك الوقت للقيام برحلة قصيرة.

– وأترك رذرفورد هول؟ أبداً! إنني شرطية سرية كاملة الآن وأكاد لا أقل اهتماماً عن الولدين. إنهما يقضيان كل وقتهما في البحث عن أدلة الجريمة، ولقد فتشا صناديق القمامة كلها بالأمس... عمل تافه جداً، كما أنهما لا يعرفان أبداً ما الذي يبحثان عنه. لو رأيتهما -أيها المفتش- وقد جاءا إليك فرحَين يحملان ورقة ممزقة مكتوباً عليها: "مارتين: إن كنت تحبين الحياة فلا تقتربي من الحظيرة" فاعرف أنني أشفقت عليهما وأخفيتها هناك للتسلية.

سألتها الآنسة ماربل باهتمام: ولماذا الحظيرة يا عزيزتي؟ هل يربّون ماشيةً فيها؟

– آه، لا، ليس هذه الأيام. إنني أذهب إليها أحياناً.

احمرّ وجه لوسي لسبب معين. نظرت إليها الآنسة ماربل باهتمام متزايد، وسألها كرادوك: مَن في البيت الآن؟

– سدريك، وقد جاء برايان أيضاً لقضاء عطلة الأسبوع. هارولد وألفرد سيأتيان في الغد؛ وقد اتّصلا بنا صباح اليوم. لديّ انطباع -يا حضرة المفتش- بأنك أخفتهم.

ابتسم كرادوك وقال: لقد هززتهم قليلاً. طلبت منهم سرد تحركاتهم يوم الجمعة العشرين من كانون الأول.

- وهل استطاعوا ذلك؟

- هارولد استطاع، أما ألفرد فلم يستطع... أو لم يرد.

قالت لوسي: أظن أن إثبات أماكن تواجدهم في ذلك اليوم مسألة صعبة للغاية. الأوقات والتواريخ والأماكن. ولا بد أن التحقق من ذلك صعب أيضاً.

قال: "إنه عمل يحتاج إلى وقت وصبر... لكننا نجحنا". ثم نظر إلى ساعته وقال: سأذهب إلى رذرفورد هول في الحال لأتكلم مع سدريك، لكني أود مقابلة الدكتور كويمبر قبل هذا.

قالت لوسي: سيكون الوقت مناسباً؛ فهو يصل إلى العيادة في السادسة ويغادرها في السادسة والنصف تقريباً. حسناً... عليّ العودة لأهتمّ بأمر العشاء.

سأل المفتش: أريد رأيك في مسألة واحدة يا آنسة آيلسبارو؛ ما الذي يعتقده أفراد العائلة -فيما بينهم- بالنسبة لموضوع مارتين هذه؟

أجابته لوسي على الفور: كلهم غضبوا من إيما لأنها ذهبت إليك وأخبرتك بالموضوع، كما غضبوا من الدكتور كويمبر أيضاً الذي شجعها -كما يبدو- على فعل ذلك. يرى كل من هارولد وألفرد بأن المرأة كانت محتالة، أما إيما فغير متأكدة. وسدريك يعتقد أنها

محتالة هو الآخر، لكنه لا يأخذ الأمر بمثل تلك الجدية التي يبديها أخواه. أما برايان فيبدو أنه واثق تماماً من صدقها.

- عجباً، لماذا يكون واثقاً هكذا؟

- برايان هكذا دائماً؛ يقبل الأمور على ظاهرها. إنه يرى أنها كانت زوجة إدموند... أو بالأحرى أرملته، وأنها اضطرت للعودة إلى فرنسا فجأة، وأنهم سيتلقون منها خبراً آخر في وقت من الأوقات، وهو يرى أن عدم كتابتها أي رسالة أمرٌ طبيعي حيث أنه نفسه لا يكتب رسائل. إن برايان رجل لطيف، وهو أشبه بكلبٍ يريد من صاحبه أن يأخذه في نزهة قصيرة.

سألتها الآنسة ماربل: وهل تأخذينه في نزهة يا عزيزتي؟ ربما إلى الحظيرة!

نظرت إليها لوسي نظرات حادة. وأضافت الآنسة ماربل تقول: في البيت رجال محترمون كثيرون يأتون ويذهبون.

عندما تنطق الآنسة ماربل بتعبير «رجال محترمون» فإنها تعطيه نكهته الفكتورية الكاملة؛ إذ أنك تدرك -على الفور- أنها تعني رجالاً مفعمين بالحيوية والنشاط، يكونون أوغاداً أحياناً لكنهم يتصفون بالشهامة دائماً.

أكملت الآنسة ماربل وهي تقوّم لوسي: وأنت فتاة ظاهرة الحسن... أظن أنهم يولونك اهتماماً كبيراً، أليس كذلك؟

احمرّ وجه لوسي قليلاً وطافت بخيالها ذكريات غير مترابطة: سدريك وهو يستند إلى حائط الحظيرة... برايان وهو جالس وراء

طاولة المطبخ مغموماً... ألفرد وهو يساعدها في رفع فناجين القهوة.

قالت الآنسة ماريل بنبرة مَن يتكلم عن فصيلة غريبة خطيرة: الرجال متشابهون كثيراً في بعض النواحي... حتى لو كانوا كباراً في السن كثيراً!

صاحت لوسي: يا عزيزتي... لو كنا قبل مئة عام لأحرقوك -بالتأكيد- بتهمة السحر!

ثم أخبرتهما بقصة السيد كراكتشورب العجوز الذي طلب يدها للزواج، ومضت قائلة: والواقع أنهم جميعاً عرضوا عليّ الزواج بشكل أو بآخر. كان هارولد حذراً جداً وقد عرض عليّ وظيفة مالية مغرية في المدينة. لا أظن أن ذلك بسبب مظهري الجذاب... لا بد أنهم يظنون أنني أعرف شيئاً.

ثم ضحكت، لكن المفتش كرادوك لم يضحك بل قال: احذري؛ فقد يقتلونك بدلاً من عرض أنفسهم عليك.

وافقته لوسي قائلة: "أحسب أن ذلك ربما كان أسهل بكثير". ثم ارتعدت قليلاً وقالت: إن المرء ينسى... لقد اعتاد الصبيّان على اعتبار أن الأمر لعبة يلهوان بها بحيث كاد المرء يظنه كذلك، ولكن الأمر ليس لعبة.

قالت الآنسة ماربل: "كلا... ليس القتل بلعبة". وسكتت قليلاً ثم أضافت: ألن يعود الولدان إلى المدرسة قريباً؟

- بلى، في الأسبوع القادم. وسيذهبان غداً إلى منزل جيمس ستودلارت لقضاء الأيام الأخيرة من العطلة المدرسية.

قالت الآنسة ماربل بجدية: أنا مسرورة لذلك؛ فلا أودّ حدوث شيء وهما هناك.

- تقصدين للسيد كراكتثورب العجوز. هل تظنين أنه سيكون القتيل الثاني؟

- آه، لا؛ العجوز لن يحدث له شيء. ما أعنيه هو الأولاد.

- حسناً، تقصدين ألكساندر؟ إنه يدور ويفتش بحثاً عن أدلة. الأولاد يحبون مثل هذه الأشياء، لكنها قد تكون خطيرة.

نظر إليها كرادوك نظرات فاحصة وقال: يبدو أنك لست مستعدة للاقتناع بأنها قضية امرأة مجهولة قتلها رجل مجهول؟ أنت تربطين القضية -تحديداً- بأصحاب رذرفورد هول؟

- أظن أنها توجد صلة أكيدة، نعم.

- كل ما نعرفه عن الجريمة هو أن القاتل رجل أسمر طويل القامة... هذا كل ما أمكن لصديقتك أن تقوله. ويوجد في رذرفورد هول ثلاثة رجال سمر طوال القامة. لقد خرجتُ في اليوم الذي جرى فيه التحقيق فرأيت الإخوة الثلاثة ينتظرون السيارة التي كانت ستقلهم. كانوا يديرون ظهورهم لي، وقد دهشت كيف كانوا متشابهين إلى حد بعيد وهم يرتدون معاطفهم الثقيلة... ثلاثة رجال سمر طوال القامة. ومع ذلك فهم ثلاثة أنواع مختلفة من الرجال، وهذا يعقّد المسألة.

تمتمت الآنسة ماربل: ترى... كنت أتساءل إن كانت المسألة أبسط مما نفترض. جرائم القتل تكون في الغالب بسيطة ذات دافع واضح خسيس.

- هل تعتقدين بوجود مارتين الغامضة هذه يا آنسة ماربل؟

- أنا أعتقد -جازمة- بأن إدموند كان متزوجاً أو كان يعتزم الزواج بفتاة تدعى مارتين. لقد علمتُ بأن إيما أرتك رسالته. ومما رأيته منها، إضافة إلى ما أخبرتني به لوسي، فإنني أرى أن إيما كراكثورب لا تستطيع أبداً تلفيق هذا الأمر... ولماذا تفعل؟

قال كرادوك متأملاً: وهكذا، إذا سلمنا بأنها مارتين، فإن لقتلها دافعاً واضحاً؛ لأن ظهورها مع ابنٍ لها سوف يقلل من نصيب الباقين في الإرث... رغم شعور المرء بأن ذلك لا يكاد يرقى إلى مرتبة الدافع للقتل. إنهم جميعاً في ضائقة مالية شديدة.

سألته لوسي غير مصدقة: حتى هارولد؟

- حتى هارولد الذي يبدو ثرياً في ظاهره، إلا أنه ليس رجل المال المحافظ الواعي كما يبدو عليه. إنه يورط نفسه في مغامرات مالية غير محسوبة النتائج، وحصوله على مبلغ كبير من المال قريباً قد يجنبه كارثة مالية.

قالت لوسي: "ولكن إن كان ذلك صحيحاً..."، ثم سكتت.

- نعم يا آنسة آيلسبارو؟

قالت الآنسة ماربل: أعرف يا عزيزتي... جريمة القتل الخاطئة. هذا ما تقصدينه.

- نعم، إن وفاة مارتين لم تكن لتفيد هارولد... أو أياً من الآخرين... بأي شيء، إلا لدى...

- إلا لدى موت لوثر كراكثورب، بالضبط. لقد خطر لي هذا، وقد فهمت من طبيب الأسرة بأن كراكثورب الأب في صحة أفضل مما يمكن لأي غريب أن يتخيله.

قالت لوسي: "قد يعيش سنوات..."، ثم قطبت جبينها.

- قال كرادوك مشجعاً: نعم؟

قالت لوسي: كان مريضاً إلى حد ما في العيد ، وقد قال إن الطبيب أحدث ضجة وجلبة بسبب ذلك، وقال: "كان من شأن أي امرئ أن يظن أنه جرى تسميمي نتيجةً للضجة التي أحدثها".

نظرت إلى كرادوك نظرات تساؤل فقال: نعم، هذا بالضبط ما أردت سؤال الدكتور كويمبر عنه.

قالت لوسي: يجب أن أذهب الآن. لقد تأخر الوقت كثيراً.

وضعت الآنسة ماربل صنارتها وأخذت جريدة التايمز وبها كلمات متقاطعة لم يُستكمل حلها، ثم قالت: أتمنى لو كان معي قاموس هنا. «تونتاين» و«توكيه»... دائماً أخلط بين هاتين الكلمتين. أظن أن إحداهما اسم لشراب هنغاري.

التفتت لوسي لدى الباب وقالت: الشراب الهنغاري هو توكيه،

ولكن هذه الكلمة من خمسة أحرف والأخرى من سبعة أحرف. ما هو المطلوب في الكلمات المتقاطعة؟

قالت الآنسة ماربل بشيء من الغموض: آه، هذا ليس في الكلمات المتقاطعة... إنه في رأسي.

حدق كرادوك إليها بثبات، ثم ودعها وخرج.

* * *

الفصل السابع عشر

اضطر كرادوك للانتظار بضع دقائق ريثما ينهي الطبيب عمله في العيادة مساء ذلك اليوم.

وأخيراً جاء كويمبر متعباً ومكتئباً فقدم لكرادوك فنجاناً من الشاي وأخذ هو الآخر فنجاناً له، وقال وهو يجلس على كرسي هزاز: مساكين... خائفون جداً وأغبياء جداً... بلا عقل! كانت عندي حالة مؤلمة هذا المساء؛ امرأة كان يجب أن تأتي إليّ قبل عام، ولو جاءت في ذلك الوقت لنجحت عمليتها، أما الآن فقد فات الوقت. إنه أمر يثير جنوني. الحقيقة أن الناس خليط عجيب من الشجاعة والجبن. لقد عانت من آلام مبرحة وتحملت ذلك دون أن تتكلم بكلمة واحدة لمجرد أنها كانت خائفة من المجيء إليّ حتى لا تتأكد من أن الذي كانت تخاف منه قد يكون حقيقة. وفي الناحية المقابلة يأتيني أناس ويضيعون وقتي بدعوى وجود انتفاخ في إصبعهم الصغير يسبب لهم ألماً شديداً يعتقدون أنه السرطان فيظهر في النهاية أنه تقرح عادي. أرجو أن تعذرني... لقد نفست عن غضبي. والآن، ما الذي تريد رؤيتي من أجله؟

- أولاً، جئت أشكرك لأنك أشرت على الآنسة كراكثورب

بالمجيء إليّ لتخبرني عن أمر تلك الرسالة التي يفترض أنها وصلتها من أرملة أخيها.

- آه، هل فيها شيء؟ لم أنصحها بالذهاب إليك بالضبط؛ فهي التي أرادت ذلك. كانت قلقة، وبالطبع حاول كل إخوتها ثنيها عن ذلك.

- ولماذا؟

رفع الطبيب كتفيه حيرة وقال: أحسبهم كانوا خائفين من أن تثبت صحة دعوى السيدة.

- وهل تعتقد أن الرسالة كانت حقيقية؟

- لا أعرف، والواقع أنني لم أرها أبداً. أظن أن كاتبة الرسالة تعرف الحقائق وقد أرادت تحقيق اتصال ما، ولعلها كانت تأمل التأثير على مشاعر إيما. وقد كانت مخطئة تماماً في ذلك؛ فإيما ليست بالحمقاء، وما كانت لتقبل الثقة بزوجة أخ مجهولة قبل أن تسألها بعض الأسئلة العملية.

ثم أضاف بنوع من الفضول: ولكن لماذا تسألني عن رأيي أنا؟ ليست لي علاقة بالأمر؟

- الحق أنني جئت لأسألك عن شيء مختلف تماماً... لكني لا أعرف تماماً كيف أعبّر عنه.

بدا الاهتمام على الدكتور كويمبر فقال المفتش: لقد علمت أن

السيد كراكثورب تعرض قبل فترة ليست بالطويلة، في عيد الميلاد كما أظن... لنوبة مرَضية شديدة.

ورأى أن وجه الطبيب قد تغير على الفور؛ فقد تصلبت ملامحه، وقال: نعم.

- فهمت أنها كانت اضطرابات معوية؟

- نعم.

- ولكن كان السيد كراكثورب يتباهى بصحته ويقول إنه لن يموت إلا بعد وفاة أولاده. وقد أشار إليك... أرجو أن تعذرني أيها الطبيب...

- آه، لا تهتم بشأني؛ أنا لا أتحسس مما يقوله عني مرضاي.

- قال إنك تبالغ وتهوّل الأمور، وقال إنك سألته جميع أنواع الأسئلة، ليس فقط عمّا أكله ولكن أيضاً عمّن أعد الطعام.

تغير وجه الطبيب مرة أخرى وقال: أكمل.

- لقد استخدم عبارة مثل: "تحدّث كما لو أنه كان يظن أن شخصاً قد وضع لي السم في الطعام". وسكت المفتش قليلاً ثم قال: هل كانت لديك أية شكوك من هذا النوع؟

لم يجبه كويمبر على الفور. نهض وسار في الغرفة جيئة وذهاباً، وأخيراً التفت إلى كرادوك وقال: ما الذي تتوقع مني قوله؟

أتظن أن بإمكان طبيب أن يلقي بالاتهامات هكذا جزافاً عند حدوث تسمم هنا وهناك دون وجود أي دليل حقيقي؟

- أردت أن أعرف -بشكل غير رسمي- إن كانت... تلك الفكرة قد خطرت على بالك؟

قال الدكتور كويمبر محاولاً التملص: إن كراكثورب العجوز يعيش حياته مقتصداً جداً. وعندما تأتي العائلة لزيارته، فتزيد إيما كمية الطعام. النتيجة... أوجاع في المعدة. كانت أعراض المرض متلازمة مع ذلك التشخيص.

ألح عليه كرادوك: فهمت. هل كنت مقتنعاً تماماً؟ ألم يحيرك الأمر أبداً؟

- حسناً، حسناً. بلى، لقد احترت. هل يرضيك هذا؟

- إنه يثير اهتمامي. ما الذي كنت تشك فيه أو تخشاه حقيقة؟

- إن أمراض المعدة تتنوع بالطبع، ولكن كانت توجد مؤشرات معينة تظهر عادة نتيجة وجود تسمم بالزرنيخ أكثر من ظهورها في حالات الاضطرابات المعدية العادية. تذكر بأن الحالتين متشابهتان كثيراً؛ وقد فشل أطباء أفضل مني في التعرف على وجود تسمم بالزرنيخ وأعطوا شهادات بذلك عن حسن نية.

- وما الذي أسفرت عنه تحرياتك.

- بدا لي أن ما اشتبهت فيه لا يمكن أن يكون صحيحاً. وقد أكد السيد كراكثورب لي بأن نوبات مرضية مشابهة قد داهمته قبل أن

أتولى أنا العناية به... وقال إنها كانت تنتج عن نفس السبب؛ تحدث دائماً عندما يوضع على المائدة دسم كثير.

- وهذا ما يحدث عندما يكون البيت مليئاً بأفراد العائلة أو بالضيوف؟

- نعم، إنه يبدو أمراً معقولاً. ولكنني -بصراحة- لم أكن مرتاحاً، حتى إنني كتبت إلى الدكتور موريس (الذي كان شريكي الأكبر وتقاعد بعد أن انضممت إليه بوقت قصير). كان كراكثورب مريضه بالأصل، وقد سألته عن تلك النوبات السابقة التي عانى منها العجوز.

- وماذا كانت إجابته؟

كشر كويمبر وقال: لقد وبخني بشدة. قال لي بألاّ أكون مغفلاً. ربما كنت مغفلاً فعلاً.

- أمر محير.

جلس كرادوك متأملاً ثم قرر أن يتكلم صراحة: نريد أن نتخلى عن التحفظ يا دكتور ونقول بأنه يوجد أناس يستفيدون من وفاة لوثر كراكثورب استفادة كبيرة.

أومأ الطبيب برأسه فأكمل كرادوك يقول: إنه رجل عجوز ولكنه في صحة جيدة، وقد يعيش حتى يتجاوز التسعين؟

- ممكن. إنه يقضي حياته في الاهتمام بنفسه، كما أن بنيته الجسمية سليمة.

- وإن أولاده... وابنته... يتقدمون في العمر، وهم جميعاً يشعرون بالغضب، أليس كذلك؟

- استثنِ إيما من هذا الأمر؛ فهي ليست ممن يدسون سماً. هذه النوبات لا تحدث له إلا عندما يكون أولاده الآخرون عنده.

قال المفتش في نفسه: "إن كانت هي الفاعلة فإنه إجراء احترازي لإبعاد الشبهة عنها". لكنه كان حريصاً على ألاّ يفصح عما في نفسه. سكت وهو يختار كلماته بعناية ثم قال: أنا جاهل بمثل هذه الأمور بالتأكيد، ولكن لنفترض -جدلاً- بأن الزرنيخ قد وضع لكراكثورب. ألم يكن محظوظاً لأنه لم يمت؟

أجابه الطبيب: إنها -بالضبط- الحقيقة التي جعلتني أرى بأنني أحمق كما وصفني العجوز موريس. واضح أنها ليست قضية جرعات صغيرة من الزرنيخ توضع بانتظام (وهي ما يمكنك تسميته بالأسلوب الكلاسيكي للتسمم بالزرنيخ). إن كراكثورب لم يعانِ من أية مشكلات مزمنة في المعدة. وبمعنى آخر، هذا ما يجعل نوبات المرض العنيفة والمفاجئة هذه تبدو غير مفهومة. وهكذا، إذا افترضنا أنها لا ترجع إلى أسباب طبيعية، فإن الأمر يبدو وكأن الذي يضع السم يخفق في كل مرة في عمله... وهو ما يبدو أمراً لا معنى له!

- هل تقصد بأنه يعطيه جرعة غير كافية؟

- نعم. ومن ناحية أخرى فإن بنية كراكثورب الجسمية قوية والجرعة التي يمكنها قتل رجل غيره قد لا تقتله. توجد دائماً صفات شخصية خاصة يجب أن يحسب لها حساب. لكنك ستقول بأن الذي

يضع السم لا بد أن يزيد من الجرعة بعد كل هذه التجارب... ما لم يكن جباناً جبناً غير عادي. فلماذا لم يفعل ذلك؟

ثم أضاف يقول: هذا إذا كان في الأمر فعلاً مجرم يضع السم، وهو أمر قد لا يكون صحيحاً. ربما كان هذا من فعل خيالي الشرير من البداية وحتى النهاية.

وافقه المفتش قائلاً: إنها مشكلة غريبة ولا يبدو لها أي معنى.

* * *

- مفتش كرادوك!

جفل المفتش من الصوت الهامس الذي يناديه حين كان على وشك ضرب جرس الباب. خرج ألكساندر وصديقه جيمس ستودارت من وراء الأشجار بحذر.

- سمعنا صوت سيارتك وكنا نريد الحديث معك.

- لندخل إذن.

مد كرادوك يده إلى الجرس ثانية، لكن ألكساندر جذبه من معطفه بلهفة شديدة وقال هامساً: لقد وجدنا دليلاً.

كرر صديقه جيمس العبارة: نعم، لقد وجدنا دليلاً.

قال كرادوك في نفسه: "تباً لتلك الفتاة!"، ثم قال دون مبالاة: رائع، هيا ندخل البيت لنلقي عليه نظرة.

ألح عليه ألكساندر قائلاً: كلا، سيقاطعنا شخص دون شك. تعال إلى غرفة عدة الخيول... سنرشدك إليها.

سمح كرادوك لنفسه كارهاً بأن يأخذه الصبيان إلى حيث أرادا، فداروا حول البيت وذهبوا إلى ساحة الإسطبلات. دفع جيمس باباً ثقيلاً وفتحه على مصراعيه ثم أضاء مصباحاً كهربائياً خافتاً. كانت غرفة عدة الخيل مستودعاً كئيباً لكل شيء لا يريده الإنسان، بعد أن كانت -فيما مضى- قمة في الترتيب الفكتوري القديم؛ كراسي حدائق مكسرة، وخردوات قديمة صدئة، وجزازة عشب قديمة مهترئة وفرشات، صدئت نوابضها، ومراجيح شبكية، وشباك تنس متفسخة.

قال ألكساندر: إننا نأتي إلى هنا كثيراً؛ إذ يمكن للمرء هنا المحافظة على الخلوة فعلاً.

كانت توجد علامات معينة على شغل هذه الغرفة؛ فقد كانت الفرشات البالية مصفوفة بعضها فوق بعض لتشكل نوعاً من الأريكة، وكانت هناك طاولة قديمة صدئة عليها علبة بسكويت بالشكلاطة، وكان هناك -أيضاً- عدد من حبات التفاح وعلبة حلويات ولعبة الصور المقطّعة.

قال جيمس بحماسة وعيناه تلتمعان خلف نظارته: إنه حقاً دليل يا سيدي... لقد عثرنا عليه بعد ظهر اليوم.

- كنا نبحث منذ أيام. بين الأشجار...

- وداخل جذوع الأشجار المنخورة...

- كما فتشنا صناديق القمامة...

- وقد وجدنا -في الواقع- الكثير من الأشياء المثيرة...

- ثم ذهبنا إلى غرفة المرجل...

- هيلمان يحتفظ هناك بحوض كبير مليء بأوراق قمامة...

- لكي يستخدمها في إشعال المرجل...

- يلتقط أي ورقة متطايرة عن الأرض ويحتفظ بها في ذلك الحوض...

- وهناك وجدنا دليلنا...

قاطعهما كرادوك: وجدتما ماذا؟

- الدليل. احذر يا جيمس، البس قفازيك.

لبس جيمس قفازين متسخين كما يحدث في الروايات البوليسية وأخرج من جيبه حافظةَ صورٍ، ومن الحافظة أخرج بحذر شديد مغلفاً مكوراً علاه التراب وسلمه إلى المفتش وهو يشعر بالفخر والعجب.

حبس الولدان أنفاسهما من شدة الإثارة. وأخذ كرادوك المغلف بما يناسب الموقف من جدية، فقد أحب الولدين وكان مستعداً للتفاعل مع موقفهما. كان المغلف مرسلاً بالبريد ولم تكن بداخله أي رسالة... كان مجرد مغلف ممزق لرسالة وُجهت إلى الآنسة مارتين كراكثورب، ١٢٦ إلفرز كرسنت، رقم ١٠.

قال ألكساندر لاهثاً: هل ترى؟ إنه يوضح أنها كانت هنا. أقصد

زوجة خالي إدموند الفرنسية... المرأة التي ثارت كل هذه الضجة حولها. لا بد أنها كانت هنا ثم اختفت في مكان ما. هكذا يبدو، أليس كذلك؟

قاطعه جيمس: يبدو أنها هي القتيلة. أقصد... ألا تعتقد يا سيدي أنها هي التي وُجدت جثتها في التابوت؟

ثم انتظرا إجابته بفارغ الصبر. وجاراهما كرادوك فقال: ممكن... ممكن جداً.

- أليس هذا المغلف مهماً؟

- هل ستفحصونه بحثاً عن بصمات الأصابع يا سيدي؟

قال كرادوك: بالطبع.

تنهد جيمس وقال: لقد حالفنا الحظ، أليس كذلك؟ وفي آخر يوم لنا هنا أيضاً.

- آخر يوم؟

قال ألكساندر: نعم، سأذهب إلى بيت جيمس غداً لقضاء الأيام الأخيرة من العطلة هناك. عائلته تملك بيتاً رائعاً... طراز «الملكة آن»، أليس كذلك يا جيمس؟

قال جيمس: بل طراز «وليَم وميري».

- كنت أظن أن والدتك قالت...

- أمي فرنسية، ولا تعرف من العمارة الإنكليزية شيئاً.

- ولكن والدك قال بأنه بنى...

كان كرادوك يتفحص الظرف. كان عملاً ذكياً من لوسي آيلسبارو، ولكن كيف نجحت في تزييف خاتم البريد؟ نظر إليه عن قرب لكن الضوء كان خافتاً جداً. كان متعة كبيرة للولدين بالطبع ولكنه كان مزعجاً له. تباً للوسي! إنها لم تفكر في هذه الناحية. إن كان هذا الظرف حقيقياً فإنه يفرض سلسلة من الإجراءات. كان يدور بجانبه نقاش ساخن بين الولدين حول العمارة، لكنه لم يسمع منه شيئاً.

- هيا يا أولاد، سنذهب إلى البيت. لقد ساعدتماني كثيراً.

* * *

الفصل الثامن عشر

رافق الولدان كرادوك وأدخلاه إلى البيت من الباب الخلفي الذي يبدو أنه كان باب الدخول المتعارف عليه بينهما. كان المطبخ لامعاً ونظيفاً، وكانت لوسي ترتدي مريلة بيضاء كبيرة وتعجن الفطائر، وكان برايان يستند إلى الخزانة ويرتبها باهتمام شديد وهو يعبث بشاربه الكبير الأشقر بيده.

قال ألكساندر: مرحباً يا أبي. جئتَ إلى هنا مرة ثانية؟

قال برايان: إنني أحب المجيء إلى هنا، والآنسة آيلسبارو لا تمانع.

قالت لوسي: آه، ليس عندي مانع. مساء الخير أيها المفتش كرادوك.

سأله برايان باهتمام: هل جئت لتفتيش المطبخ؟

- ليس كذلك بالضبط. أما زال السيد سدريك هنا؟

- آه، نعم، سدريك موجود. هل تريده؟

- أريد الحديث معه... نعم، أرجوك.

قال برايان: سأذهب لأرى إن كان في الداخل. ربما خرج في جولة في المنطقة.

قالت لوسي: شكراً لك كثيراً. إنني مشغولة بهذا العجين، وإلا لذهبت بدلاً منك.

سألها جيمس بلهفة: ماذا تصنعين؟

- فطائر الخوخ.

- لذيذة.

سألها ألكساندر: هل اقترب موعد العشاء؟

- لا.

- يا إلهي! إنني جائع جداً.

- توجد في الخزانة بقية كعكة الزنجبيل.

اندفع الولدان نحو الخزانة بقوة فتصادما عند الباب. قالت لوسي: إنهما جائعان دائماً.

قال كرادوك: تهانيّ لك.

- على ماذا... بالضبط؟

- عبقريتك؛ بخصوص هذا.

- بخصوص ماذا؟

أشار كرادوك إلى مغلف الرسالة وقال: عمل متقن.

- ما الذي تتحدث عنه؟

قال: "هذا يا عزيزتي... هذا". وأخرج نصف المغلف من جيبه، فحملقت فيه لا تفهم ما يقوله. أحس كرادوك بالارتباك فجأة وقال: ألم تزيفي هذا الدليل وتضعيه في غرفة المرجل من أجل أن يكتشفه الأولاد؟ أخبريني... بسرعة.

- لا أدري عمّاذا تتكلم. هل تعتقد أن... ؟

أعاد كرادوك المغلف إلى جيبه بسرعة عندما عاد برايان قائلاً: "سدريك في المكتبة؛ يمكنك الذهاب إليه". ثم عاد ووقف مستنداً إلى الخزانة من جديد، فيما ذهب المفتش كرادوك إلى المكتبة.

* * *

بدا سدريك مسروراً لرؤية المفتش الذي طمأنه قائلاً: أظن أن بإمكاننا القول بأننا تقدمنا قليلاً يا سيد كراكثورب.

- هل عرفتم صاحبة الجثة؟

- لم نستطع تحديد هويتها بدقة بعد، ولكن لدينا فكرة قوية حول الموضوع.

- جيد.

- بناء على آخر معلومات حصلنا عليها فإننا نود الحصول على بعض الأقوال، وسأبدأ معك بحكم أنك موجود هنا الآن.

- لن أبقى هنا طويلاً؛ بل سأعود إلى إيبيزا خلال يومين. هيا، قل ما عندك.

- كنت أريد سرداً تفصيلياً دقيقاً عن كل ما عملته يوم الجمعة العشرين من كانون الأول.

نظر سدريك إليه نظرة حادة وسريعة، ثم استند إلى ظهر كرسيه وتثاءب وتظاهر بعدم المبالاة وبدا وكأنه مستغرق في التفكير.

- كما قلت لك من قبل، لقد كنت في إيبيزا، والمشكلة هي أن الأيام هناك تتشابه كثيراً. الرسم في الصباح، القيلولة من الثالثة وحتى الخامسة بعد الظهر، وربما قمت برسم تخطيطي إن كان الضوء كافياً. بعد ذلك أتناول وجبة خفيفة. وأذهب في معظم الأمسيات إلى مقهى سكوتي مع أصدقائي من أبناء الطبقة الكادحة. هل يكفيك هذا؟

- أفضّلُ الحقيقة يا سيد كراكثورب.

انتصب سدريك في جلسته وقال: إنها أكثر الملاحظات إساءة أيها المفتش.

- هل تعتقد ذلك؟ لقد أخبرتني -يا سيد كراكثورب- بأنك غادرت إيبيزا يوم الحادي والعشرين من كانون الأول ووصلت إلى إنكلترا في نفس اليوم؟

- نعم، هذا صحيح. إيم... تعالي يا إيم.

جاءت إيما كراكثورب من باب غرفةٍ صغيرة مجاورة ونظرت إلى سدريك والمفتش نظرات تساؤل.

- اسمعيني يا إيم. لقد وصلتُ إلى هنا لقضاء عيد الميلاد يوم السبت الذي سبق عيد الميلاد، أليس كذلك؟ وقد جئت من المطار مباشرة؟

قالت إيما متحيرة: بلى، وصلت إلى هنا وقت الغداء تقريباً.

قال سدريك يخاطب المفتش: هذا يكفيك.

قال المفتش كرادوك مرحاً: لا بد أنك تعتقد بأننا أغبياء يا سيد كراكثورب. نحن نستطيع أن نتحقق من هذه الأشياء. أعتقد أنك لو أريتني جواز سفرك...

ثم سكت متوقعاً إجابة منه. قال سدريك: لم أتمكن من العثور على هذا الجواز اللعين. كنت أبحث عنه هذا الصباح؛ فقد أردت إرساله إلى شركة كوك.

- أظن أنك تستطيع العثور عليه يا سيد كراكثورب، لكنه ليس ضرورياً في الحقيقة؛ فالسجلات تُظهر أنك دخلت البلاد فعلاً مساء يوم التاسع عشر من كانون الأول. ربما أمكنك الآن أن تخبرني عن تحركاتك بين ذلك الوقت وساعة الغداء يوم الحادي والعشرين من الشهر عندما وصلت إلى هنا.

بدا سدريك مضطرباً أشد الاضطراب وقال بغضب: هذه هي لعنة الحياة هذه الأيام. كل هذا الروتين وتعبئة النماذج والاستمارات... هذا ما يأتي من الدولة البيروقراطية. لا تستطيع أن تذهب حيث تشاء وتفعل ما تريد؛ فالكل يطرح عليك الأسئلة! وبالمناسبة، ما كل هذه

الضجة التي تدور حول يوم العشرين من كانون الأول؟ ما الذي يميز هذا اليوم عن غيره من الأيام؟

- لقد صدف أن كان ذلك هو اليوم الذي نرى أن الجريمة ارتُكبت فيه. يمكنك رفض الإجابة بالطبع، ولكن...

- من الذي يقول إنني أرفض الإجابة؟ أعطني الوقت الكافي. لقد كنتم غير واضحين في جلسة التحقيق حول تاريخ حدوث الجريمة، فما هو الجديد الذي ظهر منذ ذلك اليوم؟

لم يجبه كرادوك.

قال سدريك وهو ينظر إلى إيما بطرف عينه: هل نذهب إلى الغرفة الأخرى؟

أسرعت إيما تقول: "سأترككما". وعند الباب توقفت والتفتت تقول: هذا أمر جدي يا سدريك كما تعلم... إن كان يوم العشرين هو اليوم الذي وقعت فيه الجريمة فيجب أن تخبر المفتش كرادوك عمّا كنت تفعله بالضبط.

فتحت الباب المجاور وخرجت ثم أغلقته وراءها. قال سدريك: إيم الطيبة... حسناً، هذا ما جرى. نعم، غادرت إيبيزا يوم التاسع عشر بالفعل، وقد أمضيت اليومين التاليين في لندن بصحبة امرأة كانت تربطني بها علاقة سابقة، وقد أقمت في فندق كينغزوي بالاس... هذا إذا لم يكشف جواسيسك هذا بعد! وقد انتحلت اسم جون براون؛ فلا يمكن للرجل استخدام اسمه الحقيقي في مثل هذه المواقف. وبعد يومين انطلقت إلى هنا متظاهراً بأنني وصلت من

مطار هيثرو لتوي. رأيت أنه لا حاجة بي لإزعاج إيما؛ فأنت تعرف طبيعة النساء... يتضايقن إذا لم تأت إلى البيت مباشرة. وقد تعين عليّ اقتراض نقود منها لأدفع أجرة السيارة لأنني كنت مفلساً تماماً. لم يكن من المفيد طلب ذلك من والدي فهو لا يدفع أبداً؛ إنه رجل عجوز بخيل. حسناً أيها المفتش، هل اقتنعت؟

عادت إيما وهي تحمل دفتر مواعيد صغيراً وقالت: هل تريد معرفة ما فعله كل واحد يوم العشرين من الشهر أيها المفتش؟ ها هي تحركاتي أنا.

- حسناً، نعم... آنسة كراكثورب.

- في يوم العشرين ذهبت إلى براكهامبتن وتناولت الغداء مع الليدي أدينغتن والآنسة بارتليت في مقهى كادينا. ثم قمت بشراء بعض الأغراض والهدايا لعيد الميلاد. ذهبت إلى محلات غرين فورد ولايال وسويفت وعدة محلات أخرى، ثم تناولت الشاي في مقهى في الساعة الخامسة إلا ربعاً، وبعدها ذهبت إلى المحطة لاستقبال برايان الذي كان قادماً بالقطار. وصلت إلى البيت في الساعة السادسة تقريباً، ووجدت والدي في حالة مزاجية سيئة. كنت قد تركت له الغداء جاهزاً لكن السيدة هارت التي كان يفترض أن تأتي بعد الظهر وتقدم له الشاي لم تصل. كان غاضباً جداً بحيث أغلق على نفسه باب غرفته ولم يسمح لي بالدخول أو يتكلم معي. لم يكن يحب خروجي من البيت بعد الظهر ولكني أتعمد فعل ذلك من وقت لآخر.

- أنت امرأة حصيفة. أشكرك يا آنسة كراكثورب.

لم يستطع إخبارها -بأنها نتيجة كونها امرأة- فإن حركاتها بعد ظهر ذلك اليوم لم تكن تعنيه كثيراً.

سألته هي: "هل يمكنني معرفة..."، ترددت قليلاً ثم أكملت: ما الذي جدّ من أحداث تطلبت إجراء هذه التحريات؟

أخرج كرادوك المغلف من جيبه باستخدام أطراف أصابعه وقال: لا تلمسيه من فضلك، ولكن، هل رأيت هذا؟

حملقت إيما وهي تقول محتارة: ولكن... هذا خطي أنا. إنها الرسالة التي كتبتها لمارتين.

- هذا ما ظننته أيضاً.

- ولكن كيف حصلتَ عليها؟ هل هي... هل وجدتموها؟

- يبدو ممكناً أننا... وجدناها. هذا الظرف الفارغ عُثر عليه هنا.

- في البيت؟

- في ملحقاته.

- إذن فقد جاءت إلى هنا بالفعل! إنها... أتعني... أن مارتين هي التي وُجدت هناك... في التابوت؟

قال كرادوك: يبدو ذلك محتملاً.

وقد بدا الأمر أكثر احتمالاً عندما عاد إلى المدينة؛ فقد كانت في انتظاره رسالة من صديقه دوسان، وكان فيها:

واحدة من صديقات آنا سترافنسكا تلقت منها بطاقة معايدة. واضحٌ أن قصة الرحلة كانت صحيحة؛ فقد وصلت إلى جامايكا وهي تقضي وقتاً رائعاً!

كور كرادوك الرسالة وألقاها في سلة المهملات!

* * *

قال ألكساندر وهو يجلس على سريره متأملاً: أظن أن هذا أروع يوم عشته... أن تجد دليلاً حقيقياً يحل لغز جريمة!

كان صوته منفعلاً، ثم أضاف بسعادة: الواقع أن العطلة كلها كانت مثيرة. لا أظن أن هذا الأمر سيتكرر ثانية أبداً.

قالت لوسي التي كانت تقف بالقرب منه وترتب له ثيابه في الحقيبة: أرجو ألاّ يحدث ذلك لي ثانية. هل تريد أخذ كل هذه القصص الخرافية عن الفضاء معك؟

- لا أريد هاتين القصتين اللتين في الأعلى؛ فقد قرأتهما. وكرة القدم وحذاء اللعب يمكن أخذهما فيما بعد.

- أنتم -أيها الأولاد- تسافرون حاملين معكم أشياء لا تطاق!

- لا يهم. سيرسلون لنا سيارة الرولز. لديهم سيارة رولز رائعة، كما أن عندهم سيارة مرسيدس جديدة.

- لا بد أنهم أغنياء!

- كما أنهم لِطاف جداً، ومع ذلك أتمنى لو أننا لا نغادر هذا المكان؛ فقد تظهر جثة أخرى.

- أرجو ألاّ يحدث هذا.

- هذا ما يحدث غالباً في القصص إذ تجدين شخصاً رأى أو سمع شيئاً فيُقتل هو الآخر. قد يكون ذلك الشخص أنت...

- شكراً لك!

طمأنها ألكساندر قائلاً: لا أريده أن يكون أنت . إنني أحبك كثيراً وكذلك جيمس، ونحن نعتقد أنك أفضل طاهية في العالم. طعامك رائع ولذيذ... كما أنك امرأة واعية جداً.

كان واضحاً أن الكلمات الأخيرة هذه تعبّر عن استحسان كبير. فهمته لوسي هكذا وقالت : شكراً لك، لكني لا أريد أن أُقتل لمجرد إمتاعك.

قال ألكساندر: إذن من الأفضل أن تحذري.

سكت لِيلْتَهم بعض الشكلاطة ثم قال بعفوية: إنْ جاء أبي إلى هنا من وقت لآخر فإنك ستعتنين به، أليس كذلك؟

أجابته لوسي وقد فوجئت بعض الشيء: بلى، بالطبع.

قال ألكساندر: "مشكلة والدي هي أن حياة لندن لا تناسبه". ثم هز رأسه والضيقُ بادٍ عليه وأضاف: أنا أحبه كثيراً، ولكنه يحتاج لمن يهتم به. إنه يتسكع ويختلط بأناس غير لائقين. من المحزن أن تموت والدتي في ذلك الوقت... إن والدي بحاجة لحياة عائلية صحيحة.

نظر إلى لوسي نظرات وقار ومد يده لأخذ قطعة شُكلاتة أخرى.
قالت لوسي: لا تأخذ قطعة رابعة يا ألكساندر؛ سوف تمرض.

- آه، لا أظن ذلك. لقد أكلت ست قطع ذات مرة ولم أمرض؛ فلست من أصحاب الأجسام الضعيفة.

سكت قليلاً ثم قال: إن أبي معجب بك.

- هذا لطف بالغ منه.

قال ألكساندر عن أبيه: أحياناً يبدو مغفلاً بعض الشيء، لكنه كان مقاتلاً شجاعاً. إنه شجاع جداً، كما أنه طيب جداً.

سكت. ثم رفع عينيه إلى السقف وقال وكأنه يخاطب نفسه: أعتقد أنه سيكون عملاً طيباً لو تزوج ثانية... بامرأة محترمة. أنا -شخصياً- لا أمانع في أن تكون لي زوجة أب، على أن تكون محترمة بالطبع.

أدركت لوسي -بشيء من الصدمة- بأن حديث ألكساندر له مغزى واضح. وأكمل ألكساندر قوله وهو لا يزال يخاطب السقف: كل هذا الكلام الفارغ عن زوجة الأب قد بات قديماً. الكثير من الأولاد الذين أعرفهم لهم زوجات أب، وعلاقاتهم بهن جيدة. الأمر يعتمد على زوجة الأب بالطبع، كما أن الأمر يؤدي إلى القليل من الاضطراب عند الخروج معهن لحضور احتفال في المدرسة أو اليوم الرياضي أو غير ذلك... أقصد إن حضرت الأم وزوجة الأب في آن واحد. ولكن قد تكون في ذلك فائدة إذا ما أراد المرء جمع المال من الطرفين!

ثم سكت وهو يفكر بمشكلات الحياة العصرية، وعاد ليقول: جميل أن يكون للإنسان بيته الخاص ووالداه... ولكن إذا ماتت أمك... فهذا خارج عن إرادة المرء، أتفهمينني؟ عندها لا بأس بامرأة الأب، إن كانت امرأة محترمة.

قالها ألكساندر للمرة الثالثة.

أحست لوسي بالتأثر وقالت: أظن أنك فتى واعٍ يا ألكساندر. يجب أن نحاول العثور على زوجة لطيفة طيبة لوالدك.

رد عليها ألكساندر بشكل آلي: "نعم". ثم أضاف يقول بعفوية: لقد حسبت أنني ذكرت لك ذلك لتوي. إن والدي معجب بك كثيراً. هو قال لي ذلك...

فكرت لوسي في نفسها: "حقاً! الكثير من محاولات الخطوبة تجري هنا. أولاً الآنسة ماربل، والآن ألكساندر!"... ولسبب أو آخر تذكرت لوسي الحظائر. وقفت وقالت: طابت ليلتك يا ألكساندر، لم يبقَ لديك إلا أدوات الاغتسال ولباس النوم تضعها في حقيبتك في الصباح. تصبح على خير.

قال ألكساندر: "تصبحين على خير". ثم انسل تحت الغطاء ووضع رأسه على الوسادة وأغمض عينيه معطياً صورة مثالية لملاك نائم، وغط على الفور في سبات عميق.

* * *

الفصل التاسع عشر

كان في رذرفورد هول اجتماع لعائلة كراكثورب حيث كان هارولد وألفرد قد وصلا من لندن لهذا الغرض، وسرعان ما علت الأصوات وازداد التوتر.

وبمبادرة منها، أعدت لوسي الشراب وأخذته إلىَ المكتبة. كانت الأصوات مسموعة من الصالة بوضوح وكانت تشير إلى أن أفراد العائلة يوبخون إيما توبيخاً قاسياً.

كان هارولد يقول غاضباً: كل ما حدث نتيجة خطئك أنت يا إيما. لا أدري كيف يمكن أن تكوني على هذا القدر من الحماقة وقصر النظر. لو لم تأخذي تلك الرسالة إلى شرطة سكوتلانديارد...

قال ألفرد بصوته العالي: لا بد أنك فقدت عقلك وقتها!

قال سدريك: كفاكم هجوماً عليها. ما حدث قد حدث. كان أمراً مثيراً للريبة أكثر لو تعرفوا إلى الجثة باعتبارها لمارتين بينما سكتنا جميعاً ولم نعترف أننا تلقينا منها رسالة.

رد هارولد غاضباً: كل شيء جيد بالنسبة لك يا سدريك؛ فقد

كنت خارج البلد يوم العشرين من الشهر، وهو ما يبدو اليوم الذي يقومون بالتحري عنه. لكن الوضع محرج جداً بالنسبة لألفرد ولي. ولحسن الحظ، فإنني أستطيع أن أتذكر أين كنت بعد ظهر ذلك اليوم وماذا كنت أفعل.

قال ألفرد: أنا واثق من استطاعتك ذلك. إذا كنت قد خططت لجريمة قتل -يا هارولد- فأنا واثق أنك ستخطط بكل عناية لتلفيق دليل غياب عن مكان الجريمة.

- إذا كنت تلمح أني قتلت المرأة...

صاحت إيما: آه، اسكتوا أرجوكم، كلكم. لم يقتلها أي واحد منكم بالطبع.

قال سدريك: ولمعلوماتكم، فإنني لم أكن خارج إنكلترا يوم العشرين، وقد عرف الشرطة ذلك! ولذلك فإننا جميعاً في دائرة الشبهات.

- لولا أن إيما...

صاحت إيما: آه، لا تبدأ بلومي من جديد يا هارولد.

خرج الدكتور كويمبر من المكتب حيث كان يتحدث مع السيد كراكنثورب العجوز على انفراد فوقعت عينه على إبريق الشراب الذي كانت تحمله لوسي: ما هذا؟ احتفال؟

- شراب لتهدئة غضبهم؛ إنهم في حالة هيجان وصراخ.

- تبادل اتهامات؟

- معظم كلامهم تقريع لإيما.

ارتفع حاجبا الدكتور كويمبر وقال: "حقاً؟". ثم أخذ الإبريق من يد لوسي وفتح باب المكتبة ودخل.

- مساء الخير.

- آه، دكتور كويمبر... كنت أود الحديث معك.

كان ذلك صوت هارولد عالياً وغاضباً. أكمل يقول: أنا أرغب في معرفة قصدك من التدخل في مسألة خاصة وعائلية، ومن نصيحتك لأختي بالذهاب إلى سكوتلانديارد بخصوص هذا الأمر.

رد عليه الدكتور كويمبر بهدوء: لقد طلبت الآنسة إيما نصيحتي، فنصحتها، وباعتقادي فإن الذي فعلته هو عين الصواب.

- أنت تجرؤ على القول أن...

- يا بنت!

كانت تلك هي تحية العجوز كراكثورب المعتادة، وقد قالها وهو يخرج رأسه من باب المكتب خلف لوسي. التفتت لوسي بشيء من التردد وقالت: نعم يا سيد كراكثورب؟

- ماذا ستقدمين لنا على العشاء هذه الليلة؟ أريد الكاري. إن الكاري الذي تصنعينه ممتاز. لقد مضى علينا وقت طويل لم نتناول فيه الكاري.

- الأولاد لا يحبون الكاري كثيراً.

- الأولاد... الأولاد. وماذا يهم الأولاد؟ أنا الذي يهم. وعلى أية حال فقد ذهب الأولاد... وحسناً فعلوا.

- حسناً يا سيد كراكتشورب، لك ما تريد.

- جيد، أنت فتاة طيبة يا لوسي. إنك تعتنين بي، وسوف أعتني بك.

عادت لوسي إلى المطبخ. تخلت عن فكرة الدجاج الذي أرادت عمله وبدأت في إعداد الكاري. سمعت صوت الباب الأمامي وهو ينغلق وشاهدت من النافذة الدكتور كويمبر وهو يمشي غاضباً إلى سيارته ثم ينطلق بها. تنهدت لوسي. لقد اشتاقت إلى الأولاد، كما اشتاقت -على نحو- ما إلى برايان أيضاً.

آه، جيد. جلست وبدأت بتقشير الفطر. ستقدم للعائلة عشاء لذيذاً على أية حال؛ فهي تريد أن تطعم هذه الوحوش!

* * *

كانت الساعة الثالثة صباحاً عندما أوقف الدكتور كويمبر سيارته وأغلق أبوابها ودخل ثم أغلق الباب وراءه بضجر. لقد ساعد السيدة سيمبكنز في ولادة توأمين جميلين لتضيفهما إلى عائلتها المكونة من ثمانية. ولم يعبر السيد سيمبِكنز عن فرحته بقدوم التوأمين، بل قال عابساً: "توأمان؟ ما فائدتهما؟ لو كانوا أربعة توائم لوجدنا لهم بعض الفائدة؛ إذ ستصلنا عندها مختلف أنواع الهدايا، وستأتي الصحافة إلى بيتي وينشرون صورنا في الصحف... ويقال إن صاحبة الجلالة ترسل برقية تهنئة في مثل هذه الحالات".

صعد الدكتور كويمبر إلى غرفة نومه وبدأ يخلع ثيابه. نظر إلى ساعته... الثالثة وخمس دقائق. لقد كانت عملية إخراج التوأمين إلى الحياة دقيقة جداً وتطلبت حذراً شديداً، لكن كل شيء سار على ما يرام. تثاءب؛ إذ كان مرهقاً... مرهقاً جداً، ونظر إلى سريره نظرات اشتياق.

ثم رن جرس الهاتف. شتم الدكتور كويمبر ودمدم ثم رفع السماعة.

- دكتور كويمبر؟

- معك.

- أنا لوسي آيلسبارو من رذرفورد هول. من الضروري أن تأتي إلينا. يبدو أن الجميع سقطوا مرضى.

- سقطوا مرضى! كيف؟ ما هي الأعراض؟

أخبرته لوسي عن الأعراض بالتفصيل، فردّ قائلاً: "سأكون عندكم فوراً. وفي غضون ذلك..."، ثم أعطاها بعض التعليمات القصيرة.

أسرع إلى ارتداء ثيابه ثانية وألقى ببعض الأشياء الإضافية في حقيبة الطوارئ التي يحملها ونزل إلى سيارته مسرعاً.

* * *

بعد ثلاث ساعات تقريباً كان الطبيب يجلس مع لوسي،

وكلاهما في حالةٍ من التعب والإعياء الشديدين، ووراء طاولة المطبخ ليشربا فنجانين كبيرين من القهوة.

قال الدكتور كويمبر بعد أن شرب فنجانه ووضعه على الطاولة: كنت بحاجة لهذا. والآن يا آنسة آيلسبارو، هيا نناقش الوقائع التي حدثت.

نظرت إليه لوسي. كانت خطوط الإجهاد واضحة على وجهه مما جعله يبدو أكبر سناً من حقيقته. قال: يمكنني القول إنهم سيكونون بخير الآن. ولكن كيف حدث ذلك... هذا ما كنت أريد معرفته. من الذي طبخ العشاء؟

قالت لوسي: أنا.

– وماذا كان؟ بالتفصيل.

– حساء الفطر، ودجاج بالكاري وأرز، وقشدة محلاة، ومتبلات من كبد الدجاج واللحم.

– حسناً، لنناقش الأمر. حساء الفطر... أحسب أن الفطر كان معلباً؟

– كلا بالتأكيد؛ أنا طبخته.

– أنت طبختِه من ماذا؟

– نصف رطل فطر ومرق الدجاج وحليب وزبدة ودقيق وعصير الليمون.

- آه، يُفترض أن يقول المرء أن المشكلة بسبب الفطر.

- لم تكن من الفطر. لقد شربت بنفسي من هذا الحساء، وأنا بخير ولم أشعر بشيء.

- والدجاج بالكاري... هل تناولت منه شيئاً؟

- لا. عندما تطبخ شيئاً بالكاري فإنك تشبع من الرائحة. لقد تذوقته بالطبع؛ تناولت شيئاً من الحساء والقشدة المحلاة.

- وكيف قدمت القشدة؟

- في أكواب مستقلة.

- والآن، كم من هذه الأطباق قد رفع عن المائدة؟

- إن كنت تقصد غسلها، فقد غُسلت كل الأطباق ووُضعت في الخزانة.

قال الدكتور كويمبر متأففاً: هذا ما يسمونه وسوسة النظافة.

- نعم، أستطيع أن أرى ذلك الآن، ولكن هذا ما حدث.

- ما الذي بقي عندك؟

- لقد بقي شيء من الكاري، وكنت أريد استخدامه في إعداد حساء الدجاج هذا المساء، كما بقي بعض من حساء الفطر. لم يبق من القشدة شيء ولا من المقبلات.

- سآخذ الكاري والحساء. ماذا عن الصلصة؟ هل تناولوا صلصة مع الطعام؟

- نعم، في واحد من هذه الأطباق الفخارية.

- سآخذ شيئاً منها أيضاً.

نهض وقال: سأصعد لألقي عليهم نظرة أخرى. بعد ذلك، هل يمكنك المحافظة على الأشياء كما هي حتى الصباح؟ راقبيها جيداً! سأرسل ممرضة مع كل التعليمات الساعة الثامنة.

- أرجو أن تصارحني. هل تظن أنه تسمم غذائي عارض أم... أم عملية تسميم؟

- الأطباء لا يمكنهم الظن، يجب أن يتأكدوا. إذا ظهرت نتيجة من عينات الطعام هذه أستطيع مواصلة العمل، وإلا...

كررت لوسي قائلة: وإلا؟

وضع الدكتور كويمبر يده على كتفها وقال: اعتني بإثنين على وجه الخصوص. اعتني بإيما؛ فلا أريد أن يحدث لها أي شيء.

كان في صوته عاطفة ليس بالإمكان إخفاؤها، ثم أكمل قائلاً: إنها تعني لي الكثير. أنا لم أخبرها بهذا لكني سأفعل... أرجو أن تعتني بها.

قالت لوسي: تأكد أنني سأفعل.

- واعتني بالرجل العجوز أيضاً. لا يمكنني القول إنه كان مريضي المفضل، لكنه مريضي. وتبأ لي إذا تركته يموت لأن بعض أولاده يريدون موته حتى يحصلوا على المال.

* * *

بدا المفتش بيكون منزعجاً. قال: الزرنيخ؟ الزرنيخ؟

- نعم، كان في الكاري. ها هي بقيته حتى تفحصوه. لقد اختبرت شيئاً بسيطاً منه اختباراً سريعاً، لكن النتيجة كانت قاطعة تماماً.

- يوجد -إذن- قاتل يدس سمومه؟

قال الدكتور كويمبر: يبدو الأمر كذلك.

- كلهم تأثروا -كما تقول- باستثناء الآنسة آيلسبارو؟

- باستثناء الآنسة آيلسبارو.

- يبدو أمراً يثير الريبة حولها.

- وما هو الدافع الذي قد يكون عندها؟

قال بيكون: ربما كانت مجنونة، فبعض المجانين يبدون طبيعيين، ولكنهم يفقدون عقولهم أحياناً.

- الآنسة آيلسبارو لم تفقد عقلها. إذا أردت شهادتي كطبيب، فإنني أقول بأنها عاقلة مثلي ومثلك. إذا كانت الآنسة آيلسبارو تطعم العائلة زرنيخاً في الكاري فإنها تفعل ذلك لسبب. وبسبب كونها فتاة ذكية جداً، فإنها ستكون حريصة على ألاّ تكون هي الوحيدة التي لم تتأثر به. إن ما كانت ستفعله أو ما سيفعله أي قاتل ذكي هو أن يتناول شيئاً قليلاً جداً من الكاري المسموم ثم يبالغ في إظهار الأعراض.

- وعندها لن تستطيع معرفة الحقيقة؟

- حقيقة أن شخصاً قد تناول كمية من الزرنيخ أقل من الآخرين؟ ربما لا.

- إذن قد يكون...

سكت المفتش بيكون ليعزز فكرته ثم قال: قد يكون واحد من العائلة يبالغ في مرضه أكثر من الطبيعي... شخص يشاطر الآخرين المرض ليبعد عن نفسه الشبهة؟ ما رأيك بهذا؟

- لقد خطرت لي هذه الفكرة، وهذا ما جعلني أبلغك. القضية بيدك الآن. لقد أحضرت ممرضة أثق بها لتقوم على رعايتهم، ولكنها لا تستطيع أن تكون في أكثر من مكان واحد في وقت واحد.

- إن أحداً منهم لم يتناول كمية تكفي لقتله، فهل أخطأ القاتل في عمله؟

- كلا. يبدو لي أن الأكثر احتمالاً أن الفكرة هي وضع كمية من الزرنيخ في الكاري كافية لإحداث علامات تسمم غذائي... حتى يوجه اللوم إلى شرائح الفطر؛ فالناس يتنابهم دائماً هاجس التسمم من تناول الفطر. ثم قد تسوء حالة واحد منهم ويموت.

- بعد أن يُعطى جرعة ثانية من السم؟

أومأ الطبيب موافقاً وقال: نعم، وهذا ما جعلني أضع ممرضة خاصة لترعاهم وأبلغك على الفور.

- وهل تعرف ممرضتك عن الزرنيخ؟

- بالطبع، وكذلك الآنسة آيلسبارو.

رن الهاتف على مكتب المفتش. رفع السماعة وقال: حسناً، صلني بها.

ثم قال يخاطب كويمبر: ممرضتك على الهاتف. نعم، مرحباً... أنا معك. ماذا تقولين؟ انتكاسة خطيرة... نعم، الدكتور كويمبر معي الآن... إذا كنت تريدين الحديث معه.

سلم السماعة للطبيب.

- كويمبر معك... فهمت... نعم، سنأتي فوراً.

وضع السماعة والتفت إلى بيكون وقال: عمّن تتكلم؟

- عن ألفرد... وقد مات.

* * *

الفصل العشرون

جاء صوت كرادوك عبر الهاتف حاداً ويبدو أنه لم يصدق ما سمعه. قال: ألفرد؟ ألفرد؟

قال بيكون وهو يبعد سماعة الهاتف قليلاً: ألم تتوقع هذا؟

- لم أفعل. الواقع أنني حسبته القاتل!

قال المفتش بيكون: نعم، إن هذا سيء. لقد بدا وكأننا قد عثرنا على الشخص المطلوب.

قال كرادوك ببرود: حسناً، كنا مخطئين.

سكت الاثنان لحظة، ثم سأله كرادوك: كانت هناك ممرضة مسؤولة. كيف أخطأت؟

- لا تستطيع لومها. كانت الآنسة آيلسبارو مرهقة وذهبت للنوم بعض الوقت، وكانت ممرضة تسهر على خمسة مرضى في وقت واحد: الرجل العجوز، وإيما، وسدريك، وهارولد، وألفرد. لم يكن باستطاعتها السهر عليهم جميعاً في وقت واحد، ويبدو أن

العجوز كراكنثورب قد أحدث ضجة كبيرة وقال بأنه يموت فذهبت إليه لتهدئته، ثم عادت وأعطت ألفرد بعض الشاي مع الغلوكوز... شربه وحدث ما حدث.

- الزرنيخ مرة أخرى؟

- يبدو ذلك. قد تكون انتكاسة بالطبع، لكن كويمبر لا يعتقد هذا.

قال كرادوك بارتياب: أتساءل إن كان مقصوداً أن يكون ألفرد هو الضحية!

بدا بيكون مهتماً بالأمر. قال: أتعني بأن وفاة ألفرد لا تفيد أحداً بشيء وأن وفاة العجوز ستفيدهم جميعاً؟ نعم، أظن أنها قد تكون غلطة، فربما اعتقد الفاعل بأن الشاي سيقدم للرجل العجوز.

- هل تم التأكد من أن تلك هي الطريقة التي دُسَّ فيها السم؟

- كلا؛ فالممرضة (مثل أي ممرضة جيدة أخرى) غسلت كل الأدوات المستعملة: الفناجين والملاعق وإبريق الشاي وكل شيء... لكنها تبدو الطريقة الوحيدة الممكنة.

- هل تعني أن واحداً من المرضى لم يكن مريضاً كالآخرين وانتهز فرصته فوضع السم في الفنجان؟

قال المفتش بيكون عابساً: حسناً، لن يحدث مزيد من الأعمال الغريبة بعد الآن. لقد وضعنا ممرضتين في البيت الآن ناهيك عن الآنسة آيلسبارو، كما أن لديّ رجلين أيضاً هناك. هل أنت قادم؟

- في أسرع وقت!

* * *

جاءت لوسي آيلسبارو إلى الصالة للقاء المفتش كرادوك وقد بدت شاحبة مرهقة. قال كرادوك: لا شك أنك عشت أوقاتاً عصيبة.

- بدا الأمر أشبه بكابوس طويل مخيف. الحق أنني اعتقدت في الليلة الماضية بأنهم يُحتضرون جميعاً.

- بخصوص هذا الكاري...

- أكان ذلك من الكاري؟

- نعم، وقد أضيف إليه الزرنيخ بطريقة بارعة.

- إن كان هذا صحيحاً فلا بد... يجب أن يكون الفاعل واحداً من العائلة.

- هل يوجد أي احتمال آخر؟

- كلا، لقد بدأتُ أعد ذلك الكاري التعِس في وقت متأخر... بعد الساعة السادسة... لأن السيد كراكثورب طلب الكاري على وجه الخصوص. وكان عليّ فتح علبة جديدة من مسحوق الكاري؛ ولذلك فإن المسحوق لا يمكن أن يكون قد تم العبث به. أحسب أن من شأن الكاري أن يخفي طعم الزرنيخ، أليس كذلك؟

رد عليها كرادوك وهو شارد الذهن: الزرنيخ ليس له أي طعم.

أيٌّ منهم كانت له فرصة للوصول إلى الكاري أثناء طبخه؟

- الواقع أن أي واحد منهم كان بوسعه التسلل إلى المطبخ بينما كنت أجهز المائدة في غرفة الطعام.

- فهمت. من كان في البيت وقتها؟ السيد كراكثورب الأب، إيما، سدريك...

- هارولد وألفرد، وقد وصلا من لندن بعد الظهر. آه، وبرايان أيضاً.

قال كرادوك متأملاً: قد يرتبط هذا بمرض الرجل العجوز ليلة العيد، ولقد شك كويمبر بأن ذلك كان بسبب الزرنيخ. هل بدا الجميع على نفس الدرجة من المرض ليلة أمس؟

فكرت لوسي ثم قالت: أعتقد أن السيد كراكثورب الأب بدا أسوأهم، وقد توجب على الدكتور كويمبر أن يعالجه كالمجنون. سدريك كان أكثرهم ضجة إلى حد بعيد... إن أصحاب الصحة الجيدة يفعلون ذلك دائماً.

- وماذا عن إيما؟

- كانت في حالة سيئة جداً.

قال كرادوك: ترى لماذا ألفرد؟

قالت لوسي: أتساءل إن كان ألفرد هو المقصود؟

- غريب... لقد تساءلت -أنا أيضاً- هذا التساؤل!

- يبدو ذلك تصرفاً لا هدف له إلى حد ما.

- لو أتيح لي فقط أن أعرف الدافع وراء ذلك كله... لا يبدو أن بين الأمور رابطاً؛ فلو فرضنا أن المرأة القتيلة هي مارتين أرملة إدموند كراكتشورب (وقد ثبت هذا إلى حد بعيد الآن) فلا بد من وجود صلة بين ذلك وبين وضع السم عمداً لألفرد. الأمر كله هنا... في العائلة.

- هذا صحيح.

قال كرادوك محذراً: حسناً، حذارِ على نفسك. تذكري أن في هذا البيت قاتلاً، كما أن واحداً من مرضاك الراقدين في الطابق العلوي ربما لا يكون مريضاً كما يتظاهر.

صعدت لوسي إلى الطابق العلوي مرة أخرى بخطوات متثاقلة بعد مغادرة كرادوك. ناداها صوتٌ بنبرة آمرة قد أضعفها المرض عندما مرت من أمام غرفة السيد كراكتشورب الأب.

-يا بنت... يا بنت... أهذا أنت؟ تعالي هنا.

دخلت لوسي الغرفة. كان السيد كراكتشورب راقداً على سريره وتحت رأسه عدد من الوسائد، ولاحظت لوسي أنه بدا فرحاً بالنسبة لرجل مريض. قال متذمراً: البيت مليء بالممرضات الفظيعات. يمشين ويتبخترن هنا وهناك، ويأخذن درجة حرارتي، ولا يقدمن لي ما أريد أن آكله... لا بد أن ذلك يكلف كثيراً. أخبري إيما بأن تطردهن. بوسعك أنت أن تعتني بي جيداً.

قالت لوسي: الجميع مريض سيد كراكثورب. لا أستطيع السهر على الجميع كما تعرف.

قال الرجل العجوز: "الفطر... الفطر طعام خطير جداً. إنه الحساء الذي شربناه الليلة". ثم أضاف على صورة اتهام: أنت التي صنعته.

- لم يكن بالفطر أي شيء يا سيدي.

- أنا لا ألومك يا فتاة... لا ألومك. لقد حدث ذلك من قبل. تدخل في الطبخة خطأً حبة فطر لعينة مسمومة فيحدث ما يحدث... لا أحد يمكنه أن يعرف. أعرف أنك فتاة جيدة وما كنت ستفعلين ذلك متعمدة. كيف حال إيما؟

- تحسنت حالتها كثيراً بعد ظهر اليوم؟

- آه، وهارولد؟

- تحسن هو الآخر.

- ما هذا الذي يقال عن ألفرد بأنه مات؟

- يُفترض أن أحداً لم يخبرك بذلك يا سيد كراكثورب.

ضحك السيد كراكثورب ضحكة مدوية عالية باستمتاع شديد وقال: إنني أسمع... لا يمكنكم منع الرجل العجوز من معرفة ما يجري... لقد حاولوا ذلك. إذن فقد مات ألفرد، أليس كذلك؟ لن يعيش عالةً عليّ بعد الآن، كما أنه لن يحصل على أي مال. هم جميعاً

ينتظرون موتي، والفرد على وجه الخصوص، وها هو قد مات الآن. إنني أسمي ذلك طرفة جيدة.

قالت لوسي بعنف: هذا ليس لطفاً من جانبك يا سيد كراكثورب.

ضحك السيد كراكثورب ثانية وصاح يقول: سأعيش حتى يموتوا جميعاً... سترين ذلك يا فتاتي، سترين.

ذهبت لوسي إلى غرفتها لتبحث في قاموس المترادفات عن معنى «تونتاين»... وجدت الكلمة؛ إنها مرادف لعبارة «التأمين التكافلي». ثم أغلقت الكتاب وهي تتأمل.

* * *

قال الدكتور موريس غاضباً: لا أفهم ماذا تريد مني.

رد عليه المفتش كرادوك: كنت تعرف عائلة كراكثورب منذ فترة طويلة.

- نعم، نعم، كنت عرفت العائلة كلها. أتذكّر العجوز جوسيا كراكثورب؛ كان رجلاً ذكياً كادحاً وجمع ثروة كبيرة.

نظر إلى المفتش كرادوك نظرات ارتياب وقال: إذن فقد استمعت إلى كلام ذلك الطبيب الأحمق الشاب كويمبر. يا لهؤلاء الأطباء الشبان المتحمسين؛ دائماً تدور أفكار غريبة في أذهانهم! لقد وضع في رأسه أن شخصاً حاول تسميم لوثر كراكثورب. هراء...

ميلودراما! لقد عانى من نوبات معوية بالطبع، وقد عالجته منها، ولم يكن فيها ما يريب.

قال كرادوك: يبدو أن الدكتور كويمبر يشتبه في الأمر.

- ليس من المستحسن بالنسبة للطبيب أن يظن ويفكر. ومع ذلك كنت أستطيع كشف وجود تسمم بالزرنيخ لو رأيته.

- كثيرٌ من الأطباء المشهورين لم يلحظوه، ولدينا -في سجلاتنا- كثير من مثل هذه الحالات.

- حسناً، حسناً، تريد أن تقول بأنني ربما أخطأت. لا أعتقد ذلك. على أية حال فإن مبدئي هو عدم الاشتباه بالأشياء دون وجود سبب معقول يدعو لذلك... سبب معقول. أعترف أن ما قلتَه لي -قبل قليل- قد هزني قليلاً... دسٌّ للزرنيخ بكمية كبيرة. لكنني ما زلت لا أفهم سبب مجيئك إليّ.

قال كرادوك: ما أحتاجه -حقيقةً- هو أن أعرف المزيد عن عائلة كراكثورب. هل يوجد فيهم أحد مريض مرضاً عصبياً غريباً... من أي نوع؟

نظر إليه الدكتور موريس نظرات حادة وقال: نعم، أرى أن أفكارك تسير في ذلك الاتجاه. حسناً، كان العجوز جوسيا سليم العقل تماماً وكان قاسي القلب جداً. كانت زوجته مصابة بمرض العصاب وتميل إلى الاكتئاب وماتت بعد ولادة ابنها الثاني مباشرة. أعتقد أن ابنها لوثر ورث منها نوعاً معيناً من عدم الاستقرار، ولعلك

تلاحظ -إذا ما تحدثت معه- بأنه يحمل كراهية شديدة لجميع أولاده (باستثناء ابنتيه؛ إيما وإدث التي توفيت).

- حسب معرفتك، هل يوجد في الأولاد أي نزعة غريبة؟

- سدريك من النوع غريب الأطوار، متمرد بطبعه، ولا أظن أنه شخص طبيعي تماماً (ولكن لا يوجد أحدٌ كذلك!). أما هارولد فهو متزمت كثيراً وبارد القلب وباحث عن الفرص، ولا أرى فيه شخصية محبوبة. أما ألفرد ففيه شيء من الانحراف! آه، لقد مات هذا المسكين، ولا يُفترض بي أن أغتابه. ولكن لماذا يريد أي شخص أن يموت ألفرد أو يموت العجوز كراكثورب؟

- ربما كان شخصاً جشعاً يريد الحصول على الثروة كلها.

- لو كان كذلك فإنه أحمق مغفل؛ إذ أنه سيدفع ضرائب لا تصدق على الدخل الذي يأتي منها.

* * *

الفصل الحادي والعشرون

قالت السيدة كيدر: الفطر هذا طعام بغيض.

كانت السيدة كيدر قد قالت العبارة هذه أكثر من عشر مرات في الأيام القليلة الماضية، لكن لوسي لم ترد عليها.

قالت السيدة كيدر: أنا لا أقترب منه أبداً؛ فهو خطير جداً. إن العناية الإلهية هي التي جعلت واحداً فقط يموت. كان يمكن أن تموت العائلة كلها، وأنت أيضاً يا آنسة. لقد نجوت من الموت بأعجوبة.

قالت لوسي: لم يكن من الفطر، لم يكن في الفطر أي شيء.

- لا تصدقي هذا الكلام... إن الفطر خطير؛ حبة واحدة سامة من بينها فيحدث ما يحدث.

أكملت السيدة كيدر وهي منكبة على الأطباق في الحوض: غريب كيف تأتي المصائب معاً. أولاً جريمة القتل الفظيعة تلك والآن السيد ألفرد قد مات من تسمم الفطر. ترى من سيكون التالي؟

أحست لوسي بالقلق لأنها هي أيضاً تريد معرفة الجواب.

- لا يريدني زوجي أن آتي إلى هذا البيت؛ يعتقد أنه بيت مشؤوم، لكني قلت له بأنني أعرف الآنسة كراكثورب منذ زمن طويل وهي امرأة طيبة وتعتمد علي، كما لا أستطيع ترك الآنسة آيلسبارو المسكينة تعمل كل شيء في البيت وحدها، وبالنسبة للممرضات هنا فإنهن لا يساعدن بشيء. كل ما يردْنه هو أن يُقدم لهن الشاي والطعام... لقد تعبت!

كانت تتكلم عن قناعة تامة رغم أن عملها لم يزد إلا قليلاً. قالت لوسي: أنت لا ترحمين نفسك يا سيدة كيدر.

بدت السيدة كيدر مسرورة مما سمعت، وحملت لوسي صينية الطعام الأولى وصعدت بها الدرج.

قال السيد كراكثورب مستاءً: ما هذا؟

قالت لوسي: مرق اللحم وكاستر بالفرن؟

- أبعديه عني؛ لن آكل منه شيئاً. لقد قلت لتلك الممرضة بأنني أريد لحماً.

- يعتقد الدكتور كويمبر بأنك لا ينبغي أن تأكل لحماً في الوقت الحالي.

تأفف السيد كراكثورب وقال: أنا في صحة جيدة الآن وسأغادر الفراش غداً. كيف حال الآخرين؟

- لقد تحسن السيد هارولد كثيراً وسيعود إلى لندن غداً.

- ستتخلص منه. وماذا عن سدريك... هل من أمل في عودته إلى جزيرته غداً؟

- لم يحن وقت ذهابه بعد.

- مؤسف! وماذا تفعل إيما؟ لماذا لا تأتي لرؤيتي؟

- ما زالت ترقد في سريرها يا سيدي.

- النساء يدللن أنفسهن دائماً. لكنك فتاة قوية؛ تركضين طوال اليوم، أليس كذلك؟

- إنني أتدرب كثيراً.

أومأ السيد كراكثورب باستحسان وقال: أنت فتاة جيدة وقوية، ولا تظني أنني نسيت ما تحدثت معك بشأنه من قبل. سترين في يوم من الأيام ما سترينه... ولا تصغي إلى الآخرين عندما يقولون لك بأنني عجوز بخيل. إنني أحرص على مالي فقط، وقد جمعت ثروة لا بأس بها وأعرف على من سأنفقها عندما يحين الوقت.

خرجت لوسي من الغرفة بسرعة متجنبة يده التي أرادت الإمساك بها. وكانت الصينية التالية إلى غرفة إيما.

- آه، شكراً لك يا لوسي. أشعر بأنني استعدت عافيتي الآن. أنا جائعة، وهذه علامة جيدة، أليس كذلك؟

وعندما وضعت لوسي الصينية على ركبتيها أكملت تقول: يا إلهي! إنني قلقة جداً على عمتك؛ فليس لديك أي وقت لكي تذهبي لزيارتها... أخشى أن تكون قد افتقدتك.

- آه، لا تقلقي يا آنسة كراكتشورب. إنها تتفهم المحنة التي نعيشها.

- هل اتصلت بها.

- لا، لم أتصل بها في الفترة الأخيرة.

- اتصلي بها... اتصلي بها كل يوم. إن معرفة كبار السن بالأخبار يغير من حالتهم.

- هذا لطف بالغ منك.

وخزها ضميرها قليلاً وهي ذاهبة لإحضار الصينية الثالثة. لقد جعلتها أحداث المرض الأخيرة في البيت منهمكة تماماً ومشغولة ولم يكن لديها وقت للتفكير بأي شيء آخر. وقررت أن تتصل بالآنسة ماربل حالما تقدم الطعام لسدريك.

كان سدريك يجلس على سريره بشكل مرتب ومتأنق جداً، وكان مشغولاً في الكتابة على بعض الأوراق.

قال: مرحباً يا لوسي. ما الذي أحضرته لي اليوم؟

قالت لوسي: تبدو مسروراً جداً. بماذا أنت مشغول؟

- خطط. خطط حول ما سنفعله بهذا البيت عندما ينتهي العجوز. إنها أرض جيدة هنا كما تعرفين، ولا أستطيع تقرير ما إذا كنت سأطور جزءاً منها أو أبيعها بالكامل. قد أبيع نصف الأرض وأستخدم المال في مشروع خيالي على النصف الآخر. ما رأيك؟

ردت عليه لوسي ببرود: أنت لم تحصل عليها بعد.

- سوف أحصل عليها. إنها لن تقسم كغيرها من التركة، وسأحصل عليها دون شك.

- لقد فهمت دوماً أنك تحتقر المال إلى حد ما.

- إنني أحتقر المال -بالطبع- عندما لا يكون عندي منه شيء؛ فهو الموقف الوحيد الذي يحفظ الكرامة.

تركته لوسي ومضت إلى المطبخ. وقبل أن تتناول غداءها ذهبت إلى الهاتف واتصلت بالآنسة ماريل.

- أنا آسفة جداً لعدم تمكني من الحضور إليك، لكني مشغولة جداً.

- بالطبع يا عزيزتي بالطبع. كما أنه لا يمكن عمل أي شيء في الوقت الحالي... علينا أن ننتظر.

- نعم. ولكن ماذا ننتظر؟

قالت الآنسة ماربل: لا بد أن تكون إلسبث ماغليكدي في بيتها عمّا قريب؛ فقد كتبت إليها رسالة لتعود على الفور. قلت لها بأن هذا واجب عليها. لذلك لا تقلقي كثيراً يا عزيزتي.

كان صوتها رقيقاً ومطمئناً.

قالت لوسي: "هل تعتقدين..."، لكنها سكتت ولم تكمل.

- تقصدين إن كان سيقع مزيد من الوفيات؟ آه، أرجو ألاّ

يحدث ذلك يا عزيزتي. ولكن من يدري؟ أقصد عندما يوجد شخص شرير. وأظن أنه يوجد الكثير من الشر هنا.

- أو الجنون.

- أعرف أن هذه هي النظرة الحديثة إلى مثل هذه الأمور، لكنني -شخصياً- لا أتفق مع هذا الرأي.

وضعت لوسي السماعة وذهبت إلى المطبخ وأخذت صينية غدائها. كانت السيدة كيدر على وشك المغادرة، قالت للوسي: هل ستكونين على ما يرام يا آنسة؟

- طبعاً سأكون على ما يرام.

لم تأخذ صينيتها إلى غرفة الطعام الكبيرة الكئيبة ولكن إلى المكتب الصغير، وقد كانت على وشك الانتهاء من وجبتها عندما فُتح الباب ودخل منه برايان. قالت: مرحباً، إنها زيارة غير متوقعة.

- أظن ذلك. كيف الجميع؟

- أفضل بكثير. سيعود هارولد إلى لندن غداً.

- ما رأيك بكل ما حدث؟ هل كان من الزرنيخ حقاً؟

- لا شك أنه من الزرنيخ.

- لم تنشر الصحف ذلك بعد.

- أظن أن الشرطة يريدون الإبقاء على الأمر سراً حالياً.

- لا بد أنه شخص يحقد على العائلة كثيراً. من يمكن أن يكون قد تسلل إلى المطبخ وعبث بالطعام؟

- أظن أنني أكثر الأشخاص احتمالاً.

نظر إليها برايان نظرة قلق ثم سألها وقد صدم بعض الشيء: لكنك لم تفعلي ذلك، أليس كذلك؟

قالت: "لم أفعل بالطبع". وفكرت في نفسها: لا أحد يمكن أن يكون قد عبث بالكاري؛ فقد أعدّته وحدها في المطبخ وأحضرته إلى المائدة بنفسها، والشخص الوحيد الذي كان يستطيع العبث به هو واحد من الأشخاص الخمسة الذين جلسوا حول المائدة لتناول الطعام.

قال برايان: أرجو ألاّ تؤاخذيني على عودتي بهذه الطريقة إلى هنا؟

- لن أؤاخذك بالطبع. هل جئت لتبقى؟

- أود ذلك، إن لم يكن ذلك عبئاً كبيراً عليك.

- كلا، كلا. يمكن تدبير الأمر.

- كما تعرفين، فإنني لا أعمل الآن، وقد شعرت بالسأم. هل أنت واثقة فعلاً من أنك لا تمانعين؟

- آه، على أية حال فلست الشخص المعني بهذا؛ إنها مسألة تخص إيما.

- إن كانت إيما فلا بأس. إنها طيبة معي دائماً... على طريقتها الخاصة، والواقع أنها تخفي أشياء في نفسها. إنها امرأة غامضة، على أن العيش هنا والعناية برجل عجوز يصيب معظم الناس بالاكتئاب. من المؤسف أنها لم تتزوج أبداً... أظن أن الوقت قد فاتها الآن.

قالت لوسي وهي تنهض حاملةً معها الصينية: لا أظن الوقت قد فات... أبداً.

قال برايان وهو يأخذ منها الصينية: سأحملها عنك.

ثم ذهبا إلى المطبخ معاً. قال برايان: "أيمكنني مساعدتك في غسل الأطباق؟ أنا أحب هذا المطبخ. الواقع أنني أعرف أن الناس لا يحبون مثل هذا البيت في وقتنا الحاضر، ولكني أحبه، وهو ذوق غريب ولكنه الواقع". ثم أضاف بحماسة: يستطيع الواحد أن يحط بطائرته في حديقة هذا البيت.

ثم أمسك بقطعة قماش وبدأ بتنشيف الملاعق والسكاكين. قال: يبدو لي أن توريث هذا المنزل لسدريك فيه مضيعة له. إن أول شيء سيفعله هو بيعه ليرحل -من ثم- إلى الخارج من جديد. أنا لا أفهم لماذا لا يكتفي أي امرئ بإنكلترا! كما أن هارولد لا يريد هذا البيت، وهو كبير جداً على إيما بالطبع. أما إذا حصل ألكساندر عليه فسأعيش فيه معه ونكون سعيدين معاً. ومن الجميل أن توجد معنا في البيت امرأة.

قالها وهو ينظر إلى لوسي نظرة تأمل، ثم أضاف: آه، وما هي فائدة الحديث؟ إذا كان ألكساندر سيحصل على هذا المكان فإن على جميع أفراد العائلة أن يموتوا قبل ذلك. وهو أمر غير محتمل،

أليس كذلك؟ رغم أن ما رأيته من العجوز يؤكد أنه سيعيش حتى يبلغ المئة عام، وذلك لمجرد إزعاجهم جميعاً. لا أظن أنه حزن كثيراً لوفاة ألفرد، أليس كذلك؟

قالت لوسي باختصار: بلى، لم يحزن.

قال برايان: إنه شيطان عجوز مشاكس!

* * *

الفصل الثاني والعشرون

قالت السيدة كيدر: إن ما يقوله الناس شيء فظيع. أنا لا أصغي لهذا الكلام قدر استطاعتي، ولكن المرء لا يكاد يصدق ما يقال.

انتظرت رد فعل لوسي التي اكتفت بالقول: "نعم، أظن ذلك"، فأكملت تقول وهي تجثو على يديها وركبتيها تمسح الأرض: بخصوص الجثة التي عثر عليها في الحظيرة... يقولون إنها كانت صديقة للسيد إدموند أثناء الحرب، وقد عادت الآن إلى هذا المكان فتبعها زوجها الغيور وقتلها. إنه أمر غير ممكن بعد كل هذه السنوات، أليس كذلك؟

- يبدو لي أمراً أبعد ما يكون عن الاحتمال.

- أنا لم أصغ لتلك الأقوال بالطبع. إنني لا أصدق مثل هذه القصص. لكن ما يحيرني هو كيف يفكر الناس بمثل هذه الأشياء ناهيك عن قولها.

كانت السيدة كيدر تتحدث باستمتاع كبير. قالت لوسي: لا بد أن سماعك لذلك قد آلمك كثيراً.

- آه، نعم آلمني كثيراً، وقد قلت هذا لزوجي!

دق الجرس، فقالت كيدر: جاء الطبيب يا آنسة. هل أفتح الباب أنا أم تفتحينه أنت؟

قالت لوسي: سأذهب إليه.

لكنه لم يكن الطبيب، فقد وقفت على عتبة الباب امرأة أنيقة طويلة القامة ترتدي معطفاً من الفراء، وكانت تقف وراءها سيارة رولز يقودها سائق.

- هل يمكنني رؤية الآنسة إيما كراكثورب، من فضلك؟

كان صوتها جذاباً مع لثغة خفيفة في حرف الراء. وكانت في نحو الخامسة والثلاثين من عمرها، سوداء الشعر وقد جمّلت وجهها بمساحيق التجميل.

قالت لوسي: أنا آسفة؛ فالآنسة كراكثورب مريضة في فراشها ولا يمكنها رؤية أحد.

- أعرف أنها مريضة، نعم. ولكن من الضروري أن أراها.

- أخشى أن...

قاطعتها الزائرة قائلة: "أظنك الآنسة آيلسبارو، أليس كذلك؟". وابتسمت لها ابتسامة جذابة ثم أضافت تقول: لقد تحدث ابني عنك ولذلك عرفتك. أنا الليدي ستودارت وألكساندر يقيم الآن عندي.

- آه، فهمت.

- ومن الضروري فعلاً أن أرى الآنسة كراكثورب. أعرف كل شيء عن مرضها، وأؤكد لك أنها ليست زيارة اجتماعية. إنها بسبب شيء قاله الولدان لي... أو قاله ابني لي. أعتقد أنها مسألة في غاية الخطورة، وأريد التحدث مع الآنسة كراكثورب بخصوصها. هلا سألتها من فضلك؟

- تفضلي.

أشارت لوسي إلى زائرتها بالدخول إلى الصالة ثم إلى غرفة الاستقبال، وقالت: سأذهب لأسأل الآنسة كراكثورب.

صعدت الدرج ثم طرقت على باب غرفة إيما ودخلت. قالت: جاءت الليدي ستودارت، وهي تريد رؤيتك بكل إلحاح.

فوجئت إيما وقالت: "الليدي ستودارت؟!". ظهر الخوف على وجهها ثم أضافت: هل حدث للأولاد شيء... أعني ألكساندر؟

طمأنتها لوسي: لا، لا. الأولاد بخير. يبدو أن الأمر يدور حول شيء قاله الأولاد لها.

ترددت إيما قبل أن تقول: حسناً، ربما كان من الأفضل أن أراها. هل أبدو في مظهر حسن يا لوسي.

قالت لوسي: أنت تبدين طبيعية جداً. هل أحضرها؟

- نعم، أرجوك.

نزلت لوسي الدرج ثانية حيث رافقت الزائرة إلى الطابق العلوي وفتحت لها الباب حتى دخلت الغرفة، ثم أغلقت الباب. اقتربت

الليدي ستودارت من السرير ومدت يدها: الآنسة كراكثورب؟ أرجو أن تعذريني على اقتحامي عليك غرفتك بهذه الطريقة. أعتقد أنني رأيتك يوم النشاط الرياضي في المدرسة.

قالت إيما: نعم، أذكرك جيداً. اجلسي من فضلك.

جلست الليدي ستودارت على كرسي بجانب السرير، ثم قالت بصوت منخفض جداً: لا بد أنك تعتقدين أن قدومي إليك بهذه الطريقة أمر غريب، ولكن لديّ سبب حقيقي، وأظن أنه سبب مهم. لقد سمعت من الولدين أشياء. تعلمين أنهما كانا منفعلين بجريمة القتل التي حدثت هنا، وأعترف بأنني كرهت ذلك وقتها وأردت إعادة جيمس إلى البيت على الفور، ولكن زوجي ضحك وقال إن من الواضح أن جريمة القتل لا علاقة لها بالعائلة، وقال إن جيمس وألكساندر يستمتعان استمتاعاً شديداً وبالتالي فإن من القسوة إعادتهما. ولذلك استسلمت ووافقت على بقائهما لحين الموعد المتفق على عودتهما فيه إلى بيتنا.

- هل تعتقدين أنه كان يتوجب علينا إعادة ابنك إليك قبل ذلك الوقت؟

- لا، لا، لم أقصد هذا أبداً... يصعب عليّ توضيح الأمر، ولكن ما أريد قوله لا بد أن يُقال. كما تعلمين، فقد فتّشا وبحثا كثيراً... أقصد الولدين، وأخبراني بأن الشرطة يظنون أن هذه المرأة القتيلة قد تكون فتاة فرنسية كان يعرفها أخوك الأكبر الذي قُتل في الحرب في فرنسا. هل هذا صحيح؟

قالت إيما وقد تقطع صوتها قليلاً: إنه احتمال نحن مرغمون على التفكير فيه... قد يكون الأمر كذلك.

- أيوجد سبب يدعو للاعتقاد بأن الجثة هي لهذه الفتاة، مارتين؟

- قلت لك بأنه احتمال.

- ولكن لماذا؟ لماذا يعتقدون بأنها مارتين؟ هل كانت تحمل معها جواز سفر أو أوراقاً ثبوتية؟

- لا، لا شيء من ذلك، ولكني تسلمت منها رسالة.

- هل استلمت رسالة... من مارتين؟

- نعم، رسالة تخبرني فيها أنها موجودة في إنكلترا وتريد أن تأتي لرؤيتي. وقد دعوتها لزيارتنا هنا، لكني تلقيت منها بعد ذلك برقية تقول إنها ستعود إلى فرنسا. وربما عادت إلى فرنسا فعلاً... لا نعرف، ولكن وُجد هنا مغلف الرسالة التي أرسلتها إليها، وهذا يظهر أنها جاءت إلى هنا. إنني لا أفهم...

أسرعت الليدي ستودارت بالتدخل قائلة: أنت لا تدركين سبب اهتمامي بهذا الموضوع، أليس كذلك؟ ولو كنت مكانك لما أدركت هذا السبب. لكنني عندما سمعت هذا (أو بالأحرى عندما سمعت رواية محرفة عنه) توجّب عليّ أن آتي حتى أتأكد من أن الأمر كذلك بالفعل. فإن كان...

- نعم؟

- إذن لا بد أن أقول لك شيئاً لم أكن أنوي قوله لك؛ أنا مارتين دوبوا.

حدقت إيما إلى ضيفتها وكأنها لم تفهم معنى كلماتها. قالت: أنت... أنت مارتين!

أومأت المرأة بحماسة وقالت: نعم. أعرف أن هذا فاجأك لكنها الحقيقة. التقيت أخاك إدموند في أول أيام الحرب حين كان يأوي في بيتنا، وأنت تعرفين بقية القصة... أحب كلٌّ منا الآخر وعزمنا على الزواج، ثم كان الانسحاب إلى دنكيرك واعتُبر إدموند مفقوداً، ثم أبلغونا عن مقتله. لن أتكلم معك عن تلك الفترة، فقد مضى على ذلك زمن طويل وقد انتهت. لكني أريد أن أقول بأنني أحببت أخاك كثيراً... ثم جاءت التطورات المؤسفة في الحرب. احتل الألمان فرنسا وانضممت للمقاومة، وكنت من الذين وكلت إليهم مهمة تهريب الإنكليز من فرنسا إلى إنكلترا. وأثناء ذلك التقيت زوجي الحالي، فقد كان ضابطاً في سلاح الجو وهبط في فرنسا ليقوم بمهمة خاصة، وعندما انتهت الحرب تزوجنا. لقد فكرت -أكثر من مرة- أن أكتب لك رسالة أو آتي لزيارتك، لكني قررت عكس ذلك. كانت لي حياتي الجديدة ورأيت أنه من غير المفيد إثارة ذكريات الماضي.

سكتت قليلاً ثم قالت: لكني شعرت بسعادة غريبة عندما عرفت أن صديق جيمس المقرب في المدرسة ولد عرفت فيما بعد أنه ابن أخت إدموند. وأظن أن ألكساندر يشبه خاله كثيراً كما أظنك تعلمين. ويدا لي أن صداقة جيمس وألكساندر تبعث على السرور.

مالت بجسدها إلى الأمام ووضعت يدها على ذراع إيما

وقالت: لكني -يا عزيزتي إيما- عندما سمعت هذه القصة شعرت بأن من الضروري أن آتي لأخبرك بالحقيقة. إما أن أبلغك أو أبلغ الشرطة بذلك؛ المرأة القتيلة ليست مارتين.

قالت إيما وهي تهز رأسها: ولكنني لا أفهم. إذن هل أنت التي كتبت لي الرسالة؟

هزت الليدي ستودارت رأسها نافيةً بقوة وقالت: لا، لا. لم أكتب لك أي رسالة بالطبع.

قالت إيما: "إذن..."، ثم سكتت ولم تكمل.

قالت الليدي ستودارت: إذن إحداهن كانت تتظاهر بأنها مارتين، وربما أرادت الحصول على مال منك؟ لا بد أن ذلك ما حدث. ولكن من عساها تكون؟

قالت إيما ببطء: أظن أن أناساً في ذلك الوقت... كانوا يعرفون؟

- ربما كان ذلك صحيحاً في ذلك الوقت البعيد، ولكن أنا لم أتحدث عن قصتي هذه منذ قدومي لإنكلترا. ثم لماذا انتظرتْ كاتبةُ الرسالة كل هذا الوقت؟ شيء غريب جداً!

قالت إيما: "أنا لا أفهم ما يجري. علينا أن نرى ما يقوله المفتش كرادوك". ثم نظرت إلى زائرتها فجأة وقالت: إنني سعيدة جداً بتعرفي إليك أخيراً يا عزيزتي.

- وأنا كذلك. كان إدموند يكثر الحديث عنك وقد أحبك كثيراً. إنني سعيدة في حياتي الجديدة، لكني -مع ذلك- لم أنسَ.

استندت إيما إلى وسادتها وتنهدت ثم قالت: لقد ارتحت كثيراً، فطالما كنا نخشى أن تكون المرأة القتيلة هي مارتين. وقد بدت الجريمة مرتبطة بالعائلة، ولكن الآن... لقد انزاح عن كاهلي عبء كبير. لا أعرف من تكون تلك المسكينة لكن ليس لها أية علاقة بنا!

* * *

الفصل الثالث والعشرون

أحضرت السكرتيرة المنظمة فنجان الشاي المعتاد للسيد هارولد كراكثورب.

- شكراً لك يا آنسة إيلس. سأعود إلى البيت اليوم مبكراً.

قالت الآنسة إيلس: كان يجب ألاّ تأتي أبداً؛ ما زلت تبدو واهناً مريضاً.

- أنا بخير.

لكن هارولد كان يشعر بالضعف والمرض، لا شك في ذلك. وفكّر في نفسه -عابساً- كيف مات أخوه ألفرد بينما ظل العجوز على قيد الحياة بعد كل هذا. كم كان عمره؟ ثلاثاً وسبعين... أربعاً وسبعين؟ كان مريضاً منذ سنوات، ولو كان شخصٌ يُحتمل أن يموت لكان هو الرجل العجوز. ولكن لا، كان الموت من نصيب ألفرد... ألفرد الذي كان هارولد يعرف بأنه رجل معافى لا يتعب ولم يكن فيه أي شيء.

استند إلى ظهر كرسيه يتنهد. كانت تلك الفتاة على حق؛ إنه

لا يزال يشعر بالتعب، لكنه أراد أن يأتي إلى مكتبه. كان يريد معرفة كيف تجري الأمور هنا؛ فالوضع دقيق وحرج. كل هذا... نظر حوله إلى المكتب الفخم وما فيه من أثاث يبدو فخماً مترفاً. في هذه النقطة كان ألفرد مخطئاً دوماً! إذا كنت تبدو مترفاً فإن الناس سيعتقدون بأنك غني. لم تظهر أية شائعات حتى الآن حول استقراره المالي، ولكن لم يكن من الممكن تأخير الكارثة وقتاً طويلاً. لو أن والده هو الذي مات بدلاً من ألفرد... كان يجب أن يحدث هذا بالتأكيد. إنه يبدو -عملياً- وكأن الزرنيخ يزيده قوة! نعم، لو أن والده مات لما بقي ما يقلق عليه، ومع ذلك فإن الأمر المهم هو عدم إظهار القلق... المهم هو مظهر الرخاء، وليس مثل ألفرد المسكين الذي كان يبدو دائماً رث الثياب قليل الحيلة، واحداً من أولئك المضاربين الصغار الذين يكتفون بالفتات ولا يجرؤون على خوض المغامرات للوصول إلى الثروات الكبرى؛ يرتبط بمجموعة مشبوهة هنا، ويقوم بصفقة مريبة هناك. صحيح أنه لم يكن يعرض نفسه مباشرة للمسؤولية القانونية، ولكنه كان يقترب من دائرة الشبهة كثيراً. وإلى أين أودى به هذا؟ فترة قصيرة من البحبوحة ثم العودة إلى الثياب الرثة البالية. لم تكن لديه سعة الأفق أبداً. وإجمالاً لا يمكنك أن تقول بأن رحيل ألفرد كان خسارة كبيرة؛ إذ لم يكن يحبه كثيراً... ومع وفاة ألفرد فإن المال الذي سيحصل عليه من جده العجوز الراحل سيزيد بشكل كبير، حيث لن يقسم إلى خمس حصص وإنما إلى أربع، وذلك أفضل بكثير.

أشرق وجه هارولد قليلاً. نهض عن مقعده وأخذ قبعته ومعطفه وغادر المكتب. يحسن أن يأخذ راحةً ليوم أو يومين؛ فهو ما زال

يشعر بالضعف. كانت سيارته في انتظاره في الشارع، وفي الحال ركبها وانطلق بها في شوارع لندن إلى بيته. فتح الباب له خادمه داروين وقال: ها هي سيدتي قد وصلت لتوها.

حدق إليه هارولد بعض الوقت. زوجته! يا إلهي، هل اليوم هو موعد وصولها؟ لقد نسي ذلك كله. أمر جيد أن يكون داروين قد نبهه لهذا؛ فلن يكون الحال جيداً إذا ما صعد إلى غرفته وبدت عليه المفاجأة لرؤيتها هناك. وهذا لا يعني أن المسألة مهمة إلى ذلك الحد؛ فلا هو ولا زوجته يخدعان نفسيهما بخصوص مشاعر كل واحد منهما نحو الآخر.

ربما كانت هي تحبه... لم يكن يعرف. ولكن، إجمالاً، كانت خيبة أمل كبيرة بالنسبة له. لم يكن يحبها بالطبع، ولكن رغم قبحها كانت امرأة مرحة تبعث على السرور، كما أن عائلتها وعلاقاتها كانت مفيدة له دون شك. ولكنه لم يرزق بأي ولد، لا بنت ولا صبي، وكل ما بقي من ذلك الزواج هو أنه كان يكبر في السن مع زوجته دون أن يكون بينهما الكثير ليتحدثا به معاً ودون متعة حقيقية بحياتهما معاً. كانت تسافر لفترات طويلة لتقيم عند أقاربها، وكان من عادتها أن تذهب إلى الريفيرا في الشتاء. كان ذلك يسعدها ولم يكن هو ليتضايق من ذلك.

صعد إلى الطابق العلوي ودخل غرفة الاستقبال وسلم عليها سلاماً شكلياً خالياً من الحماسة: إذن فقد عدتِ يا عزيزتي. أنا آسف لأني لم أتمكن من استقبالك، لكني كنت مشغولاً في المدينة وقد عدت بأسرع ما أمكنني. كيف كانت رحلتك؟

كانت زوجته امرأة نحيفة صفراء الشعر ذات أنف مقوس وعينين عسليتين غامضتين، ومضت تتكلم بصوت مهذب رتيب ونبرة كئيبة. كانت رحلة العودة جيدة ومريحة إلا أن بحر القنال كان هائجاً بعض الشيء، والجمارك في ميناء دوفر كانت متعبة كالعادة.

قال هارولد (كما كان يقول دائماً): كان يجب أن تأتي بالطائرة؛ فهي أسهل بكثير من الباخرة.

- هذا صحيح، لكني لا أحب السفر بالطائرة لأنها تجعلني عصبية المزاج.

- لكنها توفر الكثير من الوقت.

لم تجبه الليدي كراكثورب... ربما لم تكن مشكلتها في الحياة توفير الوقت بقدر ما كانت شغل الوقت. سألت زوجها عن صحته بأسلوب مهذب قائلة: لقد أرعبتني برقية إيما؛ علمت أنكم جميعاً أصبتم بالمرض.

- نعم، نعم.

- قرأت في الصحف قبل أيام عن إصابة أربعين شخصاً بالتسمم الغذائي في أحد الفنادق. أظن أن حفظ الأطعمة بالثلاجة خطير جداً، فالناس يخزنون فيها الطعام لفترات طويلة.

- ربما.

ترى هل كان عليه أن يذكر موضوع الزرنيخ أم لا؟ عندما نظر إليها أحس بعجزه عن ذلك. ذهب إلى غرفته واستلقى مدة ساعة أو

ساعتين قبل أن يرتدي ثيابه استعداداً للعشاء. وعلى العشاء تسامر مع زوجته، لكن الحديث كان يدور حول نفس الموضوع تقريباً. كان حديثاً عابراً مملاً ومهذباً. وأخيراً قالت: يوجد على طاولة الصالة طرد صغير لك.

- حقاً؟ لم ألحظه.

- قل لي، لقد حدثتني إحداهن عن امرأة مقتولة وُجدت في الحظيرة أو مكان شبيه بذلك في رذرفورد هول. أحسبه بيتاً آخر بهذا الاسم دون شك.

- لا، ليس في بيت آخر، بل كان في حظيرة بيتنا.

- ما هذا يا هارولد! امرأة مقتولة في حظيرة رذرفورد هول... ولا تخبرني عن ذلك شيئاً.

- لم يكن لدينا وقت كاف، كما أن كل ما جرى كان عملاً كريهاً، ولا علاقة لنا بهذا الأمر طبعاً. ضخمت الصحف الحادث كثيراً، وقد اضطررنا للاحتكاك مع الشرطة.

قالت: "عمل كريه جداً"، ثم أضافت بلا مبالاة: وهل اكتشفوا الفاعل؟

- ليس بعد.

- من هي تلك المرأة؟

- لا أحد يدري... يبدو أنها فرنسية.

قالت بنبرة لا تختلف كثيراً عن نبرة المفتش بيكون (مع الأخذ بالاعتبار اختلاف الطبقة الاجتماعية بينها وبينه): كان ذلك مزعجاً لكم بالتأكيد؟

خرجا من غرفة الطعام. أحس هارولد الآن بالإرهاق التام وفكّر في نفسه قائلاً: "سأذهب إلى النوم مبكراً".

أخذ عن طاولة الصالة ذلك الطرد الصغير الذي حدثته عنه زوجته. كان طرداً صغيراً ومغلفاً بمنتهى الدقة. فتحه هارولد وهو يجلس على كرسيه المعتاد قرب المدفأة، وكان بداخله علبة حبوب صغيرة مكتوب عليها: «حبتان في الليل»، وكان معها ورقة صغيرة من الأوراق الرسمية لإحدى صيدليات براكهامبتن وقد كُتب عليها: «أُرسلت بناء على طلب الدكتور كويمبر».

قطب هارولد جبينه وفتح العلبة ونظر إلى الأقراص. نعم، بدت نفس الأقراص التي كان يتناولها، لكن كويمبر قال له إنه لن يحتاج لتناول المزيد منها. لقد قال له: "أنت لن تحتاجها بعد الآن".

- ما هذا يا عزيزي؟ تبدو منزعجاً.

- آه، إنها مجرد... بعض أقراص من الدواء. كنت أتناول منها كل ليلة، لكني ظننت أن الطبيب طلب مني ألاّ أتناول منها بعد الآن.

قالت زوجته بهدوء: ربما قال لك ألاّ تنسى تناولها.

رد عليها بارتياب: ربما قال ذلك.

نظر إليها. كانت ترتقبه، وتساءل لبعض الوقت... لم يكن يتساءل كثيراً عن الذي كانت تفكر فيه بالضبط، فنظراتها الباردة تلك لم تكن تعني له شيئاً. كانت عيناها مثل النوافذ في البيت الخالي. ما الذي كانت تشعر به تجاهه؟ هل سبق لها أن أحبته ذات يوم، أم أنها تزوجته لأنها ظنت أنه كان ناجحاً في عمله وسئمت من الحياة التي كانت تعيشها؟ إجمالاً، لقد استفادت تماماً من هذا الزواج. لقد حصلت على سيارة وبيت في لندن، وتستطيع أن تسافر إلى الخارج عندما تريد ذلك وتشتري لنفسها ثياباً غالية الثمن (رغم أن الملابس لا تبدو جميلة عندما تلبسها!). نعم، لقد استفادت جيداً من الزواج منه. تساءل إن كان هذا ما تشعر به. ربما لم تكن تحبه لكنه لم يكن يحبها هو الآخر. لم يكن بينهما أي شيء مشترك، لا شيء يتحدثان حوله، ولا ذكريات يتقاسمانها. لو كان لهما أطفال! ولكنهما لم يُرزقا بأطفال... غريب أن لا يوجد في العائلة أطفال سوى ابن إدي الصغيرة. إدي الصغيرة... كانت فتاة سخيفة إذ أقدمت على زواج أحمق في زمن الحرب!

تململ هارولد في كرسيه بقلق. إن وصية جده ظالمة حقاً؛ فقد أبقتهم جميعاً معلقين بحبل في الهواء! إن الوصية لم ترضِ أحداً أبداً... لم ترضِ الأحفاد كما أثارت حنق الأب. لقد أصرّ العجوز على ألاّ يموت، وهذا ما جعله يهتم بنفسه كثيراً، لكنه لا بد أن يموت عمّا قريب. بالتأكيد، سيموت في وقت قريب. وإلاّ...

انتابت هارولد -مرةً أخرى- جميع المخاوف مما جعله يشعر بالتعب والإرهاق والغثيان. ولاحظ أن زوجته ما زالت ترقبه بعينيها

الشاحبتين مما جعله يشعر بالتململ والقلق بطريقة ما. قال: أريد أن أنام؛ إنه أول يوم أخرج فيه إلى المدينة.

- نعم، أعتقد أنها فكرة جيدة. أنا واثقة من أن الطبيب قد أخبرك أن لا تتعب نفسك كثيراً في البداية.

- الأطباء يقولون هذا دائماً.

- ولا تنس أن تتناول دواءك يا عزيزي.

أمسكت بالعلبة وأعطتها له فودّعها وذهب إلى غرفته. نعم، كان بحاجة إلى الأقراص، وكان من الخطأ الامتناع عن تناولها بهذه السرعة. أخذ قرصين وبلعهما مع كأس من الماء.

* * *

الفصل الرابع والعشرون

قال ديرموت كرادوك مكتئباً: يبدو أنني كنت أكثر مَن اختلطت عليه الأمور مما حدث.

كان يجلس كالتائه ينظر إلى غرفة فلورنس المكتظة بالأثاث، وكان مرهقاً تماماً ومتضايقاً ومكتئباً.

عارضته الآنسة ماربل بكلمات مهدئة لطيفة وقالت: لا، لقد قمت بعمل جيد يا ولدي العزيز؛ كان عملاً جيداً فعلاً.

- هل قمتُ بعمل جيد فعلاً؟ لقد تركت العائلة كلها تتسمم. ألفرد مات أولاً والآن هارولد مات هو الآخر. ما الذي يجري؟ ليتني أعرف ما يجري.

قالت الآنسة ماربل: أقراص مسمومة؟

- نعم، عمل شيطاني! بدت تماماً كالأقراص التي كان يتناولها، وقد أُرسلت معها ورقة مطبوعة جاء فيها: «بناء على تعليمات الدكتور كويمبر»، ولكن كويمبر لم يأمر بها أبداً. لقد استُخدمت عليها ملصقات الصيدلية، والصيدلي يقول بأنه لا يعرف

عن هذه الملصقات شيئاً. لا ، إن علبة الدواء تلك جاءت من رذرفورد هول.

- هل تعرف يقيناً أنها جاءت من رذرفورد هول؟

- نعم، قمنا بتحقيقٍ شامل في هذا الأمر. والواقع أنها العلبة التي كانت تحتوي على الأقراص المهدئة التي وصفها الطبيب لإيما.

- آه، فهمت... لإيما.

- نعم، عليها بصمات أصابعها، بالإضافة إلى بصمات الممرضتين والصيدلي الذي جهزها. ومن الطبيعي أن لا يكون عليها بصمات أحد غيرهم، فقد كان الشخص الذي أرسلها حذراً.

- وقد استُبدلت بالأقراص المهدئة أقراص أخرى، أليس كذلك؟

- بلى. هذا ما يخيف في أمر هذه الأقراص بالطبع؛ إنها متشابهة كلها.

وافقته الآنسة ماربل: أنت محق. أتذكر جيداً -أيام شبابي- المركّب الأسود والمركّب البني (كان دواء يستخدم للسعال) والأبيض والوردي... لم يكن الناس يخلطون بين أنواع الحبوب إلى هذا الحد، والواقع أننا ما زلنا نحب استخدام تلك الأدوية في قريتنا سينت ميري ميد. ماذا كان في تلك الأقراص؟

- سم الأكونيتين؛ وهي مادة تخفف -عادةً- بنسبة واحد في المئة للاستعمال الطبي.

- وهكذا تناول هارولد منها ومات.

أصدر كرادوك صوتاً كنوع من التأفف وقال: أرجو الآّ تؤاخذيني في التنفيس عن مشاعري معك. إن قلبي يقول لي: "قل كل ما عندك للعمة جين"!

- هذا جميل منك، وأنا أقدّر هذا فعلاً.

ابتسم كرادوك في وجهها وقال: لكن الحقيقة تبقى أنني وقعت في أخطاء رهيبة وخلطت الحابل بالنابل منذ البداية. لقد اتصل قائد الشرطة هنا بسكوتلانديارد للتدخل في القضية، فماذا فعلوا؟ لقد جعلوني أبدو كالمغفل الساذج!

- كلا، كلا.

- نعم، نعم. إنني لا أعرف من الذي وضع السم لألفرد، ولا أعرف من الذي سمم هارولد... والأدهى من ذلك أنني لا أعرف شيئاً عن شخصية المرأة القتيلة! لقد بدا أن الافتراض القائل إنها مارتين كان مريحاً ويتناسب مع وقائع القضية الأخرى. والآن ما الذي حدث؟ ظهرت مارتين الحقيقية بطريقة غير متوقعة وظهر أنها زوجة السير روبرت ستودارت. إذن مَن هي المرأة القتيلة الآن؟ الله وحده يعلم. في البداية اعتقدت بأنها آنا سترافنسكا، ثم تبين أنها خارج الموضوع...

لفتت انتباهه سعلة خفيفة ذات مغزى خاص اعتادت الآنسة ماربل إطلاقها عندما تريد التدخل بملاحظة، ثم قالت: ولكن أهي حقاً خارج الموضوع؟

حملق فيها كرادوك وقال: بطاقة المعايدة تلك التي أرسلتها من جامايكا...

- نعم، ولكن البطاقة ليست دليلاً حقيقياً، أليس كذلك؟ أقصد أن أي شخص يمكنه أن يرسل بطاقة معايدة من أي مكان. أذكر امرأة تدعى السيدة بريلي أصيبت بانهيار عصبي كبير فقرروا إرسالها إلى أحد المصحات العقلية للملاحظة، وكانت قلقة من معرفة أولادها الصغار لهذه الحقيقة ولذلك كتبت أربع عشرة بطاقة معايدة ودبرت أمر إرسالها في البريد من أماكن مختلفة خارج البلاد وأخبرتهم أنها مسافرة في عطلة.

ثم أضافت تقول وهي تنظر إلى ديرموت كرادوك: هل فهمت ما أعنيه؟

قال كرادوك وهو يحملق فيها: نعم، بالطبع. كان من شأننا طبعاً أن نتحقق من بطاقة المعايدة تلك لولا أننا وجدنا بأن موضوع مارتين هذه ينسجم مع أحداث القضية أكثر.

- منسجم جداً.

- كان حلاً منطقياً مع وجود الرسالة التي استلمتها إيما والموقعة باسم مارتين. ولكن الليدي ستودارت لم ترسلها، بل فعل ذلك شخص آخر... ربما امرأة كانت تريد الحصول على المال بانتحالها شخصية مارتين. لا يمكنك إنكار هذه الحقيقة.

- لا، لا.

- وماذا عن ظرف الرسالة التي كتبتها إيما إليها وعليها عنوانها

في لندن؟ لقد وُجد في رذرفورد هول، مما يظهر بأنها كانت موجودة هناك فعلاً.

أشارت الآنسة ماربل: لكن المرأة القتيلة لم تكن هناك... ليس بالمعنى الذي تقصده. لقد جاءت إلى رذرفورد هول بعد مقتلها! ألقيت جثتها من القطار تحت جسر السكة الحديدية.

- آه، نعم.

- إن ما يثبته الظرف هو أن القاتل كان موجوداً هناك. ربما أخذ الظرف منها مع أوراق وأشياء أخرى ثم سقط منه الظرف خطأ... وأنا أتساءل الآن إن كان ذلك خطأ بالفعل؟ إن المفتش بيكون ورجالك أيضاً قد قاموا بتفتيش دقيق وشامل للمكان لكنهم لم يعثروا على ذلك الظرف. ثم ظهر -بعد ذلك- في بيت المرجل.

- هذا مفهوم. فقد كان البستاني العجوز يحتفظ بأي شيء غريب متطاير في أرجاء الحديقة ويلقيه في ذلك البيت.

- وهو ما كان سهلاً على الأولاد أن يجدوه!

- هل تعتقدين أنه كان مقصوداً أن نعثر عليه؟

- إنه مجرد تساؤل. لقد كان سهلاً معرفة المكان الذي سيذهب الأولاد ليفتشوا فيه بعد ذلك... نعم، إنني أتساءل. لقد جعلكم ذلك تنصرفون عن التفكير بآنا سترافنسكا من بعد، أليس كذلك؟

- وهل تظنين أن الجثة ربما كانت جثتها منذ البداية؟

- أظن أن شخصاً ما قد انتبه وخاف عندما بدأتم تحرياتكم

عنها، هذا كل ما في الأمر... أعتقد أن شخصاً لا يريد أن تقوموا بهذه التحريات.

- دعينا نقف عند الحقيقة الأساسية وهي أن إحداهن كانت تريد انتحال شخصية مارتين، لكنها -لسبب معين- لم تفعل. لماذا؟

- إنه سؤال مثير جداً.

- أرسل أحدهم رسالة تقول إن مارتين ستعود إلى فرنسا ثم سافر معها وقتلها في الطريق. هل توافقين على هذا الرأي حتى هذه النقطة؟

- ليس تماماً. لا أظن أنك تعلّل الأمور بهذه الطريقة.

صاح كرادوك شاكياً: تعليل! أنت تشوشين عليّ أفكاري!

ردّت عليه الآنسة ماربل -بنبرة كئيبة- بأنها ما كانت لتفكر في أمر كهذا، فقال: هيا أخبريني، هل تعرفين أم لا تعرفين من تكون هذه المرأة القتيلة؟

تنهدت الآنسة ماربل وقالت: الأمر صعب جداً إذا ما أردنا أن نضعه في إطاره الصحيح. أريد أن أقول إنني لا أعرف من تكون، ولكني -في نفس الوقت- متأكدة إلى حد بعيد من معرفتي لها... إن كنت تعرف ما أقصده.

ألقى كرادوك برأسه إلى الوراء وقال: أعرف ما تقصدينه؟ إنني لا أعرف شيئاً من ذلك أبداً.

نظر عبر النافذة وقال: ها هي لوسي آيلسبارو جاءت لرؤيتك.

سأرحل الآن؛ إن احترامي لذاتي قد ضعف اليوم وقدوم امرأة شابة تتألق كفاءة ونجاحاً أمر أكثر مما أطيق.

* * *

الفصل الخامس والعشرون

قالت لوسي: لقد بحثت عن معنى كلمة «تونتاين» في القاموس.

كانت الزائرة قد تبادلت التحية مع مضيفتها وبدأت لوسي تدور في الغرفة دون هدف واضح، تلمس حلية فخارية هنا وكرسياً هناك.
قالت الآنسة ماريل: هذا ما ظننتُ أنك ستفعلينه.

قالت لوسي ببطء وهي تحاول تذكّر الكلمات: إنها مرادفة لعبارة «التأمين التكافلي»، وهي كلمة منسوبة إلى «لورنزو تونتي» الذي كان مصرفياً إيطالياً ابتدعها عام ١٦٥٣، وهي شكل من أشكال الدخل السنوي الذي يتلقاه المرء مدى الحياة تُضاف فيه حصص المشتركين الذين يموتون إلى أرباح حصص الباقين على قيد الحياة.

سكتت قليلاً ثم قالت: هذا ما تعنيه الكلمة، أليس كذلك؟ هذا ينطبق على الواقع بشكل كافٍ، وقد كنت تفكرين بذلك حتى قبل وفاة هذين الاثنين.

ثم استأنفت دورانها القلق حول الغرفة دون هدف تقريباً، فيما

جلست الآنسة ماربل ترقبها. لقد كانت لوسي الآن مختلفة تماماً عن التي كانت تعرفها من قبل.

قالت لوسي: أظن أن صيغة الوصية كانت تفرض الجرائم بهذه الطريقة. إن وصيةً كهذه تنتهي بحيث يحصل من يبقى على قيد الحياة على المال كله... ولكن كان يوجد الكثير من المال، أليس كذلك؟ ويشعر المرء أن المال كان سيكفي حتى لو تم اقتسامه بينهم...

سكتت بعد أن خذلتها الكلمات.

قالت الآنسة ماربل: المشكلة أن الناس جشعون؛ وغالباً ما تبدأ المشكلات هكذا. إن الأمر لا يبدأ بجريمة قتل أو عزم على ارتكاب جريمة قتل أو حتى التفكير بها، بل هو يبدأ بالجشع والرغبة في حيازة المزيد من الأموال.

قالت لوسي: لقد وقعتْ عندنا ثلاث جرائم حتى الآن؛ المرأة التي انتحلت شخصية مارتين والتي كان من شأنها أن تتمكن من المطالبة بحصةٍ لابنها، ثم ألفرد ثم هارولد. والآن بقي شخصان فقط، أليس كذلك؟

- هل تقصدين أنه بقي سدريك وإيما؟

- ليس إيما؛ فهي ليست رجلاً أسمر طويل القامة. كلا. أقصد سدريك وبرايان. إنني لم أفكر ببرايان أبداً لأنه أبيض البشرة، ولكن بالأمس...

ثم سكتت، فأسرعت الآنسة ماربل تقول: نعم، استمري، أخبريني. لقد أزعجك شيءٌ ما كثيراً، أليس كذلك؟

- كان ذلك عندما كانت الليدي ستوردارت تغادر البيت. ودّعتنا، ثم التفتت إليّ فجأة عندما كانت تهم بدخول السيارة وسألتني: من هو ذاك الرجل الطويل الأسمر الذي كان يقف على المصطبة الخارجية عندما دخلت؟

لم أتخيل من الذي قصدته في البداية لأن سدريك كان لا يزال راقداً على سريره، لذلك قلت لها محتارة: "لا أظنك تعنين برايان إيستلي؟"، فقالت: "بالطبع، إنه هو، إيستلي قائد سرب الطيران. كان مختبئاً في علية بيتنا في فرنسا أثناء المقاومة. لقد تذكرتُ الطريقة التي كان يقف فيها وشكل كتفيه".

لم تقل الآنسة ماربل شيئاً، بل انتظرت. قالت لوسي: ثم نظرت إليه بعد ذلك.. كان يقف وهو يدير لي ظهره وشاهدت ما كان يجب أن أشاهده من قبل. حتى لو كان الرجل أبيض البشرة فإن شعره يبدو أسود إذا ما مسّده بملمِّع. أظن أن شعر برايان يميل إلى البني بعض الشيء، ولكنه يمكن أن يبدو أسود. وهكذا قد يكون برايان هو الذي رأته صديقتك في القطار... ربما...

- نعم، لقد فكرت في هذا.

قالت لوسي بمرارة: أعتقد أنك تفكرين في كل شيء!

- لا بد من ذلك يا عزيزتي.

- لكني لا أفهم ما الذي سيجنيه برايان من عمله هذا. أقصد أن الأموال ستؤول إلى ألكساندر وليس إليه. أظن أن ذلك سيجعل

حياتهما سهلة ويمكنهما العيش في رفاهية لكنه لن يستطيع الحصول على رأس المال لتنفيذ خططه ومشاريعه.

- ولكن إن حدث شيء لألكساندر قبل بلوغه الحادية والعشرين فإن برايان سيحصل على الأموال كونه والده وأقرب المقربين إليه.

نظرت إليها لوسي نظرة رعب: لا يمكن ذلك أبداً... لا يمكن أن يفعل ذلك بابنه من أجل المال!

تنهدت الآنسة ماربل وقالت: الناس يفعلون ذلك يا عزيزتي... إنه عمل محزن وفظيع، لكنهم يفعلونه! الناس يفعلون أشياء فظيعة جداً. أعرف امرأة قتلت ثلاثة من أطفالها بالسم لكي تحصل على مبلغ ضئيل من التأمين! والآن، هل يساعدك كلامي هذا في شيء يا عزيزتي لوسي؟

سألتها لوسي متحيرة: ما الذي يساعدني؟

- الذي كنت أقوله لك. يجب ألاّ تقلقي... يجب ألاّ تقلقي فعلاً؛ ستحضر إلسبث ماغليكدي إلى هنا خلال أيام معدودة.

- لا أفهم ما هي علاقة هذا بما يحدث.

- كلا يا عزيزتي، ربما لا توجد علاقة. لكنني شخصياً أظن أن حضورها مهم.

- لا أستطيع إلا أن أشعر بالقلق. لقد أصبحت مهتمة بأمور العائلة.

- أعرف يا عزيزتي، إنه أمر شاق عليك لأنك منجذبة إليهما معاً. أليس كذلك؟ وإن كان بطريقة مختلفة.

قالت لوسي بنبرة حادة: ماذا تقصدين؟

- كنت أتحدث عن الرجلين في البيت؛ ابن كراكنثورب وزوج ابنته. من سوء الحظ أن الولدين المكروهين في العائلة قد ماتا بينما ظل الاثنان الآخران الأكثر جاذبية. أرى أن سدريك جذاب جداً. إنه يميل إلى جعل مظهره يبدو أسوأ من حقيقته، كما أن له أسلوباً استفزازياً.

قالت لوسي: أحياناً يجعلني أصاب بالجنون.

- نعم، وأنت تستمتعين بالأمر، أليس كذلك؟ إنك فتاة مليئة حيوية ونشاطاً وتستمتعين بالمعركة. نعم، أستطيع أن أرى سبب ذلك الانجذاب. أما السيد إيستلي فمن النوع الحزين، إنه أشبه بولد بائس صغير. وهذه -بالطبع- نقطة جذب أيضاً.

قالت لوسي بمرارة: وقد يكون القاتل أياً منهما. والحق أنه لا يوجد شيء يجعلني أختار واحداً منهما. سدريك لم يأبه أبداً لموت أخيه ألفرد أو أخيه هارولد، وبدلاً من ذلك جلس مسروراً يضع الخطط لما سيفعله بالمنزل. أعرف أنه من النوع الذي يبالغ في إظهار قسوة قلبه لكن ذلك قد يكون غطاء أيضاً. أقصد أن الجميع يقولون إن فلاناً يبدو قاسي القلب أكثر من حقيقته، لكنه قد لا يكون كذلك وإنما العكس؛ أي قد يكون قاسي القلب أكثر مما يبدو عليه!

- أنا آسفة جداً يا لوسي على كل هذا.

أكملت لوسي تقول: أما برايان فمن الغريب أن يبدو أنه يريد فعلاً العيش هناك. يعتقد أنه سيجد متعة كبيرة في العيش مع ألكساندر في البيت، كما أن لديه مخططات كثيرة جداً.

- لديه دائماً مخططات ومشاريع لأمور عديدة مختلفة، أليس كذلك؟

- بلى، أظن ذلك. كلها مخططات تبدو رائعة... ولكن لديّ إحساس بعدم الارتياح لإمكانية نجاحها فعلياً، أقصد أنها غير عملية. الفكرة تبدو معقولة... لكني لا أعتقد أنه يفكر في الصعوبات العملية أثناء التنفيذ.

- فهي -إذن- مشاريع معلقة في الهواء إذا صح التعبير؟

قالت لوسي: "نعم، بأكثر من معنى... كلها مخططات هوائية. ربما لا يستطيع الطيار المحارب الجيد النزول إلى أرض الواقع من جديد". ثم أضافت: كما أنه يحب رذرفورد هول كثيراً لأنه يذكره بالبيت الكبير القديم الذي كان يعيش فيه عندما كان طفلاً صغيراً.

قالت الآنسة ماربل: "فهمت. نعم، لقد فهمت..."، ثم قالت وهي تنظر إلى لوسي بطرف عينها نظرة سريعة: لكن هذا ليس كل ما في الأمر يا عزيزتي، أليس كذلك؟ يوجد شيء آخر.

- آه، بلى، يوجد شيء آخر... شيء لم أدركه إلا قبل يومين فقط. ربما كان برايان -عملياً- في ذلك القطار.

- قطار الساعة الرابعة وثلاث وثلاثين دقيقة القادم من بادنغتن؟

- نعم، فقد ظنت إيما أنها مطالبة بالإبلاغ عن تحركاتها يوم العشرين من الشهر، فسردتها بحرص شديد: اجتماع لجنة في الصباح ثم تسوق بعد الظهر وتناول الشاي في مقهى، ثم قالت إنها ذهبت لاستقبال برايان في المحطة. كان القطار الذي استقبلته هو قطار الساعة الرابعة وخمسين دقيقة القادم من بادنغتن. لكنه يمكن أن يكون قد وصل في القطار الذي قبله ثم تظاهر أنه جاء في القطار الأخير. لقد أخبرني -بطريقة عرضية- بأن سيارته تعطلت وأنه أرسلها للإصلاح ولذلك اضطر للقدوم بالقطار، وقال بأنها رحلة متعبة، فهو يكره القطارات. كان يبدو طبيعياً جداً وهو يتكلم. قد لا يكون في الأمر شيء أبداً، لكني أتمنى لو أنه لم يأتِ في قطار.

- في القطار المطلوب.

- هذا لا يثبت أي شيء. الشيء الفظيع هو كل هذا الشك... عدم القدرة على المعرفة. وربما لا يُقدَّر لنا أن نعرف أبداً.

قالت الآنسة ماربل بسرعة: سنعرف -بالطبع- يا عزيزتي. إن الشرطة يقومون بعمل كل ما يستطيعونه... كما أن الأهم من ذلك كله أن إلسبث ماغليكدي ستصل إلى هنا قريباً جداً.

* * *

الفصل السادس والعشرون

- والآن يا إلسبث، هل فهمتِ تماماً ما أريد منك فعله؟

قالت السيدة ماغليكدي: فهمت تماماً، لكنه يبدو عملاً غريباً جداً يا جين.

- ليس غريباً أبداً.

- أظنه كذلك. أن أذهب إلى البيت وأطلب منهم -على الفور- أن يأخذوني إلى الطابق العلوي.

أشارت الآنسة ماربل تقول: الجو بارد جداً، ويمكن القول إنك تناولت طعاماً لم يناسب معدتك ولذلك تريدين استخدام المرافق في الطابق العلوي.

قالت السيدة ماغليكدي: ليتك تقولين لي ما الذي تريدين التوصل إليه يا جين.

- هذا بالضبط ما لا أريد فعله.

- يا لك من مزعجة يا جين! أولاً طلبت مني القدوم وقطع كل هذه المسافة إلى إنكلترا قبل أن...

- أنا آسفة لهذا، ولكن لم يكن باستطاعتي عمل شيء آخر؛ فشخصٌ يمكن أن يُقتل في أي لحظة. أعرف أن الكل حذرون وأن الشرطة أخذوا كل الاحتياطات الضرورية، ولكن يمكن دائماً أن يكون القاتل أذكى من كل الاحتياطات. ولذلك كان واجبك يقتضي منك العودة. لقد تربينا -أنت وأنا- على ضرورة القيام بالواجب، أليس كذلك؟

- بالتأكيد. لم يكن في ذلك أي تهاون أيام شبابنا.

قالت الآنسة ماربل وقد سمعت صوت السيارة وهي تقف خارج البيت: إذن لا بأس، وها هي سيارة الأجرة قد وصلت.

ارتدت السيدة ماغليكدي معطفها الأرقط الثقيل ولفّت الآنسة ماربل نفسها بأكثر من وشاح صوفي، ثم ركبت السيدتان السيارة التي انطلقت بهما إلى رذرفورد هول.

* * *

قالت إيما وهي تطل برأسها من النافذة عندما توقفت سيارة الأجرة أمام المنزل: مَن هذا القادم بالسيارة الآن؟ يبدو أنها عمة لوسي العجوز.

قال سدريك: يا لها من امرأة مملة!

كان سدريك مستلقياً على كرسي طويل ينظر إلى مجلة «حياة الريف» وقدماه مستقرتان على الموقد. مضى قائلاً: قولي لها إنك لست في البيت.

- هل تعني أن عليّ الخروج لأقول ذلك، أم أقول للوسي كي تخبر عمتها به.

قال سدريك: لم أفكر بهذا. أظن أنني كنت أفكر بأيامٍ كان لدينا فيها كبير خدم وخادم استقبال.

في تلك اللحظة فتحت السيدة هارت الباب ودخلت الآنسة ماريل بارتباك وهي تلف حول عنقها الشالات والأوشحة وخلفها امرأة لا تعرف للحلول الوسط طريقاً.

قالت الآنسة ماريل وهي تمسك بيد إيما: أرجو ألاّ نكون قد تطفلنا عليك، لكني سأعود إلى قريتي بعد غد ولذلك لم أطق العودة دون القدوم لرؤيتك لتوديعك ولأشكرك ثانية على حسن معاملتك للوسي. آه، لقد نسيت... هل لي أن أقدم لك صديقتي، السيدة ماغليكدي، التي تقيم معي؟

قالت السيدة ماغليكدي وهي تنظر إلى إيما باهتمام كامل: "تشرفنا بمعرفتك". ثم نظرت إلى سدريك الذي نهض الآن واقفاً. وفي تلك اللحظة دخلت لوسي الغرفة.

- عمتي جين، لم أكن أعرف.

التفتت إليها الآنسة ماريل وقالت: أردت أن آتي لوداع الآنسة كراكثورب التي كانت طيبة جداً معك يا لوسي.

قالت إيما: لوسي هي التي كانت طيبة معنا.

قال سدريك: نعم، بالفعل. لقد جعلناها تعمل عمل الإماء

عندنا؛ تسهر علينا أثناء مرضنا، وتركض صاعدة نازلة وتطبخ لنا طعام المرضى التعِس...

قاطعته الآنسة ماربل قائلة: لقد أسفت جداً جداً لسماع نبأ مرضكم. أرجو أن تكونوا شفيتم تماماً يا آنسة كراكثورب؟

قالت إيما: نعم، لقد شفينا تماماً الآن.

- أخبرتني لوسي أنكم كنتم مرضى جميعاً. إن التسمم الغذائي خطير جداً، أليس كذلك؟ فهمت أنه من الفطر.

قالت إيما: يظل السبب غامضاً بعض الشيء.

قال سدريك: لا تصدقي هذا... أنا واثق من أنك سمعت الإشاعات التي تدور يا آنسة...

- ماربل.

- حسناً، أنا واثق من أنك سمعت الإشاعات التي تدور. لا شيء مثل الزرنيخ يمكن أن يكون موضوعاً شيقاً للأقاويل.

قالت إيما: سدريك، ليتك لا تتكلم. أنت تعرف أن المفتش كرادوك قال...

قال سدريك: "ها! الجميع يعرفون". ثم التفت إلى الآنسة ماربل وصاحبتها وقال: حتى أنتما سمعتما أشياء، أليس كذلك؟

قالت السيدة ماغليكدي: أنا -شخصياً- عدت من الخارج لتوي... أول أمس.

- إذن فأنت لا تعلمين عن الفضيحة التي حدثت بعد. زرنيخ في الكاري... هذا هو السبب، وأراهن على أن عمة لوسي تعرف كل شيء عن الأمر.

قالت الآنسة ماربل: لقد سمعت فقط... أقصد كان ذلك مجرد تلميح، لكنني لم أرد إحراجكم بأي شكل.

قالت إيما: أرجو ألاّ تأبهي لأخي؛ إنه يحب إحراج الناس.

كانت تبتسم وهي تتكلم. وفُتح الباب ودخل كراكثورب العجوز وهو يضرب الأرض بعصاه غاضباً، وقال: "أين الشاي؟ لماذا لم يجهز الشاي؟"، ثم خاطب لوسي قائلاً: أنت! يا فتاة، لماذا لم تجلبي لي الشاي؟

- لقد جهز لتوه يا سيد كراكثورب وسأحضره الآن. لقد كنت أعد المائدة.

خرجت لوسي من الغرفة ثانية وقُدِّم السيد كراكثورب إلى الآنسة ماربل والسيدة ماغليكدي.

قال السيد كراكثورب: أحب تناول وجباتي في الوقت المحدد. أحب الدقة في المواعيد والاقتصاد؛ هذا هو شعاري.

قالت الآنسة ماربل: هذا ضروري جداً، خصوصاً في هذه الأوقات، مع فرض الضرائب وما إلى ذلك.

تأفف السيد كراكثورب قائلاً: الضرائب! لا تكلميني عن هؤلاء اللصوص. إنني فقير بائس، وسيزداد وضعي بؤساً.

ثم خاطب ابنه سدريك: انتظر يا بني، فعندما تحصل على هذا البيت سينتزعه الاشتراكيون منك على الأغلب ويحولونه إلى ملكية عامة، ثم يأخذون أموالك ليحافظوا بها على المنزل!

عادت لوسي وهي تحمل صينية الشاي وتبعها برايان حاملاً صينية أخرى عليها شطائر وخبز وزبدة وكعك.

فتش السيد كراكثورب الصينية وقال: ما هذا؟ ما هذا؟ هل لدينا حفلة اليوم؟ لم يخبرني أحد بذلك.

احمرّ وجه إيما وقالت: الدكتور كويمبر سيأتي لتناول الشاي يا أبي. إن اليوم هو عيد ميلاده و...

رد العجوز متأففاً: عيد ميلاده؟ ماذا سيفعل بعيد ميلاده؟ عيد الميلاد للأطفال فقط. أنا لم أحسب أبداً أعياد ميلادي، ولن أدع أحداً غيري يحتفل بها.

وافقه سدريك قائلاً: هذا أرخص بكثير. إنك بذلك توفر ثمن الشموع التي تضعها على الكعكة!

قال السيد كراكثورب: يكفي هذا منك يا ولد.

كانت الآنسة ماريل تصافح برايان وتقول له: لقد سمعت عنك بالطبع، من لوسي. أنت تذكرني كثيراً بشخص كنت أعرفه في سينت ميري ميد؛ القرية التي عشت فيها سنوات طويلة. إنك تذكرني بروني ويلز ابن المحامي. عندما توفي والده لم يستطع متابعة عمله فرحل إلى شرق أفريقيا وبدأ يدير سلسلة من قوارب الشحن في البحيرة هناك، ويؤسفني القول إنه لم يحقق نجاحاً في عمله ففقد كل رأس ماله. أمر

مؤسف جداً! لا أحسب أن بينك وبينه قرابة؛ فبينكما شبه كبير.

قال برايان: لا، لا أظن أن لي أقارب باسم ويلز.

قالت الآنسة ماريل: كان خاطباً لفتاة لطيفة جداً وواعية جداً، وحاولت ثنيه عن مشروعه ولكنه لم يصغ إليها... كان مخطئاً بالطبع. إن النساء واعيات جداً في أمور المال، لا أقصد الماليات الكبرى بالطبع. فليس من امرأة تفهم في هذا كما كان يقول والدي، ولكنني أعني الأمور المالية اليومية. إن لديكم منظراً طبيعياً رائعاً من هذه النافذة...

قالت عبارتها الأخيرة تلك وهي تتجه إلى النافذة. وانضمت إيما إليها، فمضت الآنسة ماريل تقول: إنها حديقة واسعة. كم يبدو منظر القطعان جميلاً وخلفه الأشجار!

أسقطت الآنسة ماربل حقيبتها فرفعها برايان عن الأرض بهدوء، وفي نفس اللحظة اقتربت السيدة ماغليكدي من إيما وهمست في أذنها بصوت متألم وتمتمت قائلة: ترى... هل أستطيع الصعود إلى الطابق العلوي لبعض الوقت؟

قالت إيما: بالطبع.

قالت لوسي: سآخذك.

غادرت لوسي الغرفة مع السيدة ماغليكدي، وقالت الآنسة ماربل بأسلوب تبريري: كانت رحلة السيارة اليوم في جو بارد.

قال برايان: آه، ها هو كويمبر.

وصل الطبيب بسيارته ودخل وهو يفرك يديه شاعراً بالبرودة الشديدة. قال: ستثلج... هذا ظني. مرحباً يا إيما، كيف حالك؟ يا إلهي، ما هذا كله؟

قالت إيما: لقد عملنا لك كعكة عيد ميلاد. هل تذكر؟ لقد قلت لي إن اليوم هو عيد ميلادك.

قال كويمبر: لم أتوقع كل هذا. لقد مضت سنوات... أظن أنها ستة عشر عاماً، لم يتذكر أحد خلالها عيد ميلادي.

بدا متأثراً إلى حد الحرج. وقدمته إيما قائلة: هل تعرف الآنسة ماربل؟

قالت الآنسة ماربل: آه، نعم، لقد التقيت الدكتور كويمبر هنا من قبل، كما جاء وفحصني عندما أصبت بنزلة برد شديدة قبل أيام وكان طيباً جداً.

قال الطبيب: أرجو أن تكوني بخير الآن؟

طمأنته الآنسة ماربل إلى أنها بخير الآن.

قال السيد كراكثورب: لكنك لم تأت لزيارتي أنا يا كويمبر منذ فترة. ربما كنت أموت شوقاً لعنايتك بي!

قال الدكتور كويمبر: لا أرى أنك ستموت قريباً.

قالت الآنسة ماربل: آه، أرجوكم لا تنتظروا صديقتي. إنها ستتضايق كثيراً لو انتظرتموها.

جلسوا وبدؤوا يشربون الشاي. أخذت الآنسة ماريل قطعة من الخبز والزبدة أولاً ثم تناولت شطيرة، ولكنها ترددت وهي تسأل: هل هذه...؟

أجابها برايان: شطائر سمك، لقد ساعدتُ في إعدادها.

ضحك السيد كراكثورب وقال: صلصة سمك مسمومة! كليها على مسؤوليتك.

- أرجوك يا أبي!

قال السيد كراكثورب يخاطب الآنسة ماريل: عليك أن تكوني حذرة في هذا البيت. لقد قتل اثنان من أولادي كالحشرات! من الذي يقوم بذلك... هذا ما أود معرفته.

قال سدريك وهو يقدم الطبق للآنسة ماريل مرة أخرى: لا تدعيه يصدك عن الطعام... إن مسحة من الزرنيخ تحسن البشرة -كما يقولون- ما دامت الجرعة صغيرة.

رد عليه والده العجوز: كل أنت واحدة منها يا ولد.

قال سدريك: أتريدني أن أكون الذوّاق الرسمي؟ أنا موافق.

تناول فطيرة ووضعها كلها في فمه. ضحكت الآنسة ماريل ضحكة خفيفة وتناولت فطيرة.

قضمت منها قضمة ثم قالت: أظن أن من شجاعتكم جميعاً أن تمزحوا هكذا حول هذا الموضوع. نعم، إنكم شجعان جداً، وأنا تعجبني الشجاعة.

شهقت فجأة وبدأت تتحشرج، ثم قالت وهي تشهق بصعوبة: عظمة سمكة... في حنجرتي.

نهض الدكتور بسرعة وذهب إليها وطلب منها فتح فمها. أخرج من جيبه علبة وأخذ منها ملقطاً، ثم انكبّ على فم الآنسة ماريل بمهارة وسرعة.

وفي تلك اللحظة فُتح الباب ودخلت السيدة ماغليكدي وتبعتها لوسي. أطلقت السيدة ماغليكدي شهقة مفاجئة عندما وقعت عيناها على المشهد أمامها، حيث الآنسة ماريل تستند على الكرسي وتميل إلى الوراء بينما كان الطبيب ممسكاً بحنجرتها ويهز رأسها.

صاحت: إنه هو... إنه الرجل الذي كان في القطار!

أفلتت الآنسة ماريل من قبضة الطبيب بخفة ورشاقة وجاءت نحو صديقتها. قالت: لقد ظننت أنك ستتعرفين عليه يا إلسبث! كلا، لا تقولي كلمة أخرى.

ثم التفتت إلى الدكتور كويمبر بنشوة وقالت: أنت لم تعرف -أيها الطبيب- عندما خنقت تلك المرأة في القطار أن شخصاً قد رآك فعلاً وأنت تقوم بذلك! إنها صديقتي هذه، السيدة ماغليكدي. لقد رأتك. هل تفهم؟ لقد رأتك بأم عينها، وكانت تركب قطاراً آخر يسير موازياً للقطار الذي كنت فيه.

تقدم الدكتور كويمبر باتجاه السيدة ماغليكدي بخطوة سريعة وهو يقول: ما هذا الذي يجري؟

لكن الآنسة ماريل أسرعت وحالت بينهما ثم قالت: نعم، لقد

رأتك وميزتك، وسوف تقسم على هذا في المحكمة. نادراً ما يرى شخص شخصاً آخر وهو يقوم بجريمة قتل فعلية، ولكن الظروف في هذه القضية كان غير عادية أبداً؛ فقد وُجد شاهد عيان على جريمة قتل!

قال الدكتور كويمبر: أيتها العجوز الشيطانة!

اندفع بقوة نحو الآنسة ماربل، لكن سدريك هو الذي أمسك به من كتفه هذه المرة. قال سدريك وهو يديره نحوه: إذن فأنت القاتل المجرم؟ لم أحبك أبداً وكنت أظن دائماً بأنك رجل غير سوي، ولكن يشهد الله أنني لم أشتبه بك.

أسرع برايان لمساعدة سدريك، ودخل المفتش كرادوك والمفتش بيكون الغرفة من الباب الأبعد.

قال بيكون: دكتور كويمبر، لا بد أن أحذرك من أنك...

قال الدكتور كويمبر: تباً لك ولتحذيرك! أتظن أن أحداً سيصدق ما تقوله امرأتان عجوزان؟ مَنْذا سمع بكل هذا الهراء عن القطارات؟

قالت الآنسة ماربل: لقد أبلغتْ إلسبث ماغليكدي الشرطة عن الجريمة فور وقوعها يوم العشرين من كانون الأول وأعطت أوصاف الرجل.

قال الدكتور كويمبر: ولماذا أقتل امرأة غريبة تماماً؟

قال المفتش كرادوك: إنها لم تكن غريبة... بل كانت زوجتك!

* * *

الفصل السابع والعشرون

قالت الآنسة ماربل: وهكذا، كما رأيتم، فقد ظهر أن التقنية بسيطة جداً كما ظننت في البداية. أبسط أنواع الجريمة؛ كثير من الرجال يقتلون زوجاتهم.

نظرت السيدة ماغليكدي إلى الآنسة ماربل والمفتش ثم قالت: سأكون شاكرة لكما لو وضعتماني في صورة آخر المستجدات.

قالت الآنسة ماربل: لقد جاءته فرصة للزواج بامرأة غنية؛ وهي إيما كراكنثورب. لكنه لم يستطع الزواج بها لأنه متزوج بامرأة أخرى. كانا منفصلين منذ سنوات لكنها لم تقبل الطلاق. كان ذلك ينطبق جيداً على ما حدثني به المفتش كرادوك حول هذه الفتاة التي كانت تسمي نفسها آنا سترافنسكا: لقد أخبرتْ إحدى صديقاتها بأنها متزوجة برجل إنكليزي، وقيل أيضاً بأنها كاثوليكية ملتزمة (بحيث لا تؤيد الطلاق). ولم يستطع الدكتور المجازفة بزواجه بإيما حتى لا يواجَه بتهمة تعدد الزوجات. وكونه رجلاً قاسياً وصاحب دم بارد فقد قرر التخلص من زوجته. والحق أن فكرة قتل زوجته في القطار ثم وضع جثتها بعد ذلك داخل التابوت في الحظيرة فكرة ذكية... لقد

تعمد ذلك حتى ترتبط الجريمة بعائلة كراكثورب. وقبل ذلك كتب رسالة إلى إيما كان يفترض أن تكون من مارتين التي تحدّث إدموند عن رغبته في الزواج بها (وكانت إيما قد أخبرت الدكتور كويمبر بكل شيء عن أخيها)... وحين جاءت اللحظة المناسبة شجّعها على الذهاب إلى الشرطة لتحكي لهم قصتها. كان يريد إيهام الشرطة بأن صاحبة الجثة هي مارتين. وأظن أنه سمع عن التحريات التي كان شرطة باريس يقومون بها حول آنا سترافنسكا، ولذلك عمل على إرسال بطاقة معايدة منها من جامايكا.

كان من السهل تدبير لقاء مع زوجته في لندن ليقول لها بأنه يريد مصالحتها ويريدها أن تأتي لمقابلة «عائلته». لن نتحدث عن الجزء التالي لتلك الأحداث وهو جزء كريه. كان رجلاً جشعاً بالطبع... بدأ بنشر شائعات عن محاولة شخص تسميم السيد كراكثورب الأب ليهيئ لنفسه الأرضية المناسبة، ثم انتهى به الأمر إلى وضع الزرنيخ في طعام العائلة. ولم تكن كمية كبيرة بالطبع لأنه لم يرد قتل العجوز السيد كراكثورب.

قال كرادوك: لكنني ما زلت لا أفهم كيف نجح في ذلك، فهو لم يكن موجوداً في البيت عندما كانت لوسي تعد الكاري.

قالت الآنسة ماربل: ولكن لم يكن في الكاري زرنيخ وقتها. لقد أضافه إلى الكاري فيما بعد عندما أخذه للفحص. ربما وضع الزرنيخ في إبريق العصير قبل ذلك... وبالطبع، كان يسهل عليه -كونه الطبيب المعالج- تسميم الفرد وقتله، وأيضاً إرسال أقراص الدواء إلى هارولد في لندن بعد أن حفظ لنفسه خط الرجعة بإخبار هارولد

أنه لا يحتاج إلى مزيد من الأقراص. إن كل ما فعله كان واضحاً وجريئاً وقاسياً ويكشف عن حقيقته الجشعة. والواقع أنني آسفة جداً جداً لأنهم ألغوا عقوبة الإعدام؛ لأنني أعتقد أنه لو لم يوجد إلا شخص واحد يستحق الإعدام لكان هو الدكتور كويمبر.

قال المفتش كرادوك: هوني على نفسك.

أكملت الآنسة ماربل: لقد خطر لي أن بالإمكان تمييز المرء من منظره الخلفي؛ لأن المنظر الخلفي للشخص يكون مميزاً جداً. وقد ظننت أنه لو قُدّر لإلسبث أن ترى الدكتور كويمبر من نفس الموضع الذي رأته فيه وهو في القطار (أي وظهره باتجاهها مائلاً على امرأة كان يمسك بها من رقبتها) فستعرفه. وهذا ما جعلني أضع خطتي الصغيرة بمساعدة لوسي.

قالت السيدة ماغليكدي: أعترف بأنني شعرت بالرعب؛ فقد قلت: "هذا هو" آلياً دون تفكير، رغم أنني لم أكن قد رأيت وجه الرجل.

قالت الآنسة ماربل: وقد كنت أخشى كثيراً أن تصرحي بذلك يا إلسبث.

أجابتها صديقتها: كنت على وشك أن أقول إنني لم أرَ وجهه بالطبع.

قالت الآنسة ماربل: كان من شأن ذلك أن يكون أمراً بالغ الخطورة؛ فقد ظن كويمبر أنك حقاً تعرفت عليه. أعني ما كان له أن يعرف بأنك لم تري وجهه.

قالت السيدة ماغليكدي: كان تصرفاً جيداً أنني أمسكت لساني وقتها.

قالت الآنسة ماربل: ما كنت لأسمح لك بأن تتفوهي بأية كلمة أخرى.

ضحك كرادوك فجأة وقال: يا لكما من زوج رائع! وماذا بعد ذلك يا آنسة ماربل؟ ما هي النهاية السعيدة؟ ماذا سيحدث للمسكينة إيما كراكثورب على سبيل المثال؟

- ستتغلب على موضوع الطبيب بالطبع، وأعتقد أنه لو مات والدها (ولا أظنه قوياً كما يظن نفسه...) فإنها ستسافر إلى الخارج في رحلة طويلة، وربما ظهر في تلك الرحلة حدث سعيد. أرجو أن يكون رجلاً أكثر لطفاً من الدكتور كويمبر.

- وماذا عن لوسي؟ هل يوجد مشروع زواج أيضاً؟

- ربما... لن يفاجئني ذلك.

قال كرادوك: ومن ستختار منهما؟

- ألا تعرف؟

- نعم، لا أعرف. هل تعرفين أنت؟

قالت الآنسة ماربل: آه، نعم... أظن ذلك.

ثم غمزته بعينها.

* * *

إعلان إلى قرّائنا الأعزاء

لقد حصل خطأ غير مقصود في طبعة عام ٢٠٠٢ من رواية «البيت المائل» مما أدى إلى سقوط آخر فصلين من عدد كبير من النسخ المطبوعة (وهما الفصلان الخامس والعشرون والسادس والعشرون).

إننا نعتذر عن هذا الخطأ الذي أبقى كثيراً من القراء متشوقين إلى معرفة خاتمة الرواية، وسنبذل كل ما في وسعنا لضمان عدم تكرّره في المستقبل إن شاء الله.

ونرجو أن يتكرم القراء الذين حصلوا على هذه النسخة الناقصة بزيارة موقعنا على الإنترنت (www.al-ajyal.com) لتحميل النص الناقص حيث سيبقى متوفراً لكل من يريد الحصول عليه حتى نهاية عام ٢٠٠٥ م.

إعلان إلى قرّائنا الأعزاء

نظراً لتوسع أعمالنا وإقدامنا على عدد من مشروعات النشر الجديدة فإننا نحتاج إلى عدد من المترجمين الأكفاء للعمل معنا في ترجمة روايات وكتب من اللغة الإنكليزية إلى اللغة العربية.

وعلى ذلك فإننا نرحب بمن يأنس في نفسه التمكن من اللغة الإنكليزية والتمكن من اللغة العربية ويمتلك الأسلوب الأدبي الجميل ويرغب بالعمل بالترجمة معنا (بالقطعة)، وندعوه للاتصال بنا على العنوان التالي:

editor@al-ajyal.com

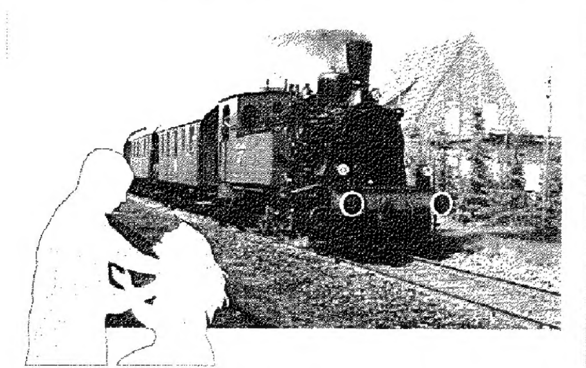
قِطَار 4.50 من بادِنْغْتون

مرَّ القطاران متجاورَين، وتباطأ أحدُهما قليلاً قبل أن يتسارع من جديد. وفي تلك اللحظة الخاطفة التي تحاذت فيها نوافذ القطارين شاهدت إيلسبيث الجريمةَ. كان الرجل (الذي رأت ظهرَه) يضغط على عنق المرأة بكل قوته، ولم تلبث المرأة أن سقطت ميتة. ثم ازدادت سرعة القطار ومضى مختفياً عن الأنظار.

لكن مَن سيصدّق هذه القصةَ غير الآنسة ماربل؟ وخاصة حين لم توجد أدلّة، ولم يوجد شهود، ولم توجد جثة!

روايةِ جديدة من روايات الكاتبة العملاقة التي تُعتبَر أعظم مؤلفة في التاريخ من حيث انتشار كتبها وعدد ما بيع منها من نسخ، وهي -بلا جدال- أشهر مَن كتب قصص الجريمة في القرن العشرين وفي سائر العصور. وقد تُرجِمت رواياتها إلى معظم اللغات الحية، وقارب عدد ما طُبع منها ألفَيْ مليون نسخة!

Agatha Christie



4.50 from Paddington



الآنسة ماربل





رقم هذه الرواية حسب تر
صدور الروايات بالإنكل

الناشر وصاحب
بالطبعة العربية في





ISBN 2-1957-2633-2



توزيع دار الأفق
٦ شارع حسين فهمي من عباس العقاد
ت: ٢٧٢٥٣٣٥ - موبايل : ٠١٢/١٠٣٣١٦٠